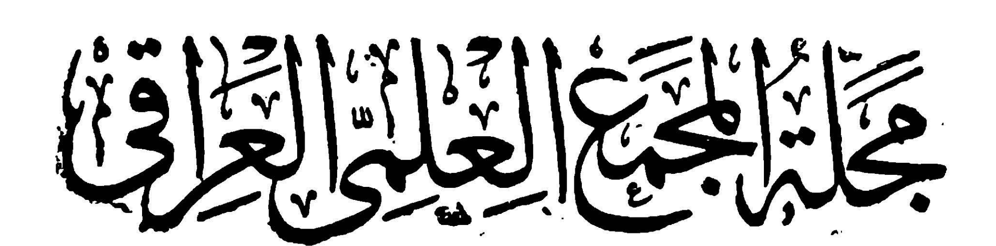
الجزء الرابع المجلد الثالث والثلاثون

مجلة المجمع العلمي العراقي



محرم الحرام ١٤٠٣ هـ
تشرين الأول ١٩٨٢ م



مجلة المجمع العلمي العراقي





محرم الحرام ١٤٠٣ هـ
تشرين الأول ١٩٨٢م

تاريخ العلم عند العرب

للدكتور صالح أحمد العلي
رئيس المجمع

(١) النطاق والأصول

من أبرز الأسس التي نستند اليها في بناء مستقبلنا هو الأخذ بالعلم مع الاحتفاظ بالمقومات السليمة التي أتاحت لنا في الماضي الحياة الرفيعة والبقاء والازدهار والنماء ، واكسبتنا خصائصنا القومية المتميزة .

وقد اقتضت التطورات العظيمة التي حدثت في تقدم العلوم والتقنية في الغرب أن نعتمد في دراسة العلوم والتقنية على ما تم في الغرب ، وتبع هذا إعجاب عام بالمنجزات التي حققها الغرب في هذا الميدان ، وتصوّر البعض أن العلم مقترن بالغرب وحده ، ولعل مما أتاح لهذه التصورات مجال الانتشار ، هو أن العلم يختلف عن الآداب من حيث أن معرفته تتطلب دراسة دقيقة ومنظمة ، لأن كل خطوة فيه تبنى على أخرى سابقة لها ؛ ثم إن التعابير المستعملة في الكتب العلمية فنية دقيقة يتطلب تفهمها ممارسة ومراناً خاصاً ، وكتب العلم العربية لم تنشر وتدرس الا قليلا لاستعمالها مفردات خاصة ، ولأنها تعبر عن المعارف في العصر الذي كتبت فيه .

تعريف العلم ونطاقه :

ان كلمة العلم غير واضحة الحدود ، فهي قد تشمل المعرفة إطلاقاً ، وقد تحدّد بالمعرفة المنظمة أو المعرفة التي يعتمد توثيق حقائقها على أساليب

خاصة في البحث ، وهي في كل تعريف من هـــذه التعريفات قـــد تشمل مختلف فروع المعرفة ، بما في ذلك ما يتعلق بالطبيعة وما يتصل بها أو يتوقف عليها ، أو بما يتعلق بالسلوك وما يتصل به ، أو الذوق والفن وما يتميز به ، وهذا الغموض في التحديد كان ظاهراً في دراسات العرب الأقدمين ، كما أنه يظهر الآن في استعمالاتنا المعاصرة حيث نلاحظ أن العلم يطلق على الحقائق المنطوية على ما يتصل بمواد الطبيعة وتفاعلها من كيميـــاء وفيزياء وعلم طبقات الأرض والنبات والحيوان والرياضيات والهندسة ، كما ينطبق كذلك على الأدب والجمال .

والمعرفة تبدأ بملاحظات مدركة وتعليلات متصورة واستنباطات مقدّرة ونقطة الابتداء فيها هي استعمال الفرد حواسه للمشاهدة ، وعقله للادراك والتعبير ، فهي تعتمد على خبرات الفرد المستمدة من محيطه ، أي أنها تعكس محيطه المادي وترفعه الى القدر الذي يبلغه خياله وفكره من مستويات تتباين تبعا لسعة الخيال وعمق التفكير .

غير أن قليلاً من الأفراد يعيش منفرداً معزولاً ، أما الغالبية العظمى فتعيش في مجتمعات يختلف حجمها ومدى استقرارها وخبرات أفرادها ، وكلها تؤثر في تنمية وتوجيه خبرات الفرد ومعرفته ، وهذا التأثير يبدأ منذ المراحل الأولى من عمر الفرد فيما نسميه التربية البيتية والأولية ، ثم ينطور توجهها بعد البلوغ خاصـــة .

تشـــمل الحركة الفكرية في مراحاها الاولى جوانب من المعرفـــة متعددة ومتداخلة وممتدة على ميادين واسعة بصورة سطحية ، وبتزايد مادة المعرفة وتوسعها تتوضح معالم الاختصاص فيها ، ويوضع لكل ميدانِ اختصاصٍ إسمٌ يعبر عن السمة العامة لمادة ذلك العلم الذي قد يؤدي توسعه الى إفراز علوم أخرى منه تبعاً لمدى سعته والمعلومات المتوفرة عنه ودقتها ، وبذلك تتزايد أسماء العلوم ،

وبرافق ذلك ظهور علماء في كل موضوع وتبرز كتب ، وقد يرافق ذلك محاولات لتعريف كل علم وتحديد نطاقه ، وكذلك أحكام في مزايا كل علم وفضائل دراسته أو عيوبه أو العلاقات بين مختلف العلوم .

إن العلم باعتباره معرفةً متداخلٌ وقابل للتوسع ، وكل حقيقة تتصل بحقائق أخرى وبدرجات مختلفة ، فالكيمياء مثلا تبحث في طبيعة المواد وتبدلاتها ، ولكنها تتصل بالفيزياء والرياضيات وبعدد من حقائق علوم أخرى كالحيوان والنبات وعلم طبقات الارض ، وهذا ينطبق على العلوم كافة .

ميادين تاريخ العلم ومتطلبات دراستها :

إن تاريخ العلم ، كالتواريخ الأخرى ، يدرس تطور العلم في الماضي وما مرّ به من أحوال وتبدلات باعتباره عملية عقليته من إنتاج الفكر البشري على الرغم من صلته الوثيقة بالطبيعة . والواقع ان المادة التي يعتمد عليها مستمدة مما دُوِّن في الماضي ، غير أن تنظيم نطاقه حديث يرجع الى اواخر القرن التاسع عشر ، وقد شارك عدد كبير من الباحثين والمفكرين في توضيح معالمه وتحديد نطاقه الى أن أصبح يشمل :

١ــ دراسة حياة العلماء ، وخاصة الكبار البارزين منهم وما قدّمه كل منهم الى العلم .

٢ ــ دراسة الأفكار والمعلومات العلمية المدونة من حيث المقدار والنوع ، سواء كانت فكرة واحدة ، أو علماً محدّداً واحداً أو علوماً عدة .

٣ ــ تتبع تطور التفكير العلمي او الاساليب التي استنبطت منها الحقائق والأشكال التي نظمت فيها ، والقواعد التي استخلصت منها ، وبعبارة اخرى تطور الطريقة العلمية التي هي جزء أساسي في كيان العلم وتقدير حقائقه . إذ من المعلوم أن العلم النظري نشأ في أحضان التفكير العام ، ومرّ بكثير من الخلط والتحيزات والتشويشات الى أن استقرت الحقائق وتوضح

التحليل الدقيق القائم على ما نسميه الطريقة العلمية ، فأسلوب التفكير وطريقة اكتشاف الحقائق لها في دراسة العلم أهمية لا تقل عن الحقائق.

٤ — التطبيقات العملية في الحياة والتقنية .

٥ — اثار العلم في المجتمع وتنظيمه واساليب حياته المادية،وعلاقات افراده .

والمعتمد الأساس في دراسة تاريخ العلوم ، باعتباره عملية عقلية بشرية ، هو الوثائق المكتوبة التي تدون تلك العملية . ودراسة هذه الوثائق من حيث التثبت من صحتها وضبط نصوص معلوماتها ، هو من صميم عمل المؤرخ ، والتدريب عليهـــا لا يختلف عن التدريب على دراسة الوثائق التاريخية الأخرى. مع ملاحظة أن المفردات اللغوية التي يكثر استعمالها هي المفردات الخاصة بذلك العلم .

ومن الأمور الاساسية في دراسة تاريخ العلوم، فهم المعلومات المـــدونة في الوثائق المكتوبة وفي الكتب ، ثم تقويمها وتقدير أهميتها في مسيرة تطور ذلك العلم ، وهذا يتطلب في الأقل معرفة عامة في حقائق العلم الذي يُدْرَس ، وفي جملته التعابير التي يستعملها والحقائق التي يعرضها ، وتقدير سليم لأهمية هذه الحقائق في توضيح العلم وتأثيرها في مسيرته وتقدمه ، وهذا التقدير بدوره يتطلب فهماً سليماً واسعاً لتطور ذلك العلم أي أنه يتطلب ، بجانب الاختصاص عقلية تاريخية تصوغ احكامها تبعاً للأهمية التاريخية للحقائق ، أي أن يضع الباحث نصب عينيـــه احوال الماضي ولا يصدر احكامه مقتصراً على التطورات المعاصرة ، وهي بذلك تتطلب معرفة شاملة بالتطورات التاريخية لذلك العلم .

والقسم الأساسي الثالث في دراسة تاريخ العلوم هو تقدير مكانتها في المجتمع ودورها في إنمائه وازدهاره ، أو في جموده وركوده ، إن هذا يتطلب فهماً لأحوال المجتمع ، وتقديراً للعوامل الفاعلة في نمره وازدهاره ، فهو لا يقتصر على مجرد معرفة الحقائق وانما يعتمد أيضاً على نظرة الى المجتمع شاملة وصائبة

أي على فلسفة سليمة تضع الجزئيات ضمن الصورة الشاملة للمجتمع في مسيرته ، وكل هذا يستلزم معرفة التطبيقات العملية للعلم ، أي التقنية وتطورها ودورها في المجتمع ، وحقائق العلم المكتشفة وأساليب البحث العلمي والمثل الأخلاقية التي يحض عليها العلم .

إن تيسير البحث وتنظيمه وتوضيحه ، يتطلب تحديد موضع كل علم في الصورة العامة للفكر وعلاقته بالعلوم الاخرى ، ومن هذا نشأت الحاجة إلى تصنيف العلوم عند دراستها ، وهذا عمل عقلي من إنتاج الإنسان يعتمد على على مدى سَعَة المعرفة بالعلوم والاهتمام بها ، وعلى الجانب الذي ينظر اليه منها ، وعلى رأي المصنفين ، فقد يكون مقصوراً على تصنيفات رئيسية محدودة كتصنيفها العلوم صنفين هما علم الاديان ، وعلم الابدان ، او العلوم القديمة والمحدثة ، او العلوم العقلية والنقلية ، أو علوم الدين والطبيعة ، وقد يتسع التصنيف فيشمل أصنافا جزئية دقيقة في شتى المعارف . والتصنيف مظهر للعناية بالاختصاص وهو يقوم على نظرة الى العلوم شاملة وادراك للعلاقات بينها .

وكثير من حقائق العلم مطبقة في الحياة العملية ، ومستعملة في تيسير المعيشة والحضارة وفي جملة ذلك ميادين الصناعة والزراعة والبناء وغيرها . . وكثيراً ما يمارس الناس هذا التطبيق بكثرة ونجاح من غير إدراك للجانب النظري من العلم ، وهذه الصلة بين الحقائق وتطبيقاتها ذات أهمية أساسية في دراسة العلم وتقدير دوره في الحياة .

غير أنه مهما كانت سعة الصلات بين العلم والطبيعة ومهما كان امتداد التطبيق فإن الدراسات العلمية تظل عملية عقلية تتوقف على الجهد الفكري الذي يبذله العالم الباحث الذي تتوقف مكانته على مدى سعة ملاحظاته المدونة وعمقها .

المدونات المكتوبة اساس دراسة تاريخ العلم

تعتمد دراسة حقائق العلم وأفكاره ونظرياته اول ما تعتمد على المدونات المكتوبة ، فان لم تعتمد هذه المدونات يكن الكلام فيها حدساً وتخميناً معرضاً للزلل ، ومن المعلوم أن الكتابات الرئيسية القديمة ، واعني المسمارية والهيروغليفية والفينيقية والحميرية قد ظهرت منذ أزمنة قديمة في أقاليم الوطن العربي ، وظل استعمالها مقصوراً على هذه البلاد عصوراً قبل أن يمتد انتشارها الى أقاليم أوربا الغربية (اليونان وايطاليا)

تظهر الرُقُم الطينية الكثيرة التي كانت الوسيلة الكبرى لتدوين المعارف والتي اكتشفت حديثاً ، مدى تعدد جوانب المعرفة التي كانت في العراق القديم ، اذ كانت تشمل الآداب والعقائد والمعاملات التجارية ، والقوانين والحسابات ، وكذلك العلوم وفي جملة ذلك الرياضيات والطب ومفرداتها ، وقد ضمت المكتبة الملحقة بقصر الملك الآشوري آشور بانيبال معظم هذه الرُقُم ، جمع بعضها من مختلف المدن العراقية ، وكتب بعضها في عهد الملك المذكور وقد درست محتويات بعض رقم هذه المكتبة والرقم المكتشفة في أماكن أخرى ، ونشر عدد من هذه الدراسات في كتب ،أظهرت بالرغم من كونها غير مستوعبة ، مدى سعة معارف أهل العراق القدماء ، واهتمامهم بالعلم . ونشير من هذه الدراسات الى معجمي كامبل تومسن في النبات، وفي الكيمياء الآشورية ، وأبحاث نيوجيباور في الرياضيات .

وظلت الرقم الأداة الرئيسة للتدوين في العراق حتى سنة ٣٠٠ ق . م حيث اكتشف آخر رقيم ، ثم انقطع استعمالها ، ولم يحل محلّها ما له صفة الدوام حتى انتشار استعمال الكتابة .

وتوفرت في مصر أيضاً وسائل تدوين سَجّلت معارف المصريين ، وكان المكتشف فيها موضوع دراسات واسعة وقيّمة ، وهي تظهر مدى التقدم في

عدد من المعارف ومنها ما يتعلق بالدين والأدب ، والطب والرياضيات .
وما يزال الخلاف قائماً في أيهما سبق في ممارسة النشاط العلمي : العراق أم مصر ، ومن المؤكد أن النشاط في كل من الاقليمين قد بدأ في زمن مبكر جداً، وأنه توفرت منه وثائق غير قليلة ، دُرِسَ الأقل منها ، وبقي الأكثر ينتظر الدراسة ، ويكشف ما فيها . ويظهرما تمت دراسته اهتماماً بعدة ميادين علمية ، وتقدماً ملحوظاً في معرفة حقائقها وتفسيرها . والراجح أن هذا الازدهار نما في كل من الإقليمين نمواً مسقلاً وأن تبادل التأثير بينهما كان محدوداً في العهود الأولى خاصة .

وقد استمر استعمال أوراق البردي في التدوين بمصر ، وامتد استخدامه إلى عدد من الأقاليم المجاورة ، وظل مستعملاً حتى القرن الخامس الهجري ، أي بعد انتشار الورق . وقد أتاح هذا الاستمرار مجال تيسير تدوين المعارف بمصر ، وكان بعض ما دُوِّن باللغة المصرية القديمة .

أما المخلفات المكتوبة التي وصلت الينا من أقاليم شبه جزيرة العرب فهي قليلة جداً وغير منتظمة التوزيع ، وأكثرها إن لم يكن كلها ،مما كتب على الحجارة ، وهي مقتضبة ، وكثير منها مبتورة ، ومواضيعها محدودة اغلبها شواهد قبور أو تخليد هدايا قدمها أفراد الى المعابد ، أو أعمال الملوك ، فهي لا تقدم معلومات وافية عن الأفكار العلمية التي كانت متداولة عند الناس ولا تكفي وحدها لمعرفة مستوى الحياة الفكرية وتطورها في شبه جزيرة العرب قبل الاسلام .

التقنيات ادلة على تقدم العلم :

تظهر المخلفات الآثارية التي وصلت إلينا عن العراق ومصر و بلاد الشام واليمن ، التقدم الكبير الذي حدث في الزراعة والصناعة والعمران ، وهي مظهر للتقدم التقني الذي تم خلال عصور طويلة يصعب رسم خطوط مسيرته بدقة ، أو معرفة الاشخاص الذين عملوا في تقدمه ، او مدى انتشاره .

ولا بد أن مناطق شبه جزيرة العرب التي تشير المصادر الى انه تتوفر فيها المعادن أو الميـــاه أو كانت مراكز للصناعة والتجارة وهي غير قليلة ، كانت التقنية فيها متقدمة أيضاً ، غير أن المكتشفات الآثارية القليلة في هذه المناطق ، فضلاً عن قلة المعلومات المتعلقة بتاريخ تطورها تجعل من الصعب رسم صورة دقيقة للجوانب العمرانية التي دخلتها التقنية ، أو مدى تقدم تلك التقنية .

ان التقنية هي تطبيق لمبادئ العلم وهي دليل على صحة حقائق العلم ، غير أنها تقتصر على الجانب التطبيقي ، وتتطلب من ممارسيه إتقانه ، ومـــن الطبيعي أن هذا الإتقان في العمل لا يستلزم معرفة النظريات والأفكار التي يقوم عليها التطبيق ، وفي نفس الوقت ان الانغمار في التطبيق لا يمنع من التفكير في القواعد والأفكار التي يقوم عليها هذا التطبيق ، ولما كانت دراستنا للعلم منحصرة في الافكار والآراء والمعلومات المتصلة بالعلم ، فاننا نكتفي بالاشارة الى التقنية واحتمال أثرها في بحث النظريات والأفكار العلمية .

لا ريب في أن قصر الاعتماد في دراسة تاريخ العلم على المدونات المكتوبة ، وعلى ما يمكن استنباطه من الأعمال والمنشآت التي يتطلب انجازها التقنية ، لا يكفي لتقديم صورة كاملة عن النشاط العلمي وتقدم العلوم في الأزمنة القديمة ؛ حيث ان كثيراً من المعرفة العلمية ، بما في ذلك حقائقها واستدلالاتها وعناية الناس بها وتداولهم لها ، كانت تنقل شفاهاً وعن طريق السماع ، وكان معظمها يُنسى بموت اصحابها ، ولا يتيسر للباحثين المحدثين معرفتها . فعدم توفر المدونات المكتوبة عن العلم لا يكفي للجزم بعدم تقدمه في اي مجتمع ، فاذا وجدت ادلة غير مباشرة على وجود العلم في المجتمع ، فان الباحث الحديث مضطر الى الاشارة الى ما تدله الادلة على ذلك ، إذ أن اغفال الاشارة اليه قـــد يؤدي الى الحكم بالجهل على المجتمعات التي لم تخلف مدونات .

اهمية الكتب وحدودها :

ان الكتب هي اوج مظاهر التدوين ، والمعتمدالأساس في دراسة تاريخ العلوم ، وذلك لان الكتاب يتميز بانه يستوعب مادة كبيرة نسبياً من المعلومات والآراء ، لا تتوفر في المدونات الأخرى . غير ان كثرة الكتب وبقاءها لا يتوقف على كثرة العلماء وتعدد الراغبين في التدوين والقادرين عليه فحسب، وانما يعتمد أيضاً على توفر وسائل للتدوين تكون في متناول العلماءويمكن حفظها .

كانت ادوات التدوين الرئيسة المتوفرة في القديم هي الحجارة والطين ، والقماش والخشب ، والجلود واوراق البردي ؛ وكلها غالية الثمن ، صعبة المنال والحفظ ، مما ادى الى قلة عدد الكتب وإلى اعتماد تأليفها على اصحاب السلطة وذوي الثروة .

غير ان هذا تبدل عندما انتشر استعمال الورق بفضل العرب منذ اواسط المائة الثانية للهجرة ؛ فقد وفّر الورق للكتابة مادة رخيصةالثمن ، يسيرة المتناول ، سهلة الحفظ ، وأدى ذلك الى تزايد عدد الكتب وتضخم حجمها ، والى انتشارها وبقاء كثير منها .

غير أن الميزات التي لا تنكر للكتب ينبغي الا تنسينا الثغرات التي فيها ، والأخطار التي تنجم عن قصر الاعتماد عليها في دراسة تاريخ العلم وتطوره، ونذكر منها :

١ــ ان الكتب تسجل بعض النشاط العلمي ولا تستوعب كل المعرفة العلمية ، وهي تغفل مقداراً غير قليل من الحقائق المعروفة والمتداولة بين الناس والتي قد تدرس وتنقل شفاهاً .

٢ــ انها لا تسجل اسماء جميع العلماء الذين شاركوا في نشر العلم وتقدمه لانها قلّ ما تصف الطرق التي كشفت وثبتت فيها الحقائق .

٣ـ انها لا تصف الحماس والنشاط في البحث .

٤ـ إن الكتب قد تثبت أحكاماً متأثرة برأي المؤلف أو بما هو سائد في عصره ، على الأوضاع السائدة في القديم ، وبذلك تشوه الصورة الحقيقية لواقع الاحوال السائدة في زمن معين ، وتغفل تطور هذه الأوضاع ، كما انها قد تبالغ في رفع مكانة افراد ، وتنقص من مكانة آخرين ، لأنها تحكم على الافراد بمقاييسها الخاصة .

٥ـ ان الكتب تبرز أفكاراً معينة تنسجم مع أفكار المؤلف ومعاييره ، وتغفل أفكاراً قد تكون أهم وأروع في أثرها من عصرها ، وفي دقتها وجِدّتها وأهميتها في الكشف عن الحقيقة .

هذه الحقائق يجب أن توضع نصب أعين الباحثين في تاريخ العلم الذي يجب ان يكون من اهدافهم فيه إبراز مدى انتشار الحقائق العلمية في كل مجتمع ، ومدى الحماس في دراسة العلم ، ومدى الدقة والأمانة العلمية في الكشف عن الحقائق ، أي الخُلُق العلمي ، ومدى صحة هذه الحقائق واثرها في تزايد المعرفة ، أي الأصالة في المعرفة ، بالاضافة الى قيمتها تبعاً لمعايير وحقائق المعرفة الحالية .

(٢) إسهام أهل الجزيرة في نمو العلم عند العرب

لما كان الغرض من بحثنا دراسة احوال العلم وتطوره ابان العهود الأولى التي كانت للعرب السلطة العليا في دولتهم ، وكانت العربية هي اللغة العالمية الوحيدة للعلم ؛ لذلك يجدر ان نبدأ بالبحث اسهام العرب في بناء الصرح العامي .

جزيرة العرب قبل الاسلام :

ان شبه جزيرة العرب ارض واسعة ، مناخها صحراوي قليل الأمطار ، غير انها مُنَوّعة في طبيعة اراضيها ، وثرواتها ، ونشاطات أهلها ؛ ففيها سلاسل جبلية طويلة ، وهضاب واسعة ، ووديان كثيرة بعضها طويلة ، وفيها أيضاً مناطق مستوية تغطى بعضها كثبان الرمال ، الا ان فيها مساحات واسعة أرضها صلبة . وتتوفر في بعض مناطقها مياه باطنية تمدّ الآبار والينابيع بما يكفي لزراعة النخيل والحبوب والخضر وبعض أشجار الفاكهة ؛ وفيها أيضاً مناجم غنية ببعض المعادن ، وخاصة الذهب والفضة . وهذه الأمور كانت من عوامل ازدهار الحياة الاقتصادية والعمرانية في عدد من مناطقها ، وخاصة في أطرافها الساحلية حيث ظهر منذ أقدم الأزمنة عدد من المدن التي كانت مركز نشاط تجاري ، وفيها عدد من الموانىء لصنع السفن ورسوها .

ظلت شبه جزيرة العرب بمنأى عن أي حكم أجنبي مباشر ، فلم تحكمها أو تسيطر عليها دولة اجنبية تفرض عليها نظمها وحضارتها ؛ ولم تتعرض الا الى قليل جداً من الغزوات الأجنبية لم تتعد اطرافها ولم تفلح في ترسيخ حكمها مدة طويلة . ثم إن الأحوال الجغرافية لجزيرة العرب لم تكن تشجع الهجرات اليها ، فلم يهاجر اليها ليستوطنها من الدخلاء إلا أعداد قليلة نسبياً استقر معظمهم في مناطق اطرافها القريبة من الأقاليم الأعجمية التي تكثر فيها الموانئ للسفن المبحرة الى البلاد النائية .

اتصالاتها :

غير أن جزيرة العرب لم تكن منطقة مغلقة ، أو منعزلة عن العالم ، فان موقعها الجغرافي بين بلاد الهند والشرق الاقصى وافريقية من جهة وبلاد البحر المتوسط من جهة أخرى ، جعل كثيراً من التجارات تمر بها ، لأنها اقصر الطرق ، ودفع عدداً من اهلها الى ممارسة الملاحة وتسيير القوافل والتجارة ، ولا ريب في أن تجارتهم كانت اوسع مع الاقاليم المجاورة ، غير أنها لم تقتصر على هذه الأقاليم ، وانما امتدت الى مناطق أبعد ، والراجح أنهم وحدهم قاموا منذ ازمنة قديمة بالملاحة في البحر العربي والمحيط الهندي ، ووصلت سفنهم الى بلاد افريقية الشرقية ، والى الهند وربما الى الصين ، يؤيد ذلك توفر الاشارات الى التجارة مع الهند ، وعدم وجود اية اشارة أو دليل على وصول السفن الهندية او الافريقية الى بلاد العرب ، وكذلك احتفاظهم حتى المئة الأولى قبل الميلاد بسر معرفة تبدل اتجاه حركة الرياح الموسمية التي كانت لها أهمية أساسية في سير السفن ، علماً بأن معرفة الإغريق لهذا التبدل لا يستلزم قيام السفن الإغريقية بالابحار الى الهند .

وامتد النشاط التجاري العربي في الغرب ، فشمل البلاد الواقعة حول البحر المتوسط حيث وصلت سفن الفينيقيين الى سواحل اسبانية الشرقية ، واقاموا مستوطنة قرطاجنة في تونس ، وتدل شواهد القبور المكتوبة بالمعينية التي وجدت في شمالي إفريقية وجنوبي فرنسه وديلوس على أن تجار اليمن وصلوا الى هذه المناطق .

أما امتداد النشاط العربي التجاري في الهضبة الايرانية ، فيمكن استنتاجه من الاخبار التي تتردد عن وصول جيوش شمر يرعش الى اواسط آسية ، واذا كانت هذه الاخبار لا تسندها معلومات المصادر الاجنبية ، فانها قد تعكس امتداد التجارة اليمنية الى تلك الاقاليم ، ويلاحظ أن الجيوش العربية التي تقدمت في زمن الخليفة عثمان بن عفان لفتح خراسان ، لم تواجه صعوبة في اختيار مسالك الطرق التي تيسر لهم الوصول الى خراسان . ومن المحتمل أن

التجار العرب كانوا يعرفون هذه الطرق ، وأنهم كانوا أدلاء الجيوش العربية الى هذه الاقاليم النائية .

ولا ريب في أن عدداً من هؤلاء التجار العرب كانوا يقيمون دائماً في البلاد التي يتاجرون معها ، غير أن عدداً أكبر كانت اقامتهم مؤقتة وظلوا يحتفظون بمقامهم الدائم في موطنهم الاصلي في جزيرة العرب .

أتاحت التجارة للتجار الاطلاع على المنتوجات والسلع الاجنبية ، وعلى أوضاع الحياة والنظم والمعاملات والقوانين السائدة في المجتمعات التي يتاجرون معها ، مما يساعد على اقتباس مفردات لغوية من أسماء السلع ومصطلحات النظم ، ومعرفة بالمعاملات ، فضلا عن اثرها في زيادة الثروة وتمكين مركز التجار . غير أنه ينبغي تحاشي المبالغة في تقدير سعة اثر التجارة أو عمقها في نظم الحياة الاجتماعية ، أو في نشاط الحركة العقلية والفكرية .

وفي ميدان العقائد والدين عبد أهل الجزيرة عدداً من الآلهة التي كانت تعبد في الأقاليم المجاورة ، مثل الإله بعل ، وعثر ، واللات ، ومناة ، والعزّى غير أن المعلومات المتوفرة حتى الآن عن اصول هذه الآلهة ، أقل من أن تكفي للبت في أصلها ، أهو من شبه جزيرة العرب ثم انتقل الى الأقاليم المجاورة ، ام هي دخلت الى جزيرة العرب من تلك الأقاليم .

وقد دخل جزيرة العرب بعض الأديان التي ظهرت وانتشرت في الأقاليم المجاورة ، وهي المسيحية واليهودية والمجوسية . وقد ذكر القرآن الكريم الدينين الأولين في عدد كبير من الآيات ، وذكر الأخيرة في آية واحدة ، الأمر الذي يدل على قلة انتشارها . والمعروف ان المسيحية ارسلت بعثات تبشيرية الى عدة مناطق من شبه جزيرة العرب . غير أن نشاط البعثات التبشيرية في شبه جزيرة العرب لا يعني أنه كان لهم دور اجتماعي أو ثقافي كبير في حياة العرب ، إذ أن المسيحية لم تنتشر الا بين عدد محدود من الناس ، ولم تكن عميقة في نفوس معتنقيها ، خاصة وانها قامت على افكار فلسفية يصعب على غير المتبحرين فهمها بله التشبع بها ، فهي لم تثر نشاطاً فكرياً شعبياً عند الناس ،

ولا أثرت في تنمية مُثُل اجتماعية ذات تأثير فعّال في نظم الحياة ، ولذلك تخلى عنهم معظم الداخلين اليها ، ودانوا بالاسلام وتمسكوا به . ولا ريب في أن البعثات التبشيرية عنيت بامور الدين ، ولا يوجد دليل على اهتمامها بالدين .

يتبين مما سبق أن جزيرة العرب لم تكن معزولة عن العالم ، وانما كانت لأهلها رحلات متعددة الى كثير من البلاد الأخرى ، وانها تعرضت لمؤثرات ثقافية أجنبية ، ولكن هذه المؤثرات لم تكن واسعة أو عميقة ، ولذلك حدثت تطوراتها السياسية والاجتماعية والثقافية بتأثير عوامل ومؤثرات داخلية قبل كل شيء آخر .

كانت شبه جزيرة العرب عند ظهور الإسلام مفككة سياسياً ، فلم تكن فيها دولة كبيرة تسيطر عليها أو على أجزاء واسعة منها ؛ وانما كان فيها عـــدد من الحكّام يسيطر بعضهم على أقاليم جغرافية ، كالذي كان في اليمن واليمامة وعُمان ، ويقتصر سلطان بعضهم على القبيلة التي ينتمي اليها ، كما اتخذت بعض المدن نظماً خاصة بها ؛ وكان النظام القبلي سائداً في ارجائها .

لم يصل إلينا من جزيرة العرب الا النزر اليسير من الوثائق المعاصرة ، وهذا لا يكفي لرسم صورة واضحة عن النشاط العلمي ومدى تقدمه فيها . غير ان قلة المعلومات المكتوبة التي وصلت الينا ، لا تعد دليلاً على جهل العرب بالكتابة أو قلة انتشارها بينهم ، كما انها لا تعتبر مظهراً لجهلهم بحقائق العلم وصدوفهم عن المعرفة ؛ فاما الكتابة فان مطالب الحياة كانت تقضي بتعلمها واستعمالها لتدوين وثائق البيوع والمكاتبات والتجارة وتأمين المراسلات بين المتباعدين في السكن ، عدا الاغراض الدنيوية والدينية .

القرآن الكريم ودلالاته على العلم عند العرب :

ان القرآن الكريم ، وهو كتاب الله المنزل الذي يقرؤه المسلمون ويحافظون على حرفيته ، هو الكتاب الواسع الوحيد الذي وصل الينا محتفظاً بدقته وضبطه ؛ وهو نزل مُنَجّماً خلال مدة ثلاث وعشرين سنة يدعو الى الاسلام ويوضح نظمه

ويثبتها في نفوس المسلمين . وتطلبت الدعوة ان يخاطب القرآن الكريم الناس بما يفهمون ، ويشير الى كثير مما كانوا يعرفون ، ويذكر بعض ما كانوا يعتقدون و . صرفون .

(١) الكتابة :

ومن الظواهر الواضحة في القرآن الكريم كثرة اشاراته الى الكتابة وادواتها وحفظ سجلاتها ، فقد ذكر من أدوات الكتابة : القَلَم (في سورة القلم ١ ، والعلق ٤ ، ولقمان ٢٧ ، وآل عمران ٤٤) والقرطاس . (الانعام ٧ ، ٩١) والرَق (الطور ٢) والمداد (الكهف ٩ — ١٠) وذكر القرآن الكريم « الكتاب المسطور » (الكوثر ١٢ ، الأحزاب ٦ ، الاسراء ٥٨) والألواح (الاعراف ١٤٥) والسجل الذي يطوي الكتب (الأنبياء ٤) والصُحُف (المدثر ٥٢) والصُحُف الأولى (طه ١٣٣ ، الأعلى ٢) وصُحُف موسى وابراهيم (الأعلى ١٣ ، النجم ٣٩) وأن القرآن الكريم في « صُحُف مُكَرَّمة » (عبس ١٣) « وصُحُف مطهرة » (البينة ٢) .

وذكر القرآن الكتابة بصيغة فعل الامر في ٢٦ آية ، وبالمعنى الشائع في سبع آيات ، ووردت كلمة (كتاب) في ٢٩ آية والذين اوتوا الكتاب في ٣٢ آية ، وبمعنى الكتب المقدسة في الأديان السماوية في ٣٨ آية ؛ علماً بانه ذكر التوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم في آيات عدة ، ووردت كلمة (الكتاب) بمعنى القرآن الكريم في كثير من الآيات وأوجب القرآن الكريم كتابة بعض الوثائق كالدَيْن (البقرة ٢٨٢) وعقد النكاح (البقرة ٢٣٥) ومكاتبة الرقيق عند تحريرهم (النور ٣٣) .

ومن الواضح أن كثرة تردد الكتابة في القرآن الكريم هي دليل على مدى انتشارها ومعرفتهم بها ، خاصة أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين (النحل ١٠٣ ، الشعراء ١٩٥ ، الزمر ٨) أي أنه استعمل المفردات اللغوية المعروفة لديهم . وقد أدرك الرسول (ص) أهمية الكتابة في الحياة ، فحض

على نشرها ، ويروى أنه أمر بفك الأسارى المشركين في معركة بدر اذا علموا عدداً من المسلمين الكتابة ، واستعمل الرسول عدداً من المسلمين الذين يعرفون الكتابة لكتابة آيات القرآن الكريم المنزلة ولكتابة الرسائل التي يرسلها الى الملوك والرؤساء والافراد في داخل الجزيرة وخارجها .

ثم ازدادت الحاجة الى الكتابة والتدوين بعد توسع الدولة واستقرارها وذلك لحفظ سجلات العطاء ومراسلات الخليفة والولاة ، وتنظيمات الجباية والخراج . واستخدم كل خليفة ووال كُتّابا لهذا الغرض ، وأماكن خاصة لحفظ السجلات واستقرت نظم الدواوين ، وكانت المكاتبات تُدوّن بالعربية ، وقد وصلت الينا مقتطفات منها ، غير أن معاملات الجباية والخراج تدون في لغات أخرى هي الفارسية في العراق والاغريقية في الشام ومصر ، وظل ذلك متبعاً الى ان ولي عبدالملك بن مروان الخلافة فأمر بتعريب الدواوين أي كتابتها باللغة العربية وقد تم ذلك حوالي سنة ٧٥ في العراق والشام ، ثم في سنة ٩٠ في خراسان والتزم الكُتّاب بتسيير استعمال اللغة العربية في الدواوين فكان ذلك من عوامل زيادة متانة الوحدة الثقافية في الدولة ، وساعد على نشر اللغة العربية في دواوين الدولة ومعاملاتها الادارية والمالية ودفع الى زيادة العناية بدراسة قواعد اللغة العربية ومفرداتها وكانت الكتابة منذ الازمنة السابقة للاسلام عنصراً أساسياً في كمال الرجال.

(٢) المعارف والمعلومات :

في القرآن الكريم كلمات تدلّ على مدى معرفة العرب ببعض العلوم وأثرها في حياتهم ، ففي ميدان الحساب مثلاً تردد ذكر الأعداد الآحادية والعشرات ، والمئات ، والألوف ، وبعض الكسور ، وبعض التعابير الدالة على التعدد كالبضع والمضاعفة والجمع والنقص والقسمة ، وفيه إشارات كثيرة الى الحساب ، ويوم الحساب ، والى الموازين ، وحفظ السجلات والكتب . ويظهر

تكرار هذه التعابير واستعمالها باشكالها الحقيقية والمجازية مدى انتشارها بين الناس .

وفي القرآن الكريم اشارات الى بعض المظاهر الفلكية وسير الشمس والقمر، والحق أن بعض الفرائض الإسلامية ،كالصلاة والصوم والحج ، لا تتم بدقة بغير معرفة الظواهر الفلكية وسيرها ، لأنها تعتمد على الشهور القمرية التي يتطلب تنسيقها مع السنة الشمسية معرفة بالفلك .

إن إشارتي الى بعض الظواهر العلمية في القرآن ، لا يعني أني استوعبتها ، وانما قصدت من ذكرها الإشارة الى مصدر معتمد فيه مادة غنية تنتظر الباحثين لدراستها وإظهار دلالاتها على مدى التقدم العلمي وانتشار التفكير العلمي ،علماً بأنّ تكوين الدولة وتوسعها استلزم اتباع تنظيمات تتطلب استعمال حقائق العلم.

(٣) أساليب المعرفة وطرقها :

وفي القرآن الكريم حضٌ على استعمال العقل للتفكير ، وأثنى على ممارسيه ، وردّد في آيات كثيرة عدة تعابير لمختلف مظاهر المعرفة ودرجاتها ، ومن هذه التعابير « رأي » (٣٣٢ موضعاً)،و « بصر » (١٤٩)، و« نظر»(٩٩)، و « عرف » (٢٤) .

وترددت فيه كلمة « العقل » (٤٨) مرة ، والفكر (١٩) ، و « اللب » بمعنى العقل (٦) . كما ذكر من أساليب الحوار « الجدل » (٢٩) « والحجاج » (١٩) والمُشَاقَة . ووردت كلمة « علم » ومشتقاتها في ٨٠٠ آية ، منهــا ما يتصل بذات الله(٥٨٦) ومنها ما يتصل بالبشر والناس (١٨٤) ، كما ذكر القرآن الكريم « الذين أوتوا العلم » في تسع آيات ، و «الراسخون في العلم » في آيتين ، وأشاد بالعلماء فقال « إنما يخشى الله من عباده العلماء » (فاطر ٢٨) وقال « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » (المجادلة ١١) وذكر الحكمــة في ست عشرة آية، منها عشر قرنها بالكتاب ، وآية قرنها

بالملك ، وأخرى أنه آتى اقمان الحكمة ، (لقمان)١٢ ،وقال تعالى « يؤتى الحكمة من يشاء ، ومن يُؤْتَ الحكمةفقد أُوتي خيراً كثيراً » (البقرة ٢٦٩) ، وقد أوحى الى الرسول من الحكمة (الاسراء ٣٩)وطلب اليه « أدْعُ الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » (النحل ١٢٥) .

ووصف تعالى ذاته بأنه « عزيزحكيم » (٤٥) ، وعايم حكيم (٣٤)، « وحكيم خبير » (٤) و « عليٌ حكيم » (٢) كمـــا وصف ذاته في آيات منفردة بأنه « تـوّاب حكيم » ، و « حكيم خبير و « واسع حكيم » .

(٤) الإهتمام بالفرد والاخلاق :

وفي القرآن الكريم اهتمام بالفرد ، واصلاحه وتنمينه ، لوضعه في مكانه الصحيح في المجتمع من حيث انه اللبنة الأولى التي يتكون منها المجتمع ، واعتد الفرد كياناً خاصاً ، فجعله مسؤولاً عن تصرفاته الدينية والاخلاقية والقانونية . وأوجب الإلتزام بقواعد اخلاقية أساسية منها الصدق والأمانة والصبر وحبالخير للمجتمع ، وهي مبادئ أساسية للبحث العلمي السليم .

(٥) الحرية :

ومن الأمور الاساسية التي فرضها الإســـلام « الحـــرية » التي تتصـــل بالفرد وتصرفاته ، إن المسؤولية الفردية تنبع من الحرية التي يتمتع بها الفرد في ممارسة إرادته ، وانطلاقاً من الحرية تقوم الدعوة الاسلامية على الجدل والاقناع العقلي المستند الى احترام الفرد وتمتعه بالحرية : « وجادِلْهُمْ بالتي هي أحسن»، « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغيّ » .

والحرية في الاسلام واسعة ، لايحدها الا الاضرار بمصلحة الآخرين أو تهديد المجتمع وسلامته ، او المس بأسس العقيدة ، وهي تمتد الى ميادين واسعة كحرية التنقل والعمل والكسب بالطرق المشروعة ، وتشمل دراسةالآراءوالافكار

والمعتقدات وبحثها وتمحيصها للأخذ منها بما يراه المرء صحيحاً او مقنعاًبقناعة ذاتية ، ومن غير فرض أو الزام ، ومن غير الرجوع الى سلطة تفرض ذلك سرآً ، فليس في الاسلام طبقة اكليروس أو كهنوت يحتكرون المعرفة ويفرضونها على الناس ، ومن الطبيعي ان تكون مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم بنزول الوحي عليه وهو اعرف بالاسلام ومتطلباته ، اما الصحابة فبالرغم من مكانتهم العظيمة وما يحظون به من الاحترام ، كانوا كالشراح والمفتين والمجتهدين ، وليست لآرائهم صفة الالزام . والحرية مستلزم أساس للنهوض بالدراسات وإنمائها ، وتمحيص الحقائق وتنويعها .

(٦) اللغة العربية الفصحى :

ومن ابرز الظواهر التي تميز بها القرآن الكريم نزولهُ باللغة العربية ، وقد أشار القرآن الكريم الى ذلك في عدد من الآيات في سورة يوسف ، ٢ والرعد ٣٧ ، وطه ١٣ ، وفصلت ٣ ، والزخرف ٣ ، والشورى ٧ ، والاحقاف ١٢ ، وأن لغته سليمة أصيلة « قرآناً عربياً غيرَ ذى عِوَج » (الزمر ٢٨) ، وبلسان عربي مبين (النحل ١٠٢ ، الشعراء ١٩٥)،وعروبته الأصيلةالواضحة هي من ادلة أصالته وعدم اقتباسه من الأعاجم « لسان الذييلحدوناليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين » (النحل ١٠٣) والغرض الرئيس من نزوله بالعربية أن يتفهمه العرب « إنا أنزلناهُ قرآناً عربياً لعلكم تعقلون » (يوسف ٢ ، الزخرف ٤ ، فصلت ٣) وقد جاء فيه أنه « كتاب مبين » في أربعة عشر موضعاً وأنه « البلاغ المبين » في سبع آيات .

تظهر هذه الآيات أن القرآن الكريم نزل باللغة العربية التي كانت سائدة عند أهل الجزيرة ، وعامة عندهم ، فهي اداة تجمعهم وتشدهم الى بعضهم وتوحدهم فكرياً ، وهي اللغة التي نظم فيها الشعراء من مختلف المناطق ، وعبَّر فيها البلغاء الأمثال والحكم المختارة والأقوال المنتخبة التي رويت عمن عاش خلال

المائة والخمسين السنة التي سبقت الاسلام .

والقرآن الكريم كتاب هداية ، وأكثر آياته تتعلق بالعقيدة الدينية والنظرة الكونية الشاملة ، بالاضافة الى اهتمامه بالتوجيه السلوكي والاخلاقي للانسان وبمبادئ تتصل بالنظم والعلاقات الاجتماعية والتطورات التاريخية وقد استوعبت مفردات اللغة العربية بوضوح التعبير عن كل ماتقدم ، بالاضافة الى المفردات المتعلقة بمظاهر الكون والفلك ، كالشمس والقمر والنجوم والابراج والسنين والشهور والايام والساعات ، واعداد الحساب بما في ذلك الآحاد والعشرات والمئين والالوف وكسور الآحاد كالنصف والثلث والربع والخمس والسدس ، والعمليات الحسابية كالجمع والقسمة والمضاعفة والانقاص ، ومظاهر المناخ كالهواء والرياح والعواصف والامطار ، والمياه ، والانهار ، والبحار ، والنبات ونموه وبعض المحاصيل النباتية كالنخيل والاعناب والزيتون والرمان ، وبعض الحيوانات ، واسماء اعضائها .

فالقرآن الكريم يظهر بعض معرفة العرب في عدد من الجوانب العلمية ، ويظهر ايضاً كفاية اللغة العربية بالنهوض بأي تقدم علمي ، وذلك بكثرة مفرداتها ومرونتها وقابليتها للاشتقاق ، والواقع ان هذه السمة المميزة مكنتها من استيعاب التطورات الفكرية التالية ، وافادت كثيراً من الأمم في الشرق والغرب في مواجهة التطور العلمي فاستعارت الكلمات العربية للتعبير عن المصطلحات والافكار العلمية التي تبنتها فيما بعد .

اللغة العربية أداة التفكير العلمي ووعاء المعرفة :

إن سيادة اللغة الفصحى العامة لم تمنع وجود اختلافات في لغة القبائل أو المجتمعات أو الاوساط المختلفة ، سواء في نطق حروف الامالة أو تبديل حروف بعض الالفاظ أو استعمال كلمات تناسب البيئة المحلية الطبيعية أو الثقافية للمتكلمين . وهذا التباين الذي نسميه لهجات كان محلياً في مكانه ،

محدوداً في نطاقه، ضعيفاً في أثره. وظلت الفصحى سائدة في العرب، يعتزون بها، ويحرصون على استعمالها، فانتشرت حيثما اقاموا، وساعد القرآن الكريم على تثبيت مكانتها، لأنه نزل بها، فكان على المسلمين من عرب وغيرهم أن يستعملوها في قراءة القرآن الكريم وإداء الفرائض، ثم عمت بعد تعريب الدواوين، الاوساط الادارية، واصبحت تستعمل في سجلات المالية والخراج، ومالبثت أن أصبحت لغة العلم والتجارة والحياة، فاستعملها الاعاجم المتصلون بالعرب، وخاصة من أقام منهم في الامصار العربية.

قامت الدولة الاسلامية الجديدة على العرب، فمع أن شعارها إعلاء كلمة الله وسيادة الاسلام، إلا أن المكانة الخاصة المتميزة فيها كانت للعرب الذين ظهر الاسلام فيهم، ونزل القرآن الكريم بلغتهم، وكان منهم المسلمون الأولون الذين تشبعوا بآرائه وعقائده، ومنهم الخلفاء والقادة وكبار الاداريين وكذلك المقاتلة الذين انتصروا في المعارك ووسعوا رقعة الدولة، وحمَوا حدودها، وثبّتوا الأمن والاسقرار فيها، وظلت جزيرة العرب «معيناً» و «مادة» للاسلام، تمد المقاتلة بالرجال، فتعوّض مايفقدون، وتزيد من قوتهم العسكرية

كان للاسلام وتكوين دولته أثر كبير في ازدهار الحركة الفكرية العربية، وتركز نشاط هذه الحركة في العهود الاولى في الامصار، وبصورة خاصة في المدينة والبصرة والكوفة وقام بالدرجة الأولى على العرب، واهتم بميادين المعرفة التي يعنى بها العرب، وهي الشعر والأدب وقراءة القرآن وتفسيره والفقه والحديث واللغة. وأسهم عدد من الموالي في الحركة الفكرية ضمن هذا النطاق وفي هذا الميدان. ولاريب في أن هذه الحركة تأثرت في نشاطها ومسارها بالاحوال السائدة في الامصار التي اقيمت في أقاليم ذات حضارة تختلف في كثير من سماتها عن ماكان سائداً في الصحراء، وتأثرت بأحوال الأقاليم

التي تشرف الامصار على إدارتها والأمن فيها ، مما كان يتطلب تعزيز الصلات الادارية والمالية والبشرية فيها ، إذ كانت الحاميات العربية التي تقيم في تلك الأقاليم تؤخذ من المصر الذي يتبعه ذلك الأقليم .

كانت صلة أهل الامصار في الأزمنة الاولى وثيقة بشبه جزيرة العرب ، وارتباطات كل عربي من أهل الامصار قوية بمن ظلّ من عشيرته مقيماً في الجزيرة؛ ولكن على ممر الايام ازدادت العلاقات بين المقيمين في المصر الواحد الذي انمى بالتدريج « شخصية » متميزة يعززها الاشتراك في مكان الاقامة وفي المصالح والعلاقات التي كثيراً ماإصطدمت بالامصار الأخرى رغم تشابه أصول وعشائر سكانها ، ورافق كل ذلك إضعاف العلاقة بين العرب المقيمين في الامصار وعشائرهم التي ظلت في الجزيرة . غير أن العلاقات رغم ضعفها ظلت قائمة بين القاطنين في الامصار والمقيمين في الجزيرة ، وظل أهل الأمصار يرون أن أصولهم من الجزيرة ، وخصائصهم تتجلى في المقيمين في الجزيرة ، أي أن كثيراً من مشُاهم الثقافية كانت في الجزيرة ، وخاصة في اللغة والروابط القبلية والتاريخ .

دراسة لغة اهل الجزيرة : اللغة المعجمية واللغة العامة

ان إيمان العرب بتميز الخصائص الثقافية العربية ، وحرصهم على معرفة هذه الخصائص وتسجيلها ، وادراكهم احتفاظ الصحراء بها ، دفع عدداً من المعنيين منهم الى الاتصال بأهل الصحراء للحصول على المعلومات عنها. وسلك هؤلاء المعنيون سُبلاً متعددة ، فمنهم من كان يتبع الأعراب الوافدين الى الامصار والاستماع اليهم أو مساءلتهم ، ومنهم من كان يرحل الى مواطن القبائل في الصحراء ليستمد من أفرادها المعلومات عن ثقافتهم ومعارفهم وأحوالهم ، وبرز في هذا الميدان عدد من العلماء (انظر تفاصيل أوفى عن ذلك في كتاب « الاعراب الرواة » للدكتور عبدالحميد الشلقاني ، و«تاريخ الأدب العربي» لمصطفى صادق الرافعي ، و « المعجم العربي » للدكتور حسين نصّار) .

كانت أغلب رحلات الرواة الى المناطق الواقعة بين العراق والحجاز ، أي الى قبائل تميم وطيّ وأسد وغطفان وعامر بن صعصعة ، التي عدّوا لغاتها أفصح اللغات (المزهر – للسيوطي) ، وهذه القبائل تقع ديارها على الطريق الرئيسة التي تربط العراق بمكة والمدينة ؛ ويلاحظ أن القرآن الكريم نزل على الرسول (ص) في مكة والمدينة اللتين ليس فيهما إلاّ افراد قليلون من هذه القبائل ، كما ان معظم شعراء المعلقات لم يكونوا من هذه القبائل . ثم إن ديار هذه القبائل شحيحة المياه ، قايلة الواحات والمناجم ، وبعيدة عن سواحل البحار وما فيها من نشاط تجاري وملاحي ،فحرص الرواة على الاعتماد على هذه القبائل حصر للمادة التي جمعوها في نطاق ضيق ، لأنه أخرج ماعند قبائل كثيرة من كيان ثقافي ، ومنهم من كان يسكن أطراف العراق والشام ، مثل تغلب وبكر بن وائل وكلب وإياد ، أو يقيم في البحرين وعمان ، مثل عبدالقيس والأزد ، وكذلك قبائل اليمن وحضرموت واهل المدر في الجزيرة .

وأغفل الرواة دراسة كثير من الكلمات التي استعملها العرب المستقرون في الامصار الجديدة ، وبذلك اقتصرت عنايتهم على البدو دون الحضر ، ولم يعنوا بتدوين التطورات التي حدثت في الامصار بعد الاسلام وأدت الى توسع اللغة وزيادة مفرداتها . وبذلك قرنوا العروبة بالبداوة ، وضيقوا نطاقها واخرجوها عن دائرة التحضر ؛ وهم بهذه النظرة المحدودة فسحوا المجال للقيام بدراسات للكلمات المستعملة من مناطق ومجتمعات عربية أخرى . وقدموا حجة يستند عليها بعض من لهم نيات مريبة في البحث عن أصول كثير من الكامات العربية في اللغات الأعجمية .

ولاريب في ان دراسة الكتب العلمية التي ألفت منذ اواسط القرن الثاني الهجري تكشف عن معلومات زاخرة بمفرداتها وافكارها مما استعماه العرب ، ولاسيما المتحضرون المعنيون بانماء المعرفة والعام . وقد ادرك عدد من المحدثين من علماء الغرب والعرب ، اهمية المادة التي اغفلها الرواة . فأعدوا قوائم بالمفردات

المستعملة من الكتب ، وقام بعضهم بشرح معانيها ؛ نذكر على سبيل المثال منها القائمة النتي اعدها دي غويه للكلمات « غير المعجمية » التي وردت في تاريخ الطبري ، وفي فتوح البلدان للبلاذري ، والملحق الذي قام باعداده المستشرق دوزي للمعاجم العربية . ولايزال المجال مفتوحاً لأعمال أوسع تستوعب جرد الكلمات الكثيرة في كتب الفقه والطب والعلوم الاخرى ، وسيساعد ذلك على توسيع معلوماتنا عن مدى امتداد المعرفة العلمية عند العرب .

ان المعلومات التي جمعها الرواة ، رغم حدودها ، لاتعبّر عما كان سائداً في زمن تسجيلها (أي في المائة الثانية للهجرة) ، وانما كانت تعبّر أيضاً عن بعض حضارة عرب الجزيرة وثقافتهم عند ظهور الاسلام وقبله ، لأن القبائل التي اعتمدت في نقل المعلومات عنها ، كانت تسكن في مناطق منعزلة ، ولم تكن معرضة لتأثيرات حضارية واسعة .

ويتبين من مفردات اللغة العربية التي جمعها الرواة ودوّنها اصحاب النوادر والامالي والمعاجم ، أن العربية كانت غنية في التعبيرات عما يتصل بالانسان ، وفي جملة ذلك تكوين جسمه واعضائه واجزاء بدنه واحساساته وعواطفه، وكذلك مايتصل بالحياة المادية لسكان الجزيرة ، من ملبوسات ومأكولات وأثاث ولوازم وأسلحة؛ كما أنها غنية بكليات وجزئيات مايتعلق بالحيوانات في الصحراء بما في ذلك أسماؤها وأعضاؤها وغذاؤها ولوازمها وهي غنية أيضاً بما يتعلق بالأرض والتضاريس والتربة والنبات وبمظاهر المناخ من رياح وأمطار ، وفي النجوم وكثير من مظاهر الفلك .

واللغة العربية تظهر الطابع الانساني للحضارة العربية أي في الاهتمام بالانسان ، وهو المخلوق الاجتماعي الذي يتسم بالاحساس والشعور وتذوق الجمال ، ويدرك قيمة الأخلاق والسلوك الاجتماعي والحياة الاجتماعية ، كما تظهر ادراكهم لتطورات الزمن

وتشبعهم بالحس التاريخي المعبر عن نفسه بالاهتمام بأخبار الماضي وسننهم وتقاليدهم ، والعناية بالانسان والاعتزاز بالمجيد من أعمال الآباء والأجداد .

وعني الرواة أيضاً بنقل ماكان يُردّدهُ أهل المناطق التي زاروها من شعر نُظمَ بالفصحى وفيه مادة لغوية غنية ، فضلاً عن أن وزنهُ يدل على المستوى الفني والادراك الموسيقي عند العرب .

التدوين والكتب :

كان الرواة يعرضون معلوماتهم شفاهاً لمن يتحدثون معهم أو في حلقات العلم التي كانت تجمع المعنيين ، ولما نشط التدوين وازداد تأليف الكتب ، بدأ هؤلاء الرواة واهل المعرفة في تدوين معلوماتهم فوفروا للناس مادة معتمدة للدراسة وقد سجل ابن النديم في كتابه «الفهرست» اسماء أكثر المؤلفين والكتب العربية حتى سنة ٣٧٧ ، وكانت للكتب التي ألفها المعنيون بثقافة اهل الجزيرة مكانة واضحة من حيث عددها وتنوع مواضيعها ، وتدل عناوين هذه الكتب على أن بعضا كان يختص بموضوع واحد أو مواضيع محددة ، والبعض الآخر كان يحتوي على معلومات عامة من مواضيع متعددة ومنوعة ، وكلها معلومات من ميدان العلوم بالمعنى الذي حددناه .

فأما الكتب المفردة لموضوع واحد فان عناوينها تظهر مدى اختصاصها بالعلوم ، وهي تشمل مايتصل بالانسان والحيوان ، ويبلغ مجموع المؤلفات التي ذكرها ابن النديم فيها تسعين كتاباً ، منها لخلق الانسان (١٩) والخيل (١٩) وخلق الفرس (١٢) والابل (١٤) والغنم (٥) والنحل (٤) والطير (٤) والحشرات (٤) والحيّات (٣) والجراد (٢) وواحد لكل من الهوام ، والبُزاة ، والذُباب ، والبغال .

أما في النبات فقد ذكر ابن النديم أسماء خمسة وعشرين كتاباً منها عنوانه « النبات » (٨) ، و « النبات والشجر » (٦) و « الزرع » (٥) و « النخل » (٤) وكتاب واحد لكل من الكَرْم والعشب .

وفي أحوال الجو ذكر ابن النديم عشرين كتاباً عنوان كل منها « الأنواء » وخمسة عنوان كل منها « الأزمنة » وأربعة عنوانها « الأيام » ، وثلاثة عنوانها « الأوقات » واثنان عن « الشتاء والصيف » ، وعن « الامطار » وواحد عن « الليل والنهار »

ان التأليف في هذه المواضيع يكاد يقتصر على « علمـــاء العربية » إذ لم يترجم أو يؤلف فيها غيرهم إلا عدداً قليلاً جداً من الكتب ، كما يتبين مما ذكره ابن النديم من مؤلفات لم يعرف لهم اختصاص بعلوم وذكرابن النديم من هذه المؤلفات ثلاثة في خلق الانسان ألفها النظّام (٢٠٦) وابن الريوندي (٢١٧) وأبو هاشم (٢٢٢) ، وذكر كتاباً واحداً في الحيوان ألّفه الجاحظ وهو كتاب واسع نقل فيه عن ارسطو ، ولكن أكثر ماأورده مستمد من كتب العرب . وذكر ابن النديم خمسة كتب في البزاة ، احدها لأبي دلف (١٣٠) وأربعة ذكر أنها « للفرس ، وللترك ، وللروم ، وللعرب » (٣٧٧) .

أما في الحشرات فذكر « أجناس الحشرات » لابن البطريق (٣٧٩) و « رسالة في الحشرات » للكندي (٣٢٠) وذكر أيضاً « أجناس الحيات » لناقل الهندي (٣٧٩) و « رسالة في انواع النحل وكرائمه » للكندي (٣٢٠) والكتاب الوحيد في الحيوان الذي ذكره من كتب الاغريق هو كتاب « الحيوان » لارسطو (٣١٢ ، ٣٢٧) .

وذكر ابن النديم أربعة كتب في الجوارح ألفها محمد بن عبدالله البازيار (٣٧٧) وابن المعتز (١٣٠) وأبو دُلَف (٣٧٧) والسَرَخسي (٣٢١) ، كما ذكر للرازي كتابين عنوان أحدهما « السبب في قتل ريح السموم أكثر الحيوان » (٣٥٧) و « العلة في خَلق السِبَاع والهُوَام » (٣٥٨) .

وذكر أيضاً كتاب « تسمية اعضاء الانسان لروفس » (٣٥٠) .

أما في النبات فقد ذكر ابن النديم لابن وحشية كتاب الفلاحة (١٩٧) و « الفلاحة الكبير والصغير »(٧٣٢) وأسماء النبات لثاوفرسطوس نقله إبراهيم بن بكوس

(٣١٢) و « الحشائش » لديسقوريدس (٣٥١) وترجمة كتاب الفلاحة للروم لعلي بن محمد بن سعد (١٩٧) و « الفلاحة والعمارة » للأهوازي (١٧١)

المؤلفات :

ان الكتب المؤلفة في خلق الانسان التي ذكرها ابن النديم هي لكل من ابي مالك عمرو بن كركره (٤٩) والنضر بن شميل (ت ٢٠٤) (٥٧) وقطرب (ت ٢٠٦) (٥٨) وابي عمرو الشيباني (ت ٢٠٦) (٥٧) والمفضل بن سلمة (ت ٢٠٨) وابي عبيدة (ت ٢١٠) (٥٩) والأحوص(ت ٢١٣)(٦١) وابي زيد الانصاري (ت ٢١٥)(٦٠) وابي زياد الكلابي (ت ٢١٥)(٥٠) وسعدان بن المبارك ٧٧ ونصر بن يوسف (٧٢) وابن الاعرابي (ت٢٠٣) (٧٦) وأبي مُحلّم الشيباني(ت٢٤٧) (٥٢) ومحمدبن حبيب (ت٢٤٥) (١١٩) وابي حاتم السجستاني (ت٢٥٥)(٦٢)وثابت بن ابي ثابت(٧٦) وابن قتيبة (ت٢٧٦) (٨٦)، والحسن بن عبدالله ، والقاسم بن محمد الانباري (ت ٣٠٤) (٨١) وابي موسى الحامض (ت ٣٠٥) (٨٧) وأبي اسحق الزجّاج (ت ٣١٠) (٦٦) ومحمد بن احمد الوشاء (ت ٣٢٥) (٩٣) ومحمد بن عثمان الجعد (ت ٩٠) والحرمازي (٥٤) والأخفش (٥٨) وابي ثروان العكلي (٥٢) .

وقد فقدت معظم هذه الكتب ، وبقى منها كتاب الأصمعي ، ولكن عدداً من الكتب المتأخرة نقلت عنهم .

أما في الخيل فان ابن النديم ذكر ممن أفرد فيها كتباً : عمرو بن كركره (٤٩) ومحمد بن السائب الكلبي(ت ٢٠٤)(١٠٩) وأبا عمرو الشيباني (ت ٢٠٦) (٧٥) وأبا عبيدة (ت ٢١٠) (٢٩) والأصمعي (ت ٢١٣) (٦١) وعلي بن محمد المدائني (ت ٢٢٥) (١١٧) ومحمد بن عبدالله العتبي(ت ٢٢٨)(١٣٥) وابن الاعرابي (ت ٢٣١) (٧٦) وأحمد بن حاتم (ت ٢٣١) (٦١) والتوّزي (ت ٢٣٣) (٦٣) وهشام بن ابراهيم الكرنباني (٧٧) ومحمد بن حبيب (ت ٢٤٥)(١١٩) وابا مُحلّم الشيباني (ت ٢٤٥) (٥٢) والعباس بن الفرَج

الرياشي (ت ٢٥٧) (٦٤) وابن قتيبة (ت ٢٧٦) (١٣٥) وأحمد بن أبي طاهر (ت ٢٨٠) (١٦٣) .

وألّف في الخيل أيضاً إبراهيم بن محمد بن سعدان (٨٧) وأحمد بن حاتم ابي نصر (٦١) وابن دريد (٦٧) والأشناني (١٢٧) وابن مهرويه (٨٨) والف في انساب الخيل كل من هشام بن محمد الكلبي (ت ٢٠٦) (١٠٩) وابن الاعرابي (ت ٢٣٣) (٧٦) وذكر ابن النديم ممن ألّف كتاباً عنوانه « خَلق الفرس » كل من الأصمعي (٦١) وثابت ابن أبي ثابت (ت٢١٩) (٧٢) وابراهيم بن السري (الزّجّاج)(ت ٣١٠)(٦٦) والقاسم بن محمد الانباري (ت ٣٠٤) (٨١) وقطرب (ت ٢٠٦)(٥٨) والنضر بن شميل (ت ٢٠٤)(٥٨) وابن الوشاء (٩٣) وأبو ثروان العكلي (٥٢) وعلي بن عبيدة الريحاني (١٣٣) وقد طبع من هذه الكتب كتاب الاصمعي ، طبعة هفنر سنة ١٨٨٨ ثم الدكتور نوري حمودي في سنة ١٩٦٩ ، وطبع كرنكو كتاب أبي عبيدة سنة ١٣٥٨ ﻫ وطبع ديالا فيدا كتاب ابن الاعرابي سنة ١٩٢٨ . وطبع أحمد زكي پاشا « أنساب الخيل » لابن الكلبي .

أما الابل فذكر ابن النديم ممن أفرد لها كتاباً : النضر بن شميل (ت٢٠٤) (٥٧) وابا عمرو الشيباني (ت ٢٠٦)(٧٢) وابا عبيدة (ت ٢١٠)(٥٩) والأصمعي (ت ٢١٣) (٦١) وأبا زياد الكلابي (ت ٢١٥) (٥٠) وأبا زيد الأنصاري (ت ٢١٥) (٦٠) واحمد بن حاتم (ت ٢٣١)(٦١ و ٦٤)ويعقوب بن السكيت (ت ٢٤٤)(٧٩) وأبا حاتم السجستانى (ت ٢٥٥)(٦٤) والرياشي (ت ٢٥٧) (٦٤) وأبا الشمخ (٥٠) ونصر بن يوسف (٧٢) (٢٠٩) وقد طبع من هذه الكتب كتاب الاصمعي الذي طبعه هفنر سنة ١٩٠٣ .

أما المؤلفات المفردة للغنم ، فان ابن النديم ذكر كتاب « الغنم » للنَضْر ابن شُمَيْل (ت ٢٠٤)(٥٧) و « الشاة » لأبي عبيدة (ت ٢١٠)(٥٢) وصفات الغنم وعلاجها واسنانها للأخفش الأوسط (ت ٢١١) (٥٢) و « نعت الغنم »

و « الابل والشاة » و« المعزى » لأبي زيد (ت ٢١٥ هـ)(٦٠) و« الشاء » للاصمعي (ت ٢١٣ هـ) . وقد طبع الكتاب الأخير سنة ١٨٩٦ .

وذكر ابن النديم كتبا عنوانها « الوحوش» ألّف فيها الأصمعي(ت٢١٣ هـ) (٦١)وثابت ابن أبي ثابت(ت ٢١٥ هـ)(٧٦)وأبو زيد الانصاري (ت ٢١٥ هـ) (٦٠) وسعدان بن المبارك (ت ٢٢٠ هـ)(٧٧) ويعقوب بن السكيت (ت ٢٤٤ هـ) (٧٩) وأبو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥ هـ)(٦٢) والسكري (ت ٢٧٥ هـ)(٨٦) وسليمان ابن الحامض(ت ٣٠٥ هـ)(٨٧) والكرنبائي (٧٧) وبندار الكرخي (٩١) وقد طبع من هذه الكتب كتاب الاصمعي طبعة جايس سنة ١٨٨٨ .

وفي الطير ألّف كل من النضر بن شُمَيْل (ت ٢٠٤ هـ)(٥٨) وأحمد بن حاتم (ت ٢٣١ هـ) (٦١) وأبو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥ هـ) (٦٤) كما ألّف أبو عبيدة (ت ٢١٠ هـ) كتاباً في« الحمام» (٥٩) وقد فقدت هذه الكتب .

وفي الحَشَرات ذكر إبن النديم كتباً مفردة ألّفها أبو خيرة نَهْشَل بن زيد الأعرابي (٥٨) ويعقوب بن السكّيت (ت ٢٤٦ هـ)(٧٩) وأبو حاتم السِجِستاني (ت ٢٥٥)(٦٤) وهشام بن ابراهيم الكرنبائي (٧٧) .

وفي النحـــل ألّف أبو عمرو الشيباني (ت ٢٠٦ هـ) (٧٥) والأصمعي (ت ٢١٣ هـ) (٦١) ومحمد بن إسحق الأهوازي (١٧١ و ١٩٧) .

وألّـف علي بن عُبيدة « صفة النحل والبعوض » (٢٣٣) .

وفي الجراد ألّف المدائني (ت ٢٢٥ هـ) (١١٧) وأحمـــد بن حـــاتم (ت ٢٣١ هـ) (٦١) والأخفش الصغير (ت ٣١٥ هـ) (٩١) .

وألّف في الحيّات خَلَف الأحمر (٥٥) وأبو عبيدة (٥٩) .

وألّف إبن الأعرابي (ت ٢٣١ هـ) كتاباً في الذُبَاب (٧٦) وابن قتيبة كتاباً في الهوَام (٥٨) .

ذكرنا أن ابن النديم ذكر أسماء عددٍ من المؤلفات التي اختص كل منها بالنبات والشجر فذكر من الكتب التي عنوانها « النبَات » ألّفها إبن الأعرابي (ت ٢٠٣ هـ) (٧٦) ومحمد بن حبيب (ت ٢٤٥ هـ)(١١٩) والسجستاني (ت ٢٥٥ هـ) (٦٤) وأبو سعيد السكري (ت ٢٧٥ هـ) (٨٦) وسليمان الحامض (ت ٣٠٢ هـ) (٨٧) والكرنباني (٨٧) وابو حنيفة الدينوري (ت ٨٦ هـ) .

وذكر إبن النديم كتباً عنوانها « النبات والشجر » ألّفها الأصمعي (ت ٢١٤ هـ) (٦١) وأبو زيد الأنصاري (ت ٢١٥ هـ) (٦٠) وثلاثة كتب بعنوان « الشجر والنبات » ألّف كلاً منها أحمد بن حاتم (ت ٢٣١ هـ) (٦١) وابن السكيت (ت ٢٤٣ هـ) (٧٩) والبُستْي (١٥٤) .

والكتب التي عنوانها الزرع ألّف فيها أبو عبيدة (ت ٢٠٧ هـ) (٥٩) والسجستاني (ت ٢٥٥ هـ) (٦٤) و « صفة الزرع لابن الاعرابي (ت ٢٠٣ هـ) (٦١) ، و « الزرع والنخل » لأحمد بن حاتم(٦١) و « النبت والبقل » لابن الأعرابي (٧٦) و كتاب « الزرع والنبات والنخل وأنواع الشجر » للمُفَضّل بن سَلَمَة (ت ٢٩٠ هـ) (٨٠) .

ولابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) كتاب النبات والشجر (طبع سنة ١٩٠٩) وكذلك للعجاج البصري (ت ٣٢٧ هـ) « كتاب الشجر والنبات » .

وألّف كتاباً عنوانه « النخلة » إبن الأعرابي (ت ٢٠٣) (٧٦) وأبو عمرو الشيباني(ت ٢٠٦ هـ)(٧٥)، والسِجِستاني(ت ٢٥٥ هـ)(٦٤) وألّف الأصمعي (ت ٢١٣ هـ) « النخل والكرم » (٦١) والسجستاني « والكرم » (٦٤) و « العشب » (٦٤) .

يلاحظ من الجرد الذي عرضناه أن أبرز المؤلفين في هذه المواضيع هم الأصمعي، وأبو عبيدة ، حيث كتب كل منهم في سبعة مواضيع ، ثم أبو عمرو الشيباني ، وأبو زيد الأنصاري ، وأبو حاتم السجستاني وقد ألّف كل منهم في خمس

مواضيع ، ثم أحمد بن أبي حاتم ، وأبو زياد الكلابي ، وقد ألّف كل منهما في أربعة مواضيع ، ثم ابن حبيب ، والنضر بن شُمَيْل ، وثابت بن أبي ثابت ، والمفضل بن سلمة ؛ والزجّاج ، وقد الف كل منهما في ثلاثة مواضيع ، وألّف في موضعين كل من ابن قتيبة ، وعمرو بن كركره ، وابن الأنباري والوشّاء ، وسعدان بن المبارك ، وسليمان الحامض ، وقطرب ، والكرنباني وأبو سعيد السكري وابن السكيت والرياشي .

تتسم مؤلفات هؤلاء المؤلفين بطريقة خاصة واسلوب في العرض يختلف عن مؤلفات المتأثرين بالثقافات الاجنبية ، ومن المعلوم أن عدداً من هؤلاء ألّف كتبا في موضوع أو أكثر من المواضيع التي يعني بها أصحاب الثقافة العربية كاللغة والانساب وتاريخ العرب .

مادة علمية في كتب عامة

ولا بد من الاشارة إلى مادة من هذا الموضوع مذكورة في كتب تشمل دراسات أوسع مثل أدب الكاتب ، وعيون الأخبار لابن قتيبة ، وغريب المصنف للقاسم ابن سلام .

تضم الكتب المذكورة آنفاً تعابير لغوية ، ومعلومات عن المحسوسات المادية التي تبحثها ، وفيها أيضاً أوصاف لبعض المحسوسات ، والغالب أن هذه الكتب تعرض حقائق حول موضوع واحد ، مجموع بعضها مع بعض بصورة صُدَفيّة ، ودون أن تتبع ترتيباً معيناً ، وقلما يصحبها تحليل أو تعليل أو استنباط لقواعد عامة شاملة .

والمعلومات التي في هذه الكتب يقدمها المؤلف دون ذكر مصادره ، أو معلومات عن أسماء من روى عنهم ومكانتهم الثقافية ومدى تميزهم فيها ، وهو يذكر أحياناً اسم العشيرة التي يعم فيها هذا الاستعمال ، ومن الطبيعي أن المؤلف حصل على معظم معلوماته جواباً على أسئلة وجّهها ، فالمعلومات في الأصل جزء من ثقافة عامة لا شعورية ، ينقلها المؤلف الى الشعور ويدونها لأنه يريدها ،

أي أن المؤلف هو الذي اختار ما يدرسه من المعلومات ، ونظمها تبعاً لما يرتئي ، وهو متأثر بالبيئة الثقافية التي نشأ فيها ، فهي قد تكون بل الراجح ، جزءاً من المعرفة في المجتمع الذي نقلت عنه ، ولكننا لا نعلم مدى سعة معلومات المجتمع الذي استمدت منه ، وعدد المتبحرين فيه ، وتاريخ بدء الادراك الذي تطلب استعمال كلمة خاصة ومدى تطورها . فالمادة التي تقدمها هذه الكتب هي المعرفة العلمية المتراكمة ، وليس تاريخ تطورها . وان دراسة تطور هذه العلوم هو في الحقيقة دراسة تطور تدوين المعلومات عنها .

أما الكتب التي فيها معلومات عامة فأكثرها يحمل عنوان « النـــوادر » وذكر ابن النديم منها ثلاثين مؤلفاً . ولبعض الكتب عناوين أخرى مثل « الصفات » او « المعاني » او « الغريب » ، وهذه العناوين تدل على أنها كانت تحتوي على معلومات عامة في نطاقها ، متفردة في معانيها وغير شائعة ولا مألوفة في مراكز العلم الرئيسة ، وهي الكوفة والبصرة وبغداد ، فاختيارها متأثر بنطاق واتجاهات المعرفة في هذه المراكز . وأغلب هذه الكتب تعني بتدوين وضبط المفردات اللغوية ، وتورد معلومات عن معنى هذه المفردات أو ما يتصل بهـــا ، وأكثر اهتمامها منصبٌ على ما يتعلق باللغة وضبط اللفظ ، غير أنها تعنى أيضاً بالمعنى ، فتنظم معلوماتها على أساس معين يساعد على فهم المعنى ، وقـــد تشرح الكلمات التي توردها بما يوضح معناها . وفي عددٍ من هذه الكتب معلومات عن ما تهم بـــه العلوم ، وخاصة خَلْق الانسان ، والحيوان ، والنبات ، والانواء .

إن أغلب هذه الكتب ألّفها نفس مؤلفي الكتب ذات السمة الاختصاصية، وكلها ألفت في نفس المدة ، حيث أن مؤلفيها ممن توفوا في القرن الثالث الهجري وخاصة في نصفه الأول .

وصلت اليناأربعة من كتب النوادر هي ما ألّفه أبو مِسْحَل، وأبو زيد ، وابن

الأعرابي وثَعْلب ، وهي تعني بالشعر واللغة ، وفي نوادر أبي مسحل معلومات عن النَخْل تشبه ما ورد في كتاب النخل » للأصمعي وما ورد في غريب المصنف لابي عبيد ، وقد نشر هفنر هذا الفصل ونسبه للأصمعي ، ثم أعـاد لويس شيخو نشره في كتاب البُلْغَة .

اما الكتب التي عنوانها « الصفات » فقد ذكر إبن النديم من مؤلفيها النَضْر ابن شُمَيل (ت ٢٠٤)(٥٧) وقطر ب (ت ٢٠٦) (٦٨) والأصمعي (ت ٢١٣) (٦١) ولُغْدة الاصفهاني(ت ٢١٣) (٦١) ويبدو أن مادتها مرتبة تبعاًللمواضيع وأشهر هذه الكتب هو كتاب الصفات للنضر بن شميل الذي يقول إبن النديم إنه « كتاب كبير يحتوي على عدة كتب : الجزء الاول يحتوي على خَلْق الانسان والجود والكَرَم وصفات النساء (؟)، والجزء الثاني يحتوي على الأخبية والبيوت ، وصفة الجبال والشعاب ، والأمتعة ، والجزء الثالث للابل ، والجزء الرابع يحتوي على الغنم والطير ، والشمس والقمر والليل و النهار ، والألبان و الكماة والآبار والحياض والأرشية والدلاء ، وصفة الخمر ،والجزء الخامس يحتوي على الزرع والكرم والعنب ، واسماء البقول والاشجار ، والرياح والسحاب والامطار ، وكتاب السلاح ، وكتاب خَلْق الفَرَس » (إبن النديم ٥٧ إنباء الرواة ٣ــ٣٥٢ وفيات الاعيان ٢ــ٢١٤) .

أما الكتب التي عنوانها « الغريب المُصَنَّف » فإن إبن النديم يذكر إثنين منها أحدهما لأبي عمرو الشيباني (ت ٢٠٦) (٧٥) والثاني لابي عبيد القاسم ابن سلام ت ٢١٠ (٧٨) ، وقد وصلت الينانسخ مخطوطةمن الكتاب الأخير ، وهو مُقَسّم إلى حوالي ثلاثين قسماً ، يسمى كل منها « كتاب» ، منها كتاب لخلق الانسان ، وللاطعمة ، والأمراض ، والدور والأرضين ، والخيل ،والطير ،والحشرات وهذه الاقسام متباينة في طولها ، فبعضها يبلغ عدة صفحات ، وبعضها مكون من سطر أو أقل .

يقول ابن النديم إن أبا عبيد القاسم بن سلام أخذ كتابه « الغريب المصنف » من كتاب الصفات للنضر بن شميل(٥٧) ، و (انظر انباء الرواة ٣–١٤) ، غير أن هذا القول غير مصيب ، لان مقارنة الكتابين تظهر أن في كتاب أبي عبيد معلومات أوسع وأبواباً أكثر ، علماً بأن أبا عبيد اعتمد على عدد ممن سبقه ، وأشار إليهم في كتابه (انظر مصادر الدراسة اللغوية للدكتور محمد حسن آل ياسين (٢٩١ – ٣٠٢ ، ٢٢٨ – ٩) المعجم العربي الدكتورحسين نصار .

أمّا كتاب المعاني الكبير لابن قتيبة فهو مكوّن من اثني عشر كتاباً، كل كتاب مقسم على عدة أبواب يبلغ مجموعها ١٨١ باباً ، ومما فيها كتاب الفرس ، والإبل ، والديار ، والرياح والسباع والوحوش ، والهوام . غير أن هذه الكتب غير موجودة في النسخ الباقية التي اعتُمِد عليها في طبع الكتاب .

ونشير أخيراً الى كتاب الجراثيم ، ومنه نسخة مخطوطة في الظاهرية (رقم ١٥٩٦) وفي الكتاب فصول عن النفس والجسم، وعن الأزمنة والرياح وأسماء الدهر ، وعن السحاب والمطر ،والجبال والأرضين والفَلَوات،والنخل والكرم والخيل ونعوتها والسلاح واكتماله ، والنعم والبهائم والوحوش والسباع والطير والهوام وحشرات الأرض . فأبوابه تشبه أبواب كتاب الغريب المصنف لابي عبيد ، وقد طبع هفنر في سنة ١٩٠٨ كتاب «النَعَم والبهائم والوحوش» ، كما طبع كتاب «النخل والكرم » ، وأعاد طبعها لويس شيخو في سنة ١٩١٤ .

أثارت نسبة مؤلف الكتاب نقاشاً طويلا دون الوصول الى نتيجة ، ولكن الثابت أنه من مؤلفات القرن الثالث(انظر الدراسات اللغوية في العراق ٣١٣–٣٢١)

ومن الكتب التي عنيت بتدوين اللغة مُصَنّفة حسب المواضيع ، هي الكتب التي الفت للكُتّاب ، وهم موظفو الدواوين الذين صاروا بعد تعريب الدواوين يكتبون بالعربية ، فكان عليهم إتقانها ، ومعرفة المعاني الصحيحة لمفرداتها لكي يتجنبوا باستعمالها الأخطاء التي قد تؤدي الى إرباك في الادارة وظلم للناس، ومن

أقدم هذه الكتب هو كتاب « أدب الكاتب » لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) (٨٦) الذي اعتبره ابن خلدون أحد الأركان الأربعة لأصول الأدب وللكتاب عدة شروح طُبع منها شرح البطليوسي ، وشرح الجواليقي .

ومن الكتب المهمة في هذا الموضوع كتاب « الخراج وصنعة الكتاب » لقدامة بن جعفر ، فيه فصول عن خَلْق الانسان وأعضائه وعن الخيل وشياتها ، بالاضافة الى مايذكره في فصل الخراج عن المزروعات . وفي فصلي خلق الانسان ، والخيل مفردات كثيرة تتصل بالتشريح وعلم الحيوان ، وكان هذا الفصل معتمد عدد من المؤلفين المتأخرين ومنهم عبدالرحمن بن عيسى الهمداني في كتابه « الألفاظ الكتابية » والنويري في « نهاية الأرب » .

★ ★ ★

وفي كتب الفقه معلومات عن الزرع والنبات والحيوان وبعض الظواهر الفلكية ، وهي مذكورة في الفصول التي لها صلة بها ؛ فأما الظواهر الفلكية فانها تذكر في الكلام عن الصلاة ، والصوم ، والحج ؛ وأما مايتصل بالنبات والزرع والحيوان والمياه فمذكورة في الفصول التي تدرس الزكاة والصدقات والخراج ، والسلم والساف ، والبيوع والتجارات . وفي كتب الفقه المفصلة مثل « المدونة » لمالك ، و « الأم » للشافعي ، و « الخَرَاج » لأبي يوسف ، و « الاموال » لابن سلام معلومات واسعة ودقيقة عن هذه المنتوجات في صدر الاسلام ، تذكر ضمن نطاق الفقه ، وتظهر مدى أهمية مادة « العلوم » في الحياة اليومية .

يعتبر صاعد الأندلسي ان أبرز مساهمة لعرب الجزيرة هو ماكان لهم من « معرفة بأوقات مطالع النجوم ومغاربها ، وعلم بأنواء الكواكب وأمطارها ، على حسب ماأدركوه بفرط العناية وطول التجربة ، لاحتياجهم الى معرفة ذلك في أسباب المعيشة لاعلى طريق تعلم الحقائق ولاعلى سبيل التدرب في العلوم » (طبقات الأمم ٤٥) .

ومما يؤيد عناية المؤلفين العرب بتدوين المعلومات عن الأنواء والأزمنة وأحوال الجو ، ان ابن النديم ذكر اسماء عشرين كتاباً عنوان كل منها « الأنواء » ألفها مؤرج السدوسي (٥٤) وقُطْرُب (ت٢٠٦هـ) (٩٧) وابن كُناسة (ت٢٠٧هـ) (٧٧) والمُفَضّل بن سَلَمَة (ت٢٠٨هـ) (٨٠) والأصمعي (ت٢١٣هـ) (٦١، ٩٧) وابن الأعرابي (ت٢١٣هـ) (٧٦، ٩٧) وأبو الهيثم الرازي (ت٢٣٦هـ) (٨٦) ومحمد بن حبيب (ت٢٤٥هـ) (٩٧، ١١٩) وأبو محلم (ت٢٤٨هـ) (٥٢، ٩٧) وابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) (٩٧) وأبو حنيفة الدينوري (ت٢٨٢هـ) (٨٦، ٩٧) والمبرد (ت٢٨٥هـ) (٦٥)، والزَجّاج (ت٣١٠هـ) (٩٧) ووكيع (ت٣١٤هـ) (٩٧ ، ١٢٧) وذكر أيضاً كتباً بهذا العنوان لكل من أحمد بن سليم الرازي (٩٧) وابن عَمّار (٩٧) وابن غالب (٩٧) والمُرْثِدي ، وقال إن له « كتاب في نهاية الحسن (١٤٣) ، والوهبي (٩٧) وقد خَصّ صاعد كتاب الدينوري بالذكر فقال « ولأبي حنيفة الدينوري احمد بن داود اللغوي كتاب شريف في الأنواء تَضَمّن ما كان عند العرب من العلم بالسماء والأنواء ومهاب الرياح وتفصيل الأزمان وغير ذلك من هذا الفن (طبقات الأمم ٤٥) ، ووصف ابن النديم كتاب المرثدي بأنه « كبير في غاية الحسن » (١٤٣) .

وذكر ابن النديم أنّ لكل من ابن خرداذبه (١٦٥) وأبي مَعْشَر (٣٣٦) كتاباً في الأنواء وأن للمفضّل بن سَلَمة « كتاب الأنواء والبوارج » (٨٠) وللمبرد (ت٢٨٥هـ) « كتاب الأنواء والأزمنة » (٦٥) وذكر البيروني للكلثومي كتاباً في الأنواء « الآثار الباقية » (٣٣٦) وقد ذكر نالينو معظم هذه الكتب في القائمة التي نشرها في كتابه « تاريخ علم الفلك عند العرب» ص ١٢٨–١٣٣

وذكر ابن النديم كتباً بعنوان « الأزمنة » ألفها كل من قُطْرُب (ت١٠٦هـ) (٥٨) والمُبَرِّد (ت٢٨٥هـ) (٦٥) وابن دُرُسْتَوَيْه (ت٣٤٧هـ) (٦٩)، وابن

عَبّاد المهلبي (١٩٧) وأبو عبيدالله بن المرزبان الذي يذكر ابن النديم أن له « كتاب الأزمنة ، فيه أحوال الفصول الأربعة للصيف والشتاء والاعتدالين ،ووصف الحر والبرد والغيوم والبرق والرياح والامطار والرواد والاستسقاء وغير ذلك مما يدخل في جملتها من أوصاف الربيع والخريف ، ثم يذكر طرفاً من أمر الفلك والبروج والشمس والقمر ومنازله ونعوت العرب له ، وأسجاعها ، ويذكر النجوم السيارة والثابتة وأحوال الليل والنهار ، وأيامالعرب والعجم والشهور والسنين والاعوام والدهر ، وماجاء في كل باب من أبواب هذا الكتاب من اللغة والأخبار والأشعار مشروحاً نحو ألفي ورقة (١٤٧– ٨) .

وألّف أبو حاتمالسجستاني (ت٢٥٥هـ) كتابين عنوانأحدهما «الشتاء والصيف وعنوان الثاني « الحر والبرد والشتاء والقمر والليل والنهار » (٦٤)

وألّف الاصمعي (ت٢١٣هـ) كتاباً عنوانه « الاوقات » (٦١)

والف ابن السكيت كتابي « الأيام والليالي » و « الأيام والليالي والشهور » (٧٩) .

والف الزيادي كتابه « اسماء السحاب والرياح » (٦٣)

وألف ابن السراج « الرياح والهواء والنار » (٢٦٨) وذكر كتاب الليل والنهار والأموال لعمر السلمي (٢٠٧) « كتاب الأنواء » و « الاوقات » و « طبائع البلدان وتولد الرياح » و « الاوقات مع اثنا عشرية الكواكب » لأبي معشر (٣٣٦) .

والف سهل بن بشر « الاوقات » و « الأمطار والرياح » (٣٣٣) و « الأمطار الرياح وتغير الأهوية » (٣٣٦) .

ويلاحظ أن كلا من فاليس (٢٢٨) وابن سموية (٣٣٧)وال‍ا‍لكندي

« علة انواع السنة » (٣١٩) و « علة الرعد والبرق والرياح والصواعق » (٣٢٠) و « علة البرد المسمى برد العجوز » (٣٠٩)

اما في الاعياد فقد ألف الصاحب بن عباد « الاعياد وفضائل النيروز » (١٥٠) وألف الكسروي « الاعياد والنواريز » (١٦٧) ، وألف عَبّاد بن هارون بن علي بن يحيى « النوروز والمهرجان » (١٦١) .



الوَصْفُ

نظرة اخرى في قضايا النحو العَربي

الدكتور
أحمد عبد الستار الجواري
عضو المجمع

إن دراسة العربية لغة ونحواً ، في ما وضع لها من مصطلحات تحتاج إلى شيء من معاودة النظر فيها ، وتحريك ما استقر منها في الأذهان والأفهام ، حتى تعرف حقيقة ذلك الاستقرار ، ولئلا يستحيل الاستقرار جموداً يُسلم إلى شيء يشبه جمود العدم ، ويسلب من تلك المصطلحات والتعابير ماء الحياة ويباعد بينها وبين الأذواق فلا تكاد تسيغها الأفهام أو تتمثلها المدارك .

وهذه نظرة في واحد من مصطلحات نحو العربية قد لا تخلو من نفع في عرض هذا المصطلح وأمثاله للجو الطليق والنور الباهر ، يقلّب فيه النظر ويتأمل في مفهومه العام والخاص ، ويتلمس مواقعه في اللفظ المفرد وفي اللفظ المركب .

الوصف لغة لفظ دارج معلوم المعنى ، وهو يشيع في لغة الحديث شيوعه في لغة العلم والأدب .فيقال وصف الشيء ووصف الإنسان ووصف الحيوان وصفته أي علامته وشيته ، وذلك معنى واضح ليس بحاجة الى مزيد من التوضيح .

ولكن الوصف في علم العربية اصطلاح يتردد تردداً واسعاً في أبواب متعددة . وهو يرد باعتبارين : الأول باعتبار الوصف لفظاً مفرداً ، والثاني باعتباره جزءاً من التركيب .

أما بالاعتبار الأول فإن معناه ومراده في علم العربية هو معنى الحدث مقترناً بمعنى الذات إما ذات الفاعل أو ذات المفعول ، سواء دلّ على معنى الثبوت أو على معنى الحدوث والاستمرار . . ذلك ما يعرف باسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وأمثلة المبالغة .

وأما بالاعتبار الثاني فيراد فيه بالوصف كونه جزءاً من التركيب هو الذي يؤتى به لوصف اسم ذات (اسم عين) أو ما هو في حكمه أو اسم معنى غاب عليه جانب الاسمية ، وابتعد عن الدلالة على الحدث المجرد كلفظة (العلم) في مثل قولنا : العلم نافع أو العلم النافع ونحو ذلك .

الوصف في علم العربية :

والوصف اصطلاح عام يطلق في عام العربية على أشياء متعددة يجمع بينها كونها كلها مما يصح أن يتلبس بما يسمى اسم الذات واسم العين أو ما في حكمه من أسماء المعاني ، وأن يخلع عليه كما يخلع الثوب على لابسه ، به يستكمل هيئته وبه يستتِمٌ معناه وموقعه في الكلام حكماً أو فعلاً ، حقيقة أو تجوزاً .

وأقل الكلام — وهو اللفظ المركب المفيد — لا بدّ أن يكون أحد طرفيه وصفاً ملفوظاً به او محكوماً بوجوده ، وطرفا الإسناد كما هو معروف المسند إليه وهو الموصوف والمسند وهو الوصف المقصود هنا ، وأهل المنطق يسمونهما الموضوع والمحمول ، وتسمية المسند إليه والمسند من اصطلاحات علماء المعاني .

وقد يكون قولنا الموصوف والوصف أقرب إلى الأفهام وأدنى إلى مدارك الدارسين[1] .

---

(١) يكثر الحديث عن الوصف بمعناه العام الواسع عند البحث في المبتدأوالخبر حين يكون المبتدأ على حد قولهم : « كل وصف اعتمد على استفهام ورفع مستغنى به ، ثم لا فرق في الوصف بين أن يكون اسم فاعل او اسم مفعول أو صفة مشبهة »
شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ج١ ص ١٩٩ .

الوصف في النحو :

والوصف في التركيب ثلاثة أضرب :

الأول هو الوصف الإسنادي ، وهو الذي يقع عمدة في الكلام ، وهو الفعل في الجملة الفعلية ، وما يشتق منه (او يشاركه في الاشتقاق من المصدر عند من يذهب إلى أن المصدر أصل المشتقات) كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وأمثلة المبالغة في الجملة الاسمية ، مما يستحق أن يوصف به موصوف ، ويقع خبراً للمبتدأ .

وقد يكون معنى الوصفية ملموحاً في الاسم غير المشتق ، فيستحق بلمح معنى الوصفية فيه أن يقع خبراً للمبتدأ نحو قولنا « زيد أخوك وعلي والدك » .

ولنضرب أمثلة على الوصف الإسنادي :

قام زيد : وصف إسنادي بالفعل

يقوم زيد : وصف إسنادي بالفعل

زيد قائم : وصف إسنادي بالاسم الأصيل في الوصفية

زيد أخوك : وصف إسنادي بالاسم المتضمن للوصفية .

الثاني : الوصف المطابق وهذا الوصف هو الذي يعرف عند النحاة بالنعت الحقيقي أو الصفة . نحو جاء زيد الظريف ومررت برجلٍ كريم ، وهو أحد التوابع التي تلحق الأسماء لتوضح معناها وتبين خصائصها .

ولهذا الوصف فرع يقال له النعت السببي وهو الذي يوصف به ما يتصل من المنعوت بسبب نحو « هذا رجل كريم أصله » . وله في مطابقة الموصوف وفي إعرابه أحوال خاصة سنأتي على ذكرها بعد [٢] .

---

(٢) وفي باب النعت تطرق الأشموني إلى ما سماه الوصف المسند . قال : « يجوز في الوصف المسند إلى السببي المجموع الإفراد والتكسير فيقال مررت برجل كريم آباؤه وكرام آباؤه » . ج ٣ ص ٦٣ - ٦٤ .

الثالث : الوصف المخالف ، وهو ما يعرف عند النحاة بالحال [٣] . وهم يقولون فيه إنه وصف فضلة مبين للحال منصوب . يريدون بذلك أنه غير عمدة ؛ وكأنهم يشيرون بذلك إلى أنه فرع من الخبر . وتسميته بالوصف المخالف يراد بها تمييزه عن الوصف المطابق أو التابع وهو النعت الذي يتبع منعوته في كل شيء في التعريف أو التنكير وفي التذكير أو التأنيث وفي أحوال الإعراب ، ويراد بها أيضاً تمييزه عن الوصف الإسنادي وهو عمدة الكلام .

مسألة الخلاف :

ومسألة الخلاف أو المخالفة في الإعراب قال بها نحاة الكوفة في أحوال من نصب الاسم إذا وقع موقعاً يخالف فيـــه ما قبله (من موصوف أو مبيّن) ، فلا يستحق الإسناد ومرتبته الرفع ولا التبعية بما تستحقه من أحوال الإعراب ، وإنما ينصب ليدل على حال الخلاف كالظرف الذي يقع خبراً للمبتدأ نحو زيدٌ عندك ، وكالمفعول معه نحو سرتُ وشاطئَ النهر [٤] . ومثل ذلك يجوز أن يقال في الحال والتمييز . والأول وصفٌ — كما أسلفنا — ولكنـــه مخالف لموصوفه ، إذ لا بدّ أن يكون نكرة — في الأغلب — ، وموصوفه لا بدّ أن يكون معرفة وهو الذي يسمى صاحب الحال .

والثاني هو التمييز ، وهو بيان أو مبين ، لا يختلف عن البيان التابع المطابق لمتبوعه إلا في كونه مبيناً بعض المتبوع ، غير مستوف لحقيقته ، فهو مخالف لما يبينه من حيث الجنس والهيئة . كالذي يكون بياناً للعدد نحو عندي عشرون كتاباً ، إذ إن العدد يحتمل كل معدود أو ما يمكن أن يقع تحت العدّ وهـــو

---

(٣) ويرد الكلام على الوصف في بحث الحال فابن مالك يعرف الحال بقوله :

الحال وصف فضلـــة منتصب ‌ ‌ ‌ مفهم في حـــال كـ « فرداً أذهب »

ويقول الأشموني في شرحه : « فالوصف جنس يشمل الحال وغيره ويخرج نحو القهقري في قولك : رجعت القهقري فانه ليس بوصف إذ المراد بالوصف ما صيغ من المصدر ليدل على متصف وذلك اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وأمثلة المبالغة وأفعل التفضيل » أ . هـ شرح الأشموني ج ٢ ص ١٧٤ .

(٤) الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري ص ١٥٢ ، ١٥٥ ، تحقيق محيي الدين عبدالحميد .

على جانب كبير من الإبهام والعموم ، فإذا جيء بالمعدود بعده بيّن بعض حقيقته فاستحق بذلك مرتبة الخلاف في الإعراب وهي النصب .

وشبيه بهذا ما يكون في ما يعرف بالتمييز الملحوظ ، وهو ما يبين إبهام النسبة كقولنا طاب محمد نفساً . فالتمييز هنا بيان لجزء من حقيقة النسبة أو الإسناد إذ هو يحتمل أن يكون المعنى طاب محمد نفساً وأصلاً وفعلاً وخلقاً إلى غير ذلك مما ينطوي في عموم النسبة، فجاء التمييز (نفساً) ليبين ويُعيّن هذا الجزء من عموم الإسناد فاستحق بذلك مرتبة الخلاف في الإعراب وهي النصب .

ولعل معنى الخلاف وصورته هي في (الحال) أوضح منها في كل ما يقع موقع الخلاف كالتمييز والمفعول معه (المصاحب)والظرف (المفعول فيه) . لأنه يشترط في الحال أن تكون نكرة وأن يكون صاحبها معرفة – في الأغلب الأعم . وأن يكون معناها والمراد بها نصاً في الدلالة على وصف الهيئة أو الحال حتى لا تنصرف إلى معنى التبعية والتلبس بالموصوف من كل جانب فتكون نعتاً ، ولا تستقلّ بالإسناد فتكون خبرا .

ولإيضاح هذا المفهوم يمكن أن نضرب هذا المثل :

يقال جاء زيدٌ الفارسُ . ويقال زيدٌ فارسٌ . ويقال جاء زيدٌ فارساً (أي راكباً فرساً) . فالوصف في حال المطابقة في التعريف والتنكير نعت يراد به مايراد بالنعت من وصف الاسم بصفة تغلب عليه وتلزمه فيعرف بها وبها يخصص. والوصف في حال الإسناد إنما يراد به إتمام الفائدة من ذكر الاسم والحديث عنه وإقامة الكلام واستكماله بوصف ذلك الاسم .

أما الحال فهي فرع من الوصف الإسنادي ، لأن الإسناد قد تمّ بالنص على المسند وهو الفعل : جاء زيد فارساً أو راكباً . فلا حاجة للمسند إليه بالوصف لتمام الكلام . وهي – الحال – فرع من الوصف التابع . لأن الاسم (زيد)

علم معرفة لا يفتقر إلى التخصيص والتوضيح بالنعت ، وإنما الذي يحتمل أن يكون في حاجة إليه هو وصف هيئته وبيان حاله ، وتلك وظيفة الحال .

احكام الوصف :

وللوصف في كل أنواعه وأحواله من حيث علاقته بالموصوف أحكام ، إذا تقدمه الموصوف أو إذا تأخر عنه . وحينما يكون وصفاً حقيقياً وحين يكون وصفاً سببياً . والمراد بالوصف السببي ما يقع في الحقيقة وصفاً لغير الموصوف المذكور ، وإنما يكون وصفاً لما يتصل منه بسبب نحو قولنا زيد كريم أبوه ، نجيبة أمه ، ونحو قرأت كتاباً معروفاً كاتبه ومررت بزيد مسرعاً به فرسه .

فإذا تقدم الموصوف على الوصف وكان الوصف حقيقياً وجبت المطابقة بينهما يقال: زيدٌ قام وزيد قائم (وصف إسنادي) ، وحدثت زيداً القائم (وصف تابع أي نعت) ، ومررت بزيد قائماً (وصف مخالف أي حال) . ونحو ذلك .

أما إذا تأخر الموصوف وتقدم الوصف فإنه يجوز المطابقة وعدم المطابقة، وعدم المطابقة هو الأكثر شيوعاً والأغلب في كلام العرب. يقال: قام الرجال، وأقائم الرجال (وصف إسنادي) ومررت بالدار عامراً بناؤها راحلاً أهلها (وصف مخالف ـ حال) ونحو ذلك . وهذا لا يكون إذا كان الوصف نعتاً ، إذ لا بد من تقدم الموصوف على الوصف .

ومن العرب من يذهب إلى المطابقة بين الوصف والموصوف تقدم الوصف أم تأخر . وتلك لغة جماعة من القبائل . يقول ابن هشام في كلامه على القسم الثاني عشر من أقسام الواو : (واو) جماعة المذكّرين في لغة طيء وأزد شنوءة أو بالحارث ومنه الحديث : (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار) وقوله :

يلومونني في اشتراء النخيل أهلي فكلهم ألوم

وهي عند سيبويه حرف دال على الجماعة كما أن التاء في قالت حرف دال على التأنيث [٥] . . .

وقد حمل بعضهم على هذه اللغة (ثم عموا وصموا كثير منهم) (وأسروا النجوى الذين ظلموا) [٦] وحملهما على غير هذه اللغة أولى لضعفها .

ولا يحسبنّ أحد أن تقديم الوصف أو تأخيره عن الموصوف مما يستوي فيه المعنى ويكون المتكلم فيه بالخيار ، إن لكل حال من الحالين وجهها وسبيلها في أداء المعنى .

وثمة أحوال يجب فيها تقديم أحدهما مثل كون الوصف هو المقصود بالاستفهام نحو قوله تعالى (قال أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم[٦] ومثل وقوع الوصف بعد أداة النفي مقصوداً تسليط النفي عليه كقول الشاعر :

خليلي ما واف بعهدي أنتما　　　إذا لم تكونا لي على من أقاطع

ونحو قول الآخر :

غير مأسوف على زمن　　　ينقضي بالهم والحزن

تقديم الوصف :

ومما هو معلوم معهود في العربية أن تقديم ما حقه التأخير يفيد الاختصاص ،

---

(٥) مغني اللبيب ج ٢ ص ٢٧ .　　(٦) الآية في سورة الأنبياء (٣) .

(٥) يقول سيبويه : « واعلم أن العرب من يقول ضربوني قومك وضرباني أخواك، فشبهوا هذا بالتاء التي يظهرونها في قالت فلانة ، فكأنهم أرادوا أن يجعلوا للجمع علامة كما جعلوا للمؤنث ، وهي قليلة . قال الشاعر (وهو الفرزدق) :

ولكن ديافي أبوه وأمه　　　بحوران يعصرن السليط أقاربه

وأما قوله عز وجل (وأسروا النجو الذين ظلموا) فانه يجيء على البدل أو كأنه قال « انطلقوا » فقيل له من فقال « بنو فلان » . ، فقوله (وأسروا النجوى الذين ظلموا) على هذا فيما زعم يونس وقال الخليل . فعلى هذا المثال تجري هذه الصفات . . الكتاب ج ١ ص ٢٣٦ .

(٦) سورة مريم الآية (٤٦) .

وأن االفظ المقدّم من تأخير إنما يراد النص على مزيد من الاهتمام به . وهذه القاعدة العامة ملحوظ حكمها في تقديم الوصف على الموصوف ، وهو في العادة يتأخر عنه ويقع بعده ، ذلك دأب العربية وديدنها ، ولكنه ليس ضربة لازب فيها . فقد يقتضي المعنى تقديم الوصف حتى في حال عدم وجوب تقديمه كالذي سبق ذكره في كونه المقصود بالنفي أو الاستفهام .

جاء في آية الشهادة : (ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه)(٧) « فآثم » وهو الوصف يعرب تارة خبراً لإنّ و « قلبه » فاعله وهو الموصوف ، وتارة يعرب خبراً مقدماً وقلبه مبتدأً مؤخراً ، وهو كذلك وصف وبعده الموصوف . ولأمر ما اختير أن يقدّم الوصف (آثم) على الموصوف (قلبه) ، بل إن تقديم الموصوف في هذا المقام لا يستقيم به الكلام ولا يؤدّى به المعنى المراد .

يقول الزمخشري في تفسير هذه الآية تأويل هذه العبارة : فإن قلت هلا اقتصر على قوله « فإ نه آثم » وما فائدة ذكر القلب والجملة هي الآثمة لا القلب وحده ؟ قلت كتمان الشهادة هو أن يضمرها ولا يتكلم بها ، فلما كان إثماً مقترفاً بالقلب أسند إليه ، لأن إسناد الفعل إلى الجارحة التي يعمل بها أبلغ . ألا تراك تقول إذا أردت التوكيد : « هذا مما أبصرته عيني ومما سمعته أذني مما عرفه قلبي » . ولأن القلب هو رئيس الأعضاء والمضغة التي إن صلحت صلح الجسد كله وإن فسدت فسد الجسد كله ، فكأنه قيل قد تمكن الإثم في أصل نفسه وملك أشرف مكان فيه ، ولئلا يظن أن كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط ، وليعلم أن القلب أصل متعلقه ومعدن اقترافه واللسان ترجمان عنه ، ولأن أفعال القلوب أعظم من أفعال الجوارح وهي لها كالأصول التي تتشعب منها. ألا ترى أن أصل الحسنات والسيئات الإيمان والكفر وهما من أفعال القلوب

(٧) سورة البقرة الآية ٢٨٣ .

فإذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بأنه من معاظم الذنوب [٨].

وإنه لواضح أشد الوضوح الفرق بين أن يقال ومن يكتمها فإن قابه آثم ، وبين التعبير في الآية الكريمة (ومن يكتمها فإنه آثم قلبه) فإن فيه فوق ما جاء في كلام صاحب الكشاف اتساعاً لمظلة الوصف – إن صح هذا التعبير – وامتداداً لأثره بحيث يفيض حتى يستوفي ما قبله وهو اسم « إن » سواء عُدّ ضمير الشأن أم اختير اعتباره ضميراً يعود على فاعل الفعل « يكتمها » وهو في المعنى عائد على اسم الشرط (من) وهو عمدة الكلام ومداره . فهو إذن آثم كله من جهة وآثم قلبه من جهة أخرى . وهذا سرّ من أسرار العربية ورائعة من روائع البيان القرآني المعجز البديع ، حيث يكون الوصف صالحاً لأن يوصف به العام والخاص في آن واحد ، كوصف كاتم الشهادة فإنه آثم كله وآثم قلبه .

وبعد هذا وذاك لسائل أن يسأل إذا كان تأخير الوصف الإسنادي وتقديم الموصوف عليه هو المألوف في كثير من اللغات الأخرى ، وإذا كان تأخيره في العربية وتقديمه جائزين ، فلماذا اختير تقديمه في الجملة الفعلية بخاصة ؟ ولماذا اختير تأخيره في الاسمية ؟ .

إن في ذلك فائدة تستفاد من إيثار صورة في التعبير هي خلاف الصورة المألوفة المعتادة فيفيد ذلك فضل زيادة في المعنى ، كأن يقدم الوصف في الجملة الاسمية كما في نحو قوله تعالى (أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم) ، وكأن يقدم الموصوف في الجملة الفعلية كأن يقال زيد جاء ، وفي ذلك نص على الاهتمام بالمتقدم وتخصيص له بالعناية وتوكيد لغرض المتكلم .

التفريق بين الجملة الفعلية والاسمية :

وكأن العربية أرادت أن يكون التفريق بين الجملتين الاسمية والفعلية ملحوظاً في أصل التعبير وصورته الأولى فعمدت إلى أن تجعل الوصف – وهو الفعل –

---

(٨) الكشاف ج ١ ص ١٧٠ – ١٧١ .

مقدماً في الجملة الفعلية ، وأن تجعل الموصوف – وهو ما يعرف بالمبتدأ – هو الذي تبتدئ به الجملة الاسمية . فإذا أريد تخصيص أحد الطرفين بالاهتمام جيء به مقدماً على الطرف الآخر – كما سلف – ، ويزعم النحاة حينئذٍ أن الجملة الفعلية إذا قدم فيها الموصوف وهو الفاعل استحالت جملة اسمية ، واستحال الفاعل مبتدأ . نحو زيد حضر ، فزيد عندهم مبتدأ . وشبيه بذلك ما يكون في الجملة الاسمية إذا قُدّم فيها الوصف فإنه يستحيل مبتدأ وما بعده فاعل سدّ مسدّ الخبر . يقول ابن مالك :

وأول مبتدأ والثاني فاعل أغنى في : أسارٍ ذانِ

وفي ذلك تفريط في جانب المعنى واستهانة بما يقصد إليه المتكلم حين يقدم ما حقه وموضعه التأخير [٩] .

والحق أن قولنا حضر زيد وزيد حضر كلاهما جملة فعلية لأن الوصف فيهما منصوص على اقترانه بمعنى الزمن أي هو فعل ، وإنما كان الاختلاف في الاهتمام بالموصوف حين يقدّم على الوصف ، أو كأن الجملة تقع جواباً لسؤال سائل : من حضر ؟ فيقال له زيد حضر ، فالوصف ههنا معروف لدى السامع والموصوف هو المطلوب معرفته فجيء به مقدماً على الوصف .

وليس غير الصناعة النحوية – التي يغلب فيها ويكثر هجران جانب المعنى – سبب لتسمية هذا الوصف المتقدم في الجملة الفعاية مبتدأ ، والفعل بعده – متصلاً بضمير المبتدأ مستتراً فيه – فاعلاً له ، والجماة كلها خبر المبتدأ . كل ذلك التزاماً بأصل مفترض نظرياً وهو أن الفاعل لا يجوز أن يتقدم على فعله .

وإذا قيل لهم لم لا يجوز تقديم الفاعل ؟ قالوا لأنه هو وفعله كجزئي كلمة واحدة لا يجوز أن يقدم عجزها على صدرها ، مستدلين بحالة اتصال الفعل

(٩) في كتاب سيبويه كلام يشعر بجواز تقديم « الصفة » على الاسم . يقول : « فان بدأت بالاسم قبل الصفة قلت قومك منطلقون وقومك حسنون كما تقول أبواك قالا ذلك وقومك قالوا ذاك... » ج ١ ص ٢٣٥ .

الماضي بما يسمى ضمائر الرفع المتصلة مثل حضروا وحضرتُ فهي فاعل الفعل عندهم وهو لا يجوز أن يقع إلا بعد الفعل . وهذا كما يبدو دليل متهافت مبني على افتراض غير عملي ولا مسلم به .

من مرامي البحث:

وبعد فإن مما يرمي إليه هذا البحث ويقصد إلى التنويه به والتنبيه عليه :

١ – شيء من تطبيق المقولة التي تدعو إلى الربط بين النحو في صورته المعهودة عند المتأخرين وبين معانيه التي فرّقت تلك الصورة بينها وبينه، حتى أصبح الإعراب مبلغ همه ومطمح دارسيه ومدرسيه . .

٢ – وهذه المقولة تحاول أن تعود بالدراسة النحوية إلى اصلها وجوهر غايتها في دراسة التركيب العربي ورعاية الترابط والالتحام بين أجزائه وما يكون بينها من تأثر وتأثير ، يكون الإعراب وأحواله المختلفة انعكاساً لذلك التأثر والتأثير ونتيجة لقيام العلاقة بين أجزاء التركيب .

٣ – ثم إن في ذلك محاولة لضم أجزاء الكلام التي تتفق في أصولها وفي وظيفتها في التركيب – بعضها الى بعض ليكون فهمها أكثر عمقاً واستعمالها أدنى إلى الدقة والإصابة ، وأقرب إلى التوفيق في أداء معانيها . ووظائفها في الكلام . ولعل ذلك ملحوظ واضح في ما مرّ من الكلام على طبيعة الفعل والخبر ووظيفتهما في التركيب ، هذا من جهة ، وعلاقتهما بالنعت والحال ووظيفتهما في الكلام من جهة أخرى .

القرآن الكريم
ومنهج البحث العلمي في التراث العربي

الدكتور كامل حسن البصير
عضو المجمع والاستاذ المساعد – كلية الآداب
الجامعة المستنصرية

ترمي هذه الدراسة الى تحليل آراء الباحثين في ظهور منهج البحث العلمي عند العرب ومناقشتهم فيما قرروه بهذا الشأن معتمدة على آياتٍ بينات من الذكر الحكيم ، تعرضت لقضايا تتعلق بالعلم والعلماء وتشير الى البحث بشكل أو بآخر .

فالمعروف في الكتب التي وضعها مؤلفوها في البحث العلمي : أن الباحثين يمارون في تملك العرب لزمام البحث العلمي أصالة ، واستخدامهم له قديماً ؛ فقد أغفل الدكتور علي جواد الطاهر [1] الاشارة الى الأمة العربية من بين الأمم التي ابتدعت منهج البحث العلمي قديماً وحديثاً فحكى قائلاً : (ولا يمكنك أن تتصور الحضارات الاولى في العراق ومصر والصين – مثلاً – من دون منهج ومناهج . . . حتى اذا كان الاغريق كان منهج وكانت الكلمة نفسها بمعنى البحث أو النظر أو المعرفة » [2]

وذكر الدكتور عثمان أمين تأسيساً على ماتقدم :– ان القرن السابع عشر تميز بعناية المفكرين فيه بالمنهج أو الطريقة الواجب اتباعها في البحوث العقلية .

(١) منهج البحث الأدبي ص ١٧ – ط الثالثة بغداد مطبعة اسعد ١٩٧٦ .
(٢) ينظر عبدالرحمن بدوي مناهج البحث العلمي ٣ – ٤ – ١٨

والواقع ان الكتب في المنهج كثيرة في ذلك العصر ، وخصوصاً ابتداءً من سنة ١٦٢٠ : ففي ذلك التاريخ ظهر كتاب (الارجانون الجديد) لفرنسيس بيكون ويعني به المنطق الجديد Novum Organun وبعد ذلك بنحو سبع عشرة سنة نشر ديكارت (المقال في المنهج) وفي ذلك العصر ايضاً نشر (اسبينوزا) رسالته في (اصلاح الذهن) كما اصدر (تشرنهاوس) كتاب (طب العقل) ونشر فلاسفة (بول رويال) منطقهم المشهور المسمى (في التفكير) ، ونشر (مالبرانش) كتاب البحث عن الحقيقة ، وكتب لينتز مصنفاً من عدة رسائل نجد في عنوان بعضها لفظ المنهج .

ويقين ان هذين الباحثين لم يكونا يعنيان بالحضارة الأولى في العراق ومصر الجذور القديمة لحضارة الأمة العربية بمدلولها العلمي الشامل ، وآية ذلك ، انهما لم ينصا على لفظة العرب نصاً ، ولم يحللا لفظة المنهج والبحث في اللغة العربية وقد كان لهذا الموقف مردود خطير على مدى تأصيل الفكر العربي المعاصر أيضاً ، ذلك لأن منهج البحث اذا كان قد نشأ على هذا النحو حديثاً فان العرب ـ أمة معاصرة ـ ليس لها الا ان تستمد منهج بحثها من الشعوب الأوربية الوارثة للحضارة الاغريقية .

لقد حاول الدكتور أحمد جاسم النجدي أن يتدارك ذلك الاغفال فقال : (وقد قام العرب منذ بداية العصر العباسي بأعمال ثقافية وعلمية متعددة ولهذا كان من الطبيعي أن يتوصلوا خلال أعمالهم العلمية والثقافية هذه الى خطوات علمية منظمة في البحث والتأليف توجدها التجربة المستمرة والتفكير العقلي المنظم وكان من الطبيعي ايضاً ان تنمو هذه الخطوات العلمية وتتطور بمرور الزمن حتى تصبح قواعد ومبادئ مسلماً بها ، مكونة بالضرورة مانسميه في المصطلح الحديث بمنهج البحث . [٣]

---

(٣) منهج البحث الأدبي عند العرب ص ٥ بغداد ١٩٧٨ .

وواضح : أن هذا التدارك لم يؤتِ ثمارها كما ينبغي وذلك لسببين :—

اولهما — أنه أغفل ايضاً الاشارة الى حقب زمنية أصيلة في تاريخ الفكر العربي غطت عصر ماقبل ظهور الاسلام وعصر صدر الاسلام والعصر الاموى فهل من المنطق أن تبقى الأمة العربية صفر اليدين من منهج البحث في هذه العصور ؟ !

وثانيهما :— أن النص على العصر العباسي بداية لارهاصات منهج البحث عند العرب يفتح باب الاعتقاد على مصراعيه ليوهم أن هذا الظهور كان بعلة اتصال العرب بالأمم الاخرى ، وأنه كان ثمرة للتقليد والاقتباس وأنه لم يكن اختراعاً وابتداعاً .

وفي رأينا أن هؤلاء الباحثين العرب المعاصرين لم يذهبوا الى ماذهبوا اليه إلا وهم يغرفون بمكاييل المستشرقين الذين تعرضوا لتاريخ الفكر العربي وبحثوا شؤونه العلمية .

وآية ذلك : أن الدكتور فرانتز روزنتال قرر بهذا الصدد قائلاً : « وقد حاول مستشرقون آخرون تعايل تأخر البحث العلمي عند المسلمين ووجهة نظرهم يمثلها دوتي (Ch. M. Doughty) في كتابه (اسفار فيالصحراء العربية) (Travels in Arabia Deserta) . يقول : يقول شيخ من شيوخ العرب في (العلا) كان يخاطب دوتي : (وما حاجة هذا العلم كله ؟ فلا حاجة الا لشئ واحد هو ان يعرف الانسان ان لا اله الا الله ومحمد رسول الله وما خلا هذا لاقيمة له ولا نفع . اليس من الافضل لك ان تترك هذه الأباطيل جانباً وتعتنق الاسلام فتحيا حياةً هادئة وتعمل لخير نفسك في الآخرة ؟)

أما ميلر (A. Muller) فكان يعتقد اعتقاداً راسخاً بأن جمود الحياة الفكرية عند المسلمين مردّه الى الموقف السلبي الذي يقفونه من الحياة (. . . تلك العقيدة الراسخة المطلقة وذلك الايمان غير المشروط بالقضاء

والقدر الذي يقيدّ اليوم الحياة الفكرية عند المسلمين بقيود حديدية ثقيلة لم يعد من الممكن فيما يبدو التحرر منها) (٤)

فهذان المستشرقان ومن نحا منحاهما يدينان بتأخر البحث العلمي عند العرب ويلتمسان علة قصوره في الدين الاسلامي الحنيف .

وقد سعى فون كريمر في أن يتحرر من حلبة هؤلاء المستشرقين ، ويرى للعرب فضلاً في البحث العلمي فلم يستطع الا أن يقصر هذا الفضل على ميدان دون آخر عند وصفه النشاط العلمي عند المسلمين : (ان أعظم نشاط فكري قام به العرب يبدو لنا جلياً في حقل المعرفة التجريبية ضمن دائرة ملاحظاتهم واختباراتهم . فانهم كانوا يبدون نشاطاً واجتهاداً عجيبين حين يلاحظون ويمحصون وحين يجمعون ويرتبون ماتعلموه من التجربة أو أخذوه من الرواية والتقليد . ولذلك فان اسلوبهم في البحث أكبر مايكون تأثيراً عندما يكون الأمر في نطاق الرواية والوصف .

ولذا يحتل التاريخ والجغرافية المقام الأول في أدبهم . وبصفتهم اصحاب ملاحظة دقيقة ، وبصفتهم مفكرين مبدعين فانهم قد أتوا بأعمال رائعة في حقلي الرياضيات والفلك . وللسبب ذاته نجح العرب في التشريع وفي وضع قواعد اللغة من صرف ونحو في شكل شامل محكم .

ولكن من جهة ثانية نجد أنهم في حقل المعرفة النظرية والتفكير التجريدي لم يستطيعوا أن يتعدوا حدود الفلسفة الارسطو طاليسية والافلاطونية . وعندما كانوا يحاولون الخروج من اطار الفلسفة الاغريقية كان الخيال الشارد يؤدي بهم الى خيالات وأوهام وأخيراً الى نوع من الغيبية التي لاشكل لها » (٥)

ولعلنا نلاحظ مما تقدم كله ، أن الصورة التي رسمها الذين سبقونا لمنهج البحث العلمي عند العرب قديماً تقوم على أربع نتائج متلازمة :—

(٤) مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي ص ١٦ دار الثقافة ببيروت .
(٥) المصدر السابق ص ١٥ .

أولاها : أن العرب لم يكن لهم عهد بمنهج البحث قبل ظهور الاسلام وحتى بدايات العصر العباسي الأول .

وثانيتها : ان ظهور مايشبه منهج البحث العلمي في نشاطاتهم الفكرية كان بتأثير عوامل أجنبية تأتي الترجمة من الاغريقي والروماني وسواهم في مقدمتها .

وثالثتها : ان البحث العلمي عند العرب ينافي طبيعتهم الفكرية وينأى عن عقليتهم لما صاروا اليه من اعتناق الاسلام عقيدة ومبدأ .

ورابعتها : أن جهودهم التي بذلوها في ميادين المعرفة والثقافة والبحث العلمي لم تثمر إلا في جانبها المحسوس الضيق .

وبدهي أن هذه الصورة بنتائجها هذه تمثل ميلاً صارخاً عن الحقيقة التي كانت عليها الأمة العربية وماتمتلكها من تراث علمي وفكري زاخر كما انها تستوي غلطة تاريخية لابدّ ان تقوم في ضوء شواهد علمية لايأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها .

وقد رأينا ان نستند الى القرآن الكريم من بين هذه الشواهد في تلمس مصدر هذه الغلطة وعلة ذلك الميل فاذا تلك الصورة ونتائجها أكذوبة يعيش عليها باحثون ومستشرقون في وهم علمي مؤسف .

ونحن حين نعوذ بالقرآن في هذه المهمة لانرى أن العرب قبل نزول القرآن على نبيهم الكريم محمد (ص) لم يألفوا منهج البحث العلمي في حضاراتهم التي نعمت بها دولهم المبادة والقائمة ، وانما نزعم : أنهم قد عرفوه ورسخوا أسسه بشكل أو بآخر فارتفعوا به الى مستوى فكري وعقلي أهلهم لاستقبال القرآن الكريم واعتناق الدين الاسلامي الحنيف ثم السير في مناكب الأرض شرقاً وغرباً دعاة للحق ومناهضين للباطل .

وقد طوينا هذه الحقب من تاريخ الفكر العربي ووقفنا بين يدي القرآن الكريم في هذه الدراسة لما نعانيه من شحة المصادر في علمنا عن هذه الحقب

ولما يشنه المستشرقون من عداء على هذا الكتاب العزيز والدين الاسلامي الحنيف متهمين إياه بأنه علة لقصور العرب والمسلمين في البحث العلمي .

وأياً كان مجال اختيار دراستنا وعلة مساحتها بين يدي القرآن الكريم ، ينبغي أن نبين هنا حقيقة ندين بها في فهم آي الذكر الحكيم وهي تتعرض لهذا الشأن أو ذاك من شؤون العلم والفكر والحضارة والثقافة وتستوي شواهد في أيدي الذين يؤرخون لهذه الشؤون .

وهذه الحقيقة تقوم على ثلاث قواعد رئيسة :

اولاها : ان القرآن الكريم يوم يعتمد عليه في الاستدلال على علم من العلوم أو فنٍ من الفنون لايجوز أن نتخذه كتاباً في هذا الفن وذلك العلم ثم نحمله وزراً في غلط من يغالط وزلة من يزل . وانما هو كتاب هداية يحتوي بين دفتيه على قواعد عامة وينبض بمبادئ شاملةيستضيء بها قارئوه حوافز على السعي والاجتهاد في تحصيل العلم وكسب المعرفة .

وثانيتها : ان القرآن الكريم يبين في عظمته ماامتازت بهِ العرب من مستوى فكري حين نزل بين ظهرانيهم ، إذ كان المؤمنون الرواد به عرباً كما كان المعارضون له عرباً ؛ فكان لابدّ أن يكون هؤلاء العرب على قدرٍ من الفكر ودرجةٍ من العلم حتى يقفوا منهُ هذا الموقف أو ذاك .

وثالثتها : أن القرآن الكريم قد صاغ الاطار الفكري للعرب والمسلمين وهم يتلونه في اليوم الواحد مراتٍ عديدة في صلواتهم ويتأملونه في سائر شؤون حياتهم

واذن فالقرآن الكريم الذي لايشك أحد في وصوله إلينا كما نزل على قلب النبي الأمين ــ خير شاهد نستطيع أن نحلل في ضوئه أسس منهج البحث العلمي في التراث العربي ونستدل به على تملك العرب ازمامه ــ قديماً وشيوعه بينهم اصالة وابتداعاً من غير اقتباس عن هذه الأمة أو تلك .

واذن فما هو موقف القرآن الكريم من مصطلح البحث ؟.

لم ترد في القرآن الكريم من مادة (ب . ح . ث) إلا كلمة (يبحث) مرة واحدة في حكاية قصة ابني آدم بقوله تعالى ، « واتلُ عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قرَّبا قُربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال انما يتقبلُ اللهُ من المتقين * لئن بسطت اليَّ يدك لتقتلني ماأنا بباسط يدي اليك لأقتُلك اني أخاف الله ربّ العالمين * اني أُريدُ ان تبوء باثمي وإثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاءُ الظالمين * فطوّعت له نفسهُ قتلَ أخيه فقتلهُ فأصبحَ من الخاسرين * فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريهُ كيف يُواري سوْءَةَ أخيه قال ياويلتي أعجزتُ أن أكونَ مثلَ هذا الغراب فأواريَ سوءةَ أخي فأصبحَ من النادمين * من أجل ذلكَ كتبنا على بني اسرائيل انه من قتلَ نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتلَ الناسَ جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناسَ جميعاً ولقد جاءتهم رُسُلُنا بالبينات ثم إنَّ كثيراً منهم بعد ذلكَ في الأرض لمسرفون » [٦]

يفصل المفسرون تلك القصة في ضوء هذه الآيات الكريمات فيرون : ان ابني آدم هما من صلبه قابيل وهابيل ، اوحى اللهُ الى آدم ان يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر ، وكانت توأمة قابيل اجمل واسمها (اقليما) فحسد عليها أخاه وسخط ، فقال لهما آدم : قربا قرباناً ، فمن أيكما تُقُبِّلَ زوّجها فقُبِلَ قربان هابيل بأن نزلت نار فأكلتهُ ، فازداد قابيل حسداً وسخطاً ، وتوعد بالقتل وقتله وبقي القتيل في العراء لايدري أخوه مايصنع به ، فحمله في جراب على ظهره سنة حتي أروح وعكفت عليه السباع ، فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر ، فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة . فعلمهُ كيف يخفي أخاه ويدفنهُ ، فندم قابيل لما تعب فيه من حمله وتحيره في أمره ، وتبين له من عجزه ، وتلمذه للغراب .

(٦) سورة المائدة الآيات ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ .

من أجل ذلك كتب الله على بني اسرائيل وسائر العالمين انه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتلَ الناس جميعاً . (٧)

ولو التمسنا معنى كلمة يبحث لرأينا المعجمات تذكر : ان مادة بحث دارت في اللسان العربي على معانٍ حقيقية ومجازية كثيرة : فالبحث طلبك الشيءُ في التراب وفي المثل الباحثة عن حتفها بظلفها أي المفتشة والطالبة والملتمسة والبحوث من الابل التي إذا سارت بحثت التراب بأيديها أي حفرته واثارته ورمته الى الخلف . والبحث ان تسأل عن شيءٌ ، وتستخبر . وسورة براءة كان يقال لها : البحوث سميت بذلك لأنها تبحث عن المنافقين وأسرارهم أي استثارتها وفتشت عنها .

فهذه اربعة معانٍ لهذه المادة جسدتها اربع كلمات هي الطلب والتفتيش والاثارة والسؤال ، وإذ كان المعنى الظاهري لكلمة يبحث في التراب هو الحفر والاثارة فلربما نسأل لماذا آثرت الحكمة الالهية استعمال كلمة يبحث بدلاً عن احدى مرادفاتها القريبة في الدلالة المبادرة الى الذهن ؟

وفي اعتقادنا أن كلمة يبحث القرآنية هذه تدل على أكثر من مدلولات مادتها التي سجلها المعجم العربي ، وذلك بدليلين :—

اولهما : ان القرآن الكريم قد أدارها دون سواها من الكلمات التي تؤدي عن معناها الظاهري الذي هو الحفر في التراب .

وثانيهما : هو سياق الآيات الكريمات التي وردت فيها كلمة يبحث ، فهذه الآيات الكريمات تبين بسياقها الظاهري— ومافصله المفسرون من احداثها — اربع حقائق : —

اولاها : أن هناك رجلاً وقعت له حادثة مع أبيه وأخيه في شأنٍ من شؤون حياته كان للغيب فيها أمرهُ .

(٧) تفسير الكشاف للزمخشري ص ٦٢٣ م الاول — دار الكتاب العربي بيروت — لبنان .

وثانيتها : ان هذا الرجل قد ارتكب جريمة ثم حار في كيفية إخفاء جريمته تستراً أو رأفة بقتيله .

وثالثتها : انه كان في حاجة ماسة الى من يعينه في حيرته ، ويأخذ بيده في الخروج منها .

ورابعتها : أن حكماً شرعياً وانسانياً استخاص من هذه الحادثةواصبح قانوناً ينظم العلاقات بين الناس .

وعلى هذا كله فإن العربي عندما كان يتلو تلك الآيات الكريمات ويتلقى تفسيرها يدرك مدلول كلمة يبحث الذي نوهنا بأنه أوسع من معاني مـــادة بحث المعجمية .

ومن هنا فلنا أن نقرر ، مطمئين : ان مدلول كلمة يبحث القرآني قبل الف واربعمائة عام يعني : القيام بعمل لغرض تعليمي يؤتي ثماراً محسوسة لمن يتلقى هذا العمل ويتلمذ عليه كما أنه حافز لاستنتاج نتائج أخرى منه : فقد بحث الغراب في التراب وعلّم قابيل كيف يبحث فيه ويخفي سوءة أخيه ، وأتت ثمار هذا التعليم برداً وسلاماً على انسان حائر هائم وكانت هذه الحادثة بخلفيتها التأريخية ووزرها الاجتماعي مصدر تشريع في جريمـــة القتل وعقابها .

وفي ضوء هذا التحليل يمكننا أن نقرر مطمئين أيضاً : ان المدلول الإصطلاحي لكلمة البحث العامي قد وردت خطوطه العامة في القرآن الكريم وتلقاها العرب منذ نزول الوحي جيلاً عن جيل .

وعندما بزغ فجر النهضة في أوربا وأدار بعض شعوبها مصطلح **(reserch)** للدلالة على لون أو آخر من ألوان النشاط الفكري والعقلي في ميدان العلـــوم الانسانية والتطبيقية وشاع من هذه العلوم في دنيا العرب ، لم يجد هؤلاء العرب فراغاً في لغتهم لترجمة هذا المصطلح ، وإنما أمدهم القرآن الكريم

به فصاغوا كلمة البحث ومشتقاتها لتنهض في وجه المصطلح الأوربي وتشد الفكر العربي بتراثه الأصيل وتجعلهُ بين يدي القرآن الكريم ليغرف منه نبعاً خالداً .

وتدل على مدلولها الاصطلاحي الذي هو طلب الحقيقة وتقصيها واذاعتها بين الناس .

أما كلمة المنهج فلم ترد بصيغتها في آي الذكر الحكيم بل وردت منها صيغة منهاج في قوله تعالى : « وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدّقاً لما بين يديه من الكتاب ومُهيمناً عليه فاحكمْ بينهم بما انزل اللهُ ولاتتبع اهواءهم عما جاءك من الحق لكلٍ جعلنا منكم شرْعةً ومنهاجاً ولو شاء اللهُ لجعلكم أمةً واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون » (٨)

وتنقل المعجمات العربية لمادة (ن ـ هـ ـ ج) التي اشتقت منها كلمة منهاج معاني منها : طريق نَهج : بين واضح ، ومنهج الطريق : وضحه والمنهاج : كالمنهج . وأنهج الطريق : وضح واستبان وصار نَهجاً واضحاً بيناً . ونهجت الطريق : أبنْتُه وأوضَحتُه ؛ يقال : إعْمل على مانهجته لك . ونهجت الطريق سلكته . وفلان يستنهجُ سبيل فلان أي يسلك مسلكه .

وواضح أن مشتقات هذه المادة اللغوية تدور على معاني الطريق الواضح وسلوك هذا الطريق والتقيد بمعالمه ، ولما كانت كلمة المنهاج مثل كلمة المنهج في المعنى ؛ فسرها المفسرون في تلك الآية الكريمة على أنها : (الطريق الواضح في الدين يجرون عليه) (٩)

ومع هذا فنحن نرى : أنهُ إذا كانت كثرة حروف المبنى تدل على سعة

(٨) المائدة الآية ٤٨ .
(٩) راجع الكشاف جـ ١/ ٦٤٠

المعنى فإن كلمة المنهاج اختصت بالطريق الديني الشامل في اغراضه واهدافه ، وأن كلمة المنهج تعلقت بطريق محدد الأغراض والاهداف .

ومن هنا فحينما احتاج العرب في عصرنا الحديث الى مصطلح يدل على مايتقيد به الباحث في بحثه من ضوابط وقواعد اقتبسوا من كلمة المنهاج القرآنية لفظ المنهج بمعنى الطريقة التي يسير عليها دارس ليصل الى حقيقة في موضوع من موضوعات الأدب والعلم أو قضاياهما منذالعزم على الدراسة وتحديد الموضوع... حتى تقديمه ثمرة عمله الى المشرفين او الناقدين والقراء (مقالا) أو (رسالة) أو كتاباً . [10]

أما مادة علم التي تقترن بمنهج البحث في موضوعنا فقد رددها القرآن الكريم اثنتين وتسعين وسبعمائة مرة .[11]

فجاء تعبير « عَلِمَ » اثنتي عشرة مرة و « عَلِمْتُ » أربع مرات و « عَلِمَتْ» ثلاث مرات و « عَلِمتُمْ » خمس مرات و « عَلِمتُموهُنَّ» مرة واحدة « عَلِمْتَهُ » مرة واحدة ايضاً و « عَلِمْنا » ست مرات و « عَلِمهُ »مرة واحدة و « عَلِموا » مرتين و « أعْلَمُ » احدى عشرة مرة و « تعْلَمْ » اثنتي عشرة مرة و « لتعْلَمُنَّ » اثنتي عشرة مرة أيضاً و « تعْلَمهُا » مرة واحدة و « تعْلَمُهُمْ » مرة واحدة أيضاً و « تعلموا » تسع مرات و « تعْلَمُوُن » ستا وخمسين مرة و « فستعْلمونَ » ثلاث مرات و « تعلَمونَهُمْ » مرة واحدة و « تعلَموهُم » مرة واحدة أيضاً و « نعْلَمُ » اثنتي عشرة مرة و « نعْلَمُهُمْ » أربع مرات و « يعْلَمُهُ » أربع مرات ايضاً و « يعْلَمُها » مرتين و « يَعْلِمَهُمْ » ثلاث مرات و « يعلموا » سبع مرات و « يعْلَمُون » خمساً وثمانين مرة و « سيَعْلَمُونَ » خمس مرات و « اعْلَمْ » اربع مرات و « اعْلَموا » سبعاً

(١٠) راجع كتاب منهج البحث الأدبي د . علي جواد الطاهر ص ٢٦

(١١) اعتمدنا في هذه الاحصائية على المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبدالباقي مطابع الشعب ١٣٧٨ هـ .

وعشرين مرة و « ليُعْلَمْ » مرة واحدة و « عَلّمَ » أربع مرات و « عَلّمْتُكَ» مرة واحدة و « عَلّمْتُمْ » مرة واحدة أيضاً .

و « عَلّمْتَنا » مرة واحدة و « عَلّمْتني » مرة واحدة أيضاً و « عَلّمكَ » مرة واحدة و « عَلّمتكُمْ » ثماني مرات و « عَلّمني » مرة واحدة و «علّمَهُ» أربع مرات و « تُعَلّمن» مرة واحدة و « تعلّمُون » مرتين و « تُعلّمونَهنَّ » مرة واحدة و « لنُعلّمَه » مرة واحدة أيضاً و «يُعَلّمان » مرة واحـــدة و « يُعلّمُك » مرة واحدة و « يُعلّمُكمُ » ثلاث مرات و « يُعَلّمُهُ » مرتين و « يُعَلّمُهُمْ » ثلاث مرات و « يُعلّمونَ » مرة واحدة و « عُلّمْتَ » مرة واحدة ايضاً و « عُلِّمْتُم » مرة واحدة و « عُلِّمنا » مرة واحدة و « يتعلّمُونَ » مرتين و « عالم » ثلاث عشرة مرة و « العالمون » مرة واحدة و « عالمينَ » أربع مرات و « علماء » مرتين و « معْلُومُ » احدى عشرة مرة و « معلوماتٌ » مرتين و « أعلم » تسعاً واربعين مرة (اسم تفضيل) و« عليم » احدى وستين ومئة مرة ، و « علاّمُ » أربع مرات و « العِلْمُ » اثنتين وتسعين مرة و «عِلْمِهِ» خمس مرات و « عِلْمُها » أربع مرات و « عِلْمُهُمْ » مرة واحدة و « عِلْمي» مرة واحدة كذلك .

لقد رسخت هذه التعابير مفهوم العلم وموضوعاته في العقلية العربية التي كانت في تاريخها الطويل على مستوى غير قليل من الرقي والتقـــدم ، وآية ذلك أن المشركين منهم تصدوا للقرآن الكريم بصور مختلفة من التصدي .فشككوا في مصدره وزعموا ملفقين انما يعلّم الرسول (ص) رجل باليمامة يقال له الرحمن(١٢).

ولن نؤمن به أبداً فنزل قوله تعالى : « كذلك أرسلناك في أمّة قد خلت من قبلها أممٌ لتتلو عليهم الذي أَوْحيْنا اليك وهُمْ يكفرون بالرحمن قل هو ربّي لا إله إلا هو عليه توكلتُ واليه متاب » (١٣) .

كما انهم كانوا على بينةٍ من جوهر القرآن فاتخذوا من اسباب المدارسة ووسائل

(١٢) السيرة النبوية لابن هشام جـ١/٣٣٢ مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٥٥ هـ /١٩٣٦ م

(١٣) سورة الرعد الآية ٣٠

المنازلة ما تصوروا أنه سوف يجديهم في خصومة الرسول الكريم والكتاب العزيز وقد حُكي ان (الوليد بن المغيرة اجتمع اليه نفر من قريش ، وكان ذا سن فيهم وقد حضر الموسم فقال لهم : يا معشر قريش ، إنه قد حضر هذا الموسم ، وان وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فاجمعوا فيه رأياً واحداً ، ولا تختلفوا فيكذّب بعضكم بعضاً ، ويردّ قولكم بعضه بعضاً ؛ فقالوا : فأنت يا أبا عبد شمس ، فقل وأقم لنا رأياً نقول به ؛ قال : بل أنتم فقولوا أسمعْ ؛ قالوا : نقول كاهن ؛ قال لا والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكُهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه ؛ قالوا : فنقول : مجنون ؛ قال : ما هو بمجنون

لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته، قالوا : فنقول : شاعر ؛ قال : ماهو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر ؛ قالوا : فنقول : ساحر ؛ قال : ما هو بساحر ، لقد رأينا السُحار وسِحرهم ، فما هو بنفثهم و لا عقدهم قالوا : فما تقول ياأبا عبدشمس ؟ قال : والله إنّ لقوله لحلاوة ، وان اصله لعذْق وان فرعه لجناة وماأنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عُرف أنه باطل ، وان أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر ، جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وابيه ، وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجه ، وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك ، فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم ، لا يمر بهم أحدٌ إلا حذّروه إياهُ وذكروا لهم أمرَهُ) (١٤)

فهذه الحكاية تظهر رجلاً من العرب على درجة رفيعة من الروح العلمية وبين رهط من قومه ، تأبى عليه عقليته العامية في البحث ان يصف القرآن بشئ مما ليس منه معتمداً في ذلك على منهج علامي في الموازنة والمقارنة ثم ينتهي بهذه الموازنة والمقارنة الى بيان حقيقة القرآن الكريم .

---

(١٤) السيرة النبوية لابن هشام ج ١ / ٢٨٤

وبالاضافة الى هذا ينتهي به ــ تآمره مع ذلك الرهط الى منهجٍ نفسي واجتماعي في الاعلام فيفرق عليه ذلك الرهط بين الناس الذين لم يكن إقناعهم بالامر الهين .

وتتجلى هذه العقلية العربية بسماتها العلمية لدى المهاجرين الى الحبشة أيضاً فتروي كتب السيرة أن النجاشي أرسل اليهم بعد أن جاءه عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة يطلبان منه ردهم الى مكة ودعاهم إليه فقال بعضهم لبعض : ماتقولون للرجل اذا جئتموه ؟ قالوا : نقول والله ماعلمنا ، وماأمرنا به نبينا (ص) كائناً في ذلك ماهو كائن . فلما جاءوا ، وقد دعا النجاشي أساقفته ، فنشروا مصاحفهم حوله ، سألهم فقال لهم : ماهذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا به في ديني ، ولا في دين أحد من هذه الملل ؟ قالت : فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب (رض) فقال له : أيها الملك ، كنّا قوماً اهل جاهلية . . . حتى بعث اللهُ الينا رسولاً منّا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ماكنا نعبد نحن وأباؤنا من دونه من الحجارة والاوثان ، وأمرنا بصدق الحديث وإداء الامانة . . . فعدّد عليه امور الاسلام ــ فصدقناهُ وآمنا به ، واتبعناه على ماجاء به من الله . . . فعدا علينا قومنا ، فعذبونا وفتنونا عن ديننا ، ليردّونا الى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى وان نستحلّ ماكنا نستحلُّ من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا الى بلادك ، واخترناك على من سواك : ورغبنا في جوارك ، ورجونا ان لا نظلم عندك أيها الملك . فقال له النجاشي : هل معك مما جاء به عن الله من شيء : فقال له جعفر : نعم ؛ فقال له النجاشي : فاقرأه عليّ ؛ قالت : فقرأ عليه صدراً من : « كهيعص » فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته وبكت اساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم ، حين سمعوا ماتلا عليهم ، ثم قال

لهم النجاشي : ان هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة انطلقا ، فلا والله لاأسلمهم إليكما ولايكادون (١١٥)

ويتجلى من هذه الحادثة ما امتاز به هؤلاء المهاجرون من شجاعة علمية كما يتجلى منها أن جعفر بن أبي طالب كان متمرساً بأساليب المحاججة والعرض العلمي والقدرة على الاقناع وحسن اختيار الشواهد مما تمكن في النهاية أن يكسب الحجاج ويتغلب على خصميه ويميل إليه من معه قلب النجاشي ورجالاته الراسخين في علوم دينهم .

ويقدم القرآن الكريم مصداق هذه الحادثة وتلك الحكاية للذين يتشككون فيهما ، وذلك في آيات منها قوله تعالى في وصف نفرٍ من العرب عرفوا بالمنافقين « ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد اللهَ على مافي قلبه وهو الدُّ الخصام » (١٦)

فهولاء القوم يروق قولهم ويعجب في القلب لمافيه من حسن الحديث وقوة المنطق وشدة العارضة أسر البلاغة .

ومنها قوله تعالى في وصف قوم آخرين : « فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنةٍ حِداد » (١٧)

فهذه الآية الكريمة تبين موهبة هؤلاء القوم في الحديث وحدة ألسنتهم في الخصومة والمنازلة الكلامية . وأياً كان فمن يتتبع ماأداره القرآن الكريم من مادة سأل يجد أن هذا الكتاب العزيز يحث العرب على السؤال ويدعوهم الى المساءلة ، وبدهي ان المساءلة بالسؤال سبيل الباحثين الى تحديد موضوعات بحوثهم وتعين ميادينها من ذلك قوله تعالى : « وماأرسلنا من قبلك إلا رجالاً

(١٥) ينظر المصدر السابق جـ١ / ٣٥٩

(١٦) سورة البقرة الآية ٢٠٤

(١٧) جزء من الآية ١٩ من سورة الاحزاب .

نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون »[١٨]
ومن تحدث عن أسباب نزول هذه الآية الكريمة ينعقد رأيهم على أن قريشاً قالت : الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً فقيل « وماأرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي اليهم » على ألسنة الملائكة « فاسألوا أهل الذكر » وهم أهل الكتاب ، ليعلموكم أن الله لم يبعث الى الأمم السالفة إلا بشراً .

ومن ذلك ايضاً قوله تعالى : « سلْ بني اسرائيل كم آتيناهم من آيةٍ بينةٍ ومن يبدّل نعمة الله من بعد ماجاءته فانّ الله شديدُ العقاب »[١٩]
فظاهر هذه الآية أمر للرسول الكريم أو لكل أحد بأن يَسأل بني اسرائيل كم آتيناهم من آية بينةٍ على أيدي أنبيائهم وهي معجزاتهم أو من آيةٍ في الكتب شاهدة على صحة دين الاسلام فهاتان الآيتان الكريمتان تبينان أن القرآن الكريم – بالاضافة الى ما أسلفنا – كان يصدع بما يوسع آفاق تفكيرالعرب ويحملهم على مخالطة الآخرين وينوع بين أيديهم مصادر العلم والمعرفة .

كما أن القرآن الكريم كان يعتمد على كلمة السؤال ليثبت على ألسنة المخاطبين مايريد تقريره من ذلك قوله تعالى : « ولئن سألتهُمْ من نزل ماءً فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولنّ اللهُ قل الحمد لله بل أكثرهم لايعقلون »[٢٠]
ويبدو ان هذه الظاهرة العقلية التي هي من مستلزمات منهج البحث العلمي قد خلقت من العرب أمةً متسائلة لم تكتف بتلقي القرآن الكريم وتلقف ما بين دفتيه من شؤون الدنيا والآخرة وانما انبرت تسأل الرسول الكريم وتستفسر منه عن موضوعات تنوعت بين قضايا شتى : – ابرزها : السؤال عن الروح في قوله تعالى: « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً »[٢١]

(١٨) سورة النحل الآية ٤٣
(١٩) سورة البقرة الآية ٢١١
(٢٠) سورة العنكبوت الآية ٦٣
(٢١) سورة الأسراء الآية ٨٥

والسؤال عن يوم الدين في قوله تعالى : « يسألون ايّان يومُ الدين » [٢٢].
والسؤال عن الساعة في قوله تعال : « يسألُك الناسُ عن الساعة قل انما علمها عند الله وما يُدريك لعل الساعة تكون قريباً »[٢٣] .
والسؤال عن المظاهر الطبيعية كما في قوله تعالى : « ويسألونك عن الجبال فقل ينسفُها ربي نسفاً » [٢٤] .
والسؤال عن الفلك والتقويم في قوله تعالى : « يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيتُ للناس والحج » [٢٥] .
والسؤال عن الاشهر وما يجري فيها من شؤون اجتماعية واقتصادية كما في قوله تعالى : « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتالٌ فيه كبير وصدٌ عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهاه منه اكبر عند الله والفتنة اكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة واولئك اصحاب النار هُمْ فيها خالدون » [٢٦] .
والسؤال عن مسائل تاريخية كما في قوله تعالى : « ويسألونك عن ذي القرنين قلْ سأتلوا عليكم منهُ ذكراً » [٢٧]
وواضح من هذه الآيات الكريمات أن قضايا تلك الاسئلة وموضوعاتها لاتدع مجالاً للشك في قدرة العرب على خوض المسائل الغيبية والتباحث حول المشكلات العقلية وتتبع مظاهر الطبيعة والكون وتقصي أخبار الأمم وتاريخها ، ومن هنا لابدَّ ان نعجب من أولئك المستشرقين الذين مرَّ بنا زعمهم : أن العرب

(٢٢) سورة الذاريات الآية ١٢
(٢٣) سورة الاحزاب الآية ٦٣
(٢٤) سورة طه الآية ١٠٥
(٢٥) سورة البقرة الآية ١٨٩
(٢٦) سورة البقرة ٢١٧
(٢٧) سورة الكهف الآية ٨٣

أمةٌ لم تنبغ إلا في المحسوسات ولم تخض الا في الأمور المادية مقهورين عن استجلاء الكليات من المباحث العقلية وشؤون ماوراء الطبيعة .
فهذا الزعم – بلا ريب – لايثبت أمام هاتيك الآيات البينات التي لايأتيها الشك من بين يديها ولا من خلفها ، كما أن أولئك الباحثين العرب والمستشرقين الذين انكروا معرفة العرب بالبحث العلمي ومنهجه في الدراسة لايحيوون جواباً حينما نواجههم بآي الذكر الحكيم التي تقدم في مواضع عدة من القرآن الكريم صورة منهج البحث العلمي متكاملاً في موضوعاته وأدواته واسسه وأساليبه :

أما الموضوعات فقد أثارت آي الذكر الحكيم منها علوماً تطبيقية ونظرية وانسانية مثل علم الأجنة في قوله تعالى : –

« ولقد خلقنا الانسان من سلالةٍ من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم خلقنا النُّطفةَ علقةً فخلقنا العلقةَ مضغة فخلقنا المضغةَ عظاماً فكسونا العظامَ لحماً ثم أنشأناهُ خلقاً آخر فتبارك اللهُ احسنُ الخالقين » [٢٨]
فهذه الآية الكريمة قد نبهت اذهان المسلمين – منذ نزولها – على تتبع مراحل تكون الانسان وولادته ، ففهم العلماء منهم معناها على ان : السلالة هي الخلاصة لأنها تسل من بين الكدر ، وعن الحسن : أنها ماء بين ظهراني الطين . ومعنى جعلنا الانسان نطفة أنه خلق جوهر الانسان أولاً طيناً ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة والقرار المستقر والمراد الرحم ثم تحولت النطفة علقة وخلقت العلقة مضغة ثم أصبحت المضغة عظاماً فكسيت لحماً وبعد ذلك أنشأهُ الله تعالى خلقاً آخر متبايناً أي تباين اذ جعله تعالى حيواناً وكان جماداً ، وناطقاً وكان ابكم وسميعاً وكان أصم ، وبصيراً وكان اكمه وأودع باطنه وظاهرهُ – بل كل عضو من أعضائه وكل جزء من أجزائه – عجائب فطرة وغرائب حكمة لاتدرك بوصف الواصف ولا تبلغ بشرح الشارح كما أنها حملت العلماء المعاصرين الذين أولعوا

(٢٨) سورة المؤمنون الآيات ١٢ – ١٣ – ١٤

بتلمس العلوم الحديثة في القرآن الكريم على الموازنة بينها وبين ما انتهت إليه هذه العلوم في دراسة الجنين منذ أول مراحل تكونه ونشأته فاستنتجوا أن هذا الكتاب العزيز قد سبق أصحاب هذه العلوم في هذا الميدان من ميادين المعرفة الانسانيـــة .

ومن تلك الموضوعات علم البصريات كما أشار اليه قوله تعالى :- « الم تر الى ربك كيف مدَّ الظّل ولو شاء لجعلهُ ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً » (٢٩)

فقد التقى فكر المسلمين القدامى بهذه الآية الكريمة فانبعث فيه حب معرفة الظل وأسرار تكونه وعلاقته بالشمس إذ شرح له المفسرون منطوق هذه الآية على أن معني مدّ الظل : أن جعله يمتدّ وينبسط فينتفع به الناس (ولو شاء لجعله ساكناً) أي لاصقـــاً بأصل كل مظـــل من جبـــل وبناء وشجرة ، غير منبسط فلم ينتفع به أحد : سمى انبساط الظل وامتداده تحركاً منه وعدم ذلك سكوناً . ومعني كون الشمس دليلاً : أنَّ الناس يستدلون بالشمس وبأحوالها في مسيرها على أحوال الظل ، من كونه ثابتاً في مكان زائلاً ومتسعاً ومتقلصاً فيبنون حاجتهم الى الظل واستغناءهم عنه حساب ذلك ومنها مصطلح الحساب الذي تكرر في آيات بينات (٣٠) كقوله تعالى : « هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدرهُ منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ماخـــلق الله ذلك إلا بالحق يفصلُ الآيات لقوم يعلمون » (٣١)

ومنها علم الفلك في قوله تعالى : « الم تر أن الله يولجُ الليلَ في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كلٌ يجري الى أجل مسمّى

(٢٩) سورة الفرقان الآية ٤٥

(٣٠ تنظر سورة آل عمران الآية ١٩٩ وسورة البقرة الآية ٢٠٢ وسورة الاسراء الآية ١٢ .

(٣١) سورة يونس الآية ٥

وان الله بما تعملون خبير » [٣٢]

ومنها علم الملاحة ومايتعلق به من علم الأنواء كما في قوله تعالى : « الم تر ان الله سخر لكم مافي الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا باذنه انّ الله بالناس لرؤفٌ رحيم » [٣٣] وقوله تعالى : « الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته إنّ في ذلك لآيات لكل صبّار شكور » [٣٤] ومنها علم الزراعة كقوله تعالى : « الم تر ان الله انزل من السماء ماءً فتصبح الأرض مخضرة ان الله لطيف خبير » [٣٥] .

ومنها علم التاريخ واحوال الأمم ووقائع الاحداث كقوله تعالى : « الم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد * التي لم يخلق مثلها في البلاد * وثمودَ الذين جابوا الصخر بالواد * وفرعون ذي الأوتاد * الذين طغوا في البـــلاد * فأكثروا فيها الفساد * فصبّ عليهم ربك سوط عـــذاب » [٣٦]

فهذه الآيات الكريمات ومثيلاتها قد حفزت الرواة والمؤرخين على تلمس تواريخ هاتيك الأمم وتلقف عنهم المفسرون ماأدلوا به فراحوا يقررون بين يديها أنه قيل لعقب عاد بن عوص بن إرم ابن سام بن نوح عاد ، كما يقال لنبي هاشم : هاشم . ثم قيل للأولين منهم عاد الأولى وإرم ، تسمية لهمباسم جدهم ولمن بعدهم : عاد الأخيرة . فارم في قوله (بعاد إرم) عطف بيـــان لعاد ، وإيذان بأنهم عاد الأولى القديمة . وقيل (إرم) بلدتهم وأرضهم التي كانوا فيها و (ذات العماد) اسم المدينة وقيل ذات البناء الرفيع (جابوا الصخر)

(٣٢) سورة لقمان الآية ٢٩
(٣٣) سورة الحج الآية ٦٥
(٣٤) سورة لقمان الآية ٣١
(٣٥) سورة الحج الآية ٦٣
(٣٦) سورة الفجر الآيات ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣

قطعوا صخر الجبال واتخذوا فيها بيوتاً ثم ذكروا أحوال ثمود والفراعنة وقصوا لهم حكايات تفتق الأذهان وتدعو الى التدبر والا تعاظ .

وفي رأينا أن موضوعات البحث هذه التي نجتزىء بها هنا عن سواها ، تمثل حقيقة لا مراء فيها تؤكد أن العرب قد تفتحت عقولهم بتلاوة القرآن الكريم وانبسطت في رحاب علوم شتي ومعارف جمة مما لايمكن أن يوصفوا معها بالأمية المطلقة أويزعم انهم لم يملكوا حظاً من العلوم إلا بالترجمة عن الأمم الاخرى والاقتباس من شعوب أجنبية .

ومما يتصل بالبحث العلمي أسس منهجه في العرض والتحليل ، فقد أشار القرآن الكريم من بينها الى خمسة أسس :—

أولها :— التدبر والتأمل :

ويبدو هذا الأساس في قوله تعالى : « افلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفالها » (٣٧)

وقوله تعالى : « افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً» (٣٨)

فالآية الاولى تصدع بتدبر القرآن والتأمل فيه وينعى على الذين كلت قلوبهم وعميت بصائرهم عن ذلك .

أما الآية الثانية فتبين — بالاضافة الى وجوب التدبر — : أن هذا التدبر معيار لادراك كنه القرآن الكريم الذي هو من عند الله ، ولو كان من عند غيره لوجدوا فيه اختلافاً وتباينا كبيرين .

وبذلك فإن هذا الأساس قد عود العرب على تدبر مايبحثون فيه وتأمله سبيلاً للوصول الى نتائج يقينية وتقرير حقائق علمية .

(٣٧) سورة محمد الآية ٢٤
(٣٨) سورة النساء الآية ٨٢

وثانيها : التفكر واعمال العقل وشحذ التفكير :-

فقد بين الله تعالى في كتابه العزيز أنه يضرب الأمثال ليحمل الناس على التفكر إذ قال : « لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون »(٣٩)

كما ذكر تعالى أن الغاية من بيان الآيات هي حمل الناس على التفكر إذ قال : « ايودُّ احدُكم ان تكونَ لهُ جنّةٌ من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات واصابهُ الكبرُ ولهُ ذُريةٌ ضعفاءُ فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبيّن اللهُ لكم الآيات لعلكم تتفكرون »(٤٠)

ومن هنا فقد حث الله تعالى الناس على التفكر فقال : « أوَ لم يتفكروا في انفسهم ماخلق اللهُ السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وان كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون »(٤١)

وجاءت آيات كثيرات تسجل للمتفكرين مايبين أقدارهم وينوّه بمنزلتهم الرفيعة منها قوله تعالى « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربّنا ماخلقت هذا باطلاً سبحانكَ فقنا عذاب النار »(٤٢)

وهكذا فان العربي يجد نفسه بين يدي هذه الآيات الكريمات مدركاً أن دينه القويم وكتاب هذا الدين العزيز يدعوه الى التفكر فيما يقبل عليه من شؤون دنياه وآخرته ويلزمه ان يدع الهوى والميل فيما يبحث فيه ويتدارسهُ مرسخاً بذلك أساس منهج أصيل لما ينهض به - عالماً كان أو متعلماً .

وثالثها : المجادلة والأخذ والرد في ضوء معايير علمية تقوّم مصادر

---

(٣٩) سورة الحشر الآية ٢١

(٤٠) سورة البقرة الآية ٢٦٦

(٤١) سورة الروم الآية ٨

(٤٢) سورة آل عمران الآية ١٩١

المعرفة وتجسد المناقشة :

فقد نعت آيات بينات على الذين يميلون عن هذه المعايير ولا يلتزمونها في آداب المجادلة ، من هذه الآيات قوله تعالى : « ومن الناس من يُجادلُ في الله بغير علمٍ ويتبعُ كل شيطانٍ مريد » (٤٣)

فهذه الآية الكريمة توبخ أولئك الذين يجادلون من غير علمٍ ويتبعون في مجادلاتهم الأهواء ، فيكونون كمن يقرع في الهواء ولا يحسن في القول فتيلا ومنها قوله تعالى : « ومن الناس من يُجادلُ في الله بغير علمٍ ولا هدى ولا كتابٍ منير » (٤٤)

فهذه الآية الكريمة تستوجب توفر ثلاثة مصادر للمتجادلين :—

أولها : العلم اليقيني .

وثانيها : الهدى والبصيرة بالغاية من المجادلة .

وثالثها : كتاب يوثق أطراف المجادلة ويلملم مقاصدها .

ومنها قوله تعالى : « وما نرسلُ المرسلينَ إلا مبشرين ومنذرين ويجادلُ الذين كفروا بالباطل ليدْحضوا به الحقَّ واتخذوا آياتي وما انذروا هزُوا » (٤٥)

ففي هذه الآية الكريمة يظهر بُعد جديد للمجادلة يجسدهُ سلوك الكافرين في هذا الأساس من أسس منهج البحث فاذا هم يجادلون بالباطل ولا يتصفون بالجد العلمي والرزانة العقلية ، وانما يتخذون من الباطل والسخرية وسيلةً لدحض الحق الذي لايستطيعون منهُ تمكناً ورداً .

واذ دحض القرآن الكريم هذه الحالات من المجادلة وأبطل تلك الألوان من المناقشة بيَّن — على الطرف الآخر— آداب المجادلة الحقَّ وأثبت تقاليدها الأصيلة فأورد قولهُ تعالى : « ادْعُ الى سبيلِ ربك بالحكمة والموعظة

(٤٣) سورة الحج الآية ٣

(٤٤) سورة الحج الآية ٨

(٤٥) سورة الكهف الآية ٥٦

الحسنة وجادلهم بالتي هي احسنُ إنَّ ربكَ هو أعلمُ بمن ضلَّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » [٤٦] .

وقوله تعالى : « ولا تُجادلوا أهلَ الكتاب إلا بالتي هي احسنُ » [٤٧]

ففي الآية الاولى تفصيل لآداب المجادلة بالنص على ثلاثة أركان :—

اولها: الحكمة ، وهي المقالة المحكمة الصحيحة والدليل الموضح للحق المزيلة للشبهة .

وثانيها: الموعظة الحسنة ، وهي التي لايخفى على الذين تجادلهم أنك تناصحهم بها وتقصد ماينفعهم فيها .

وثالثها: المجـادلة بالتي هي احسن ، وهي احسن طرق المجادلةمن الرفق واللين ، من غير فظاظة ولا تعنيف .

أما الآية الثانية فهي تنهى عن مجادلة الخصوم بغير التي هي احسن وهي مقابلة الخشونة باللين ، والغضب بالكظم ، والسوء بالأناة . وبذلك فإن العربي قد تعود بتلاوة آي الذكر الحكيم على أساس المجادلة في منهج البحث وتمرس بأساليبها ، وتمكن من إنجاز بحوثه بأناة وتروٍ ومالَ عن التسرع والهوى .

ورابعها: المحاججة والاستدلال ودحض الحجة بالحجة ونقض الدعوى بالدليل والبينة .

وقد بسط القرآن الكريم هذا الأساس ووضح كيفيتهُ وأورد مصادرهُ ، فأردفه بالعلم في قوله تعالى : « فمن حاجّكَ فيه من بعدِ ماجاءكَ من العلم فقُلْ تعالوْا ندْعُ ابناءَنا وابناءَكم ونساءَنا ونساءَكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهلْ فنجعل لعنةَ الله على الكاذبين » [٤٨] ومعنى هـذه الآية ان المجادلة تنقطع

(٤٦) سورة النحل الآية ١٢٥
(٤٧) سورة العنكبوت الآية ٤٦
(٤٨) سورة آل عمران الآية ٦١

أسبابها وتزول دواعيها في موضوع البحث إذا كان قد جاء فيه يقين ، وهو البينات الموجبة للعلم ، فلا ينبغي أن تدور إلا في ضوء الحجة والبينة والبرهان . ومن هنا فإن توثيق مصادر البحث ضرورة علمية قبل المجادلة ، لذلك فان القرآن الكريم أنكر أن تستعر المجادلة بعد التوثيق ويشمر المجادلون عن سواعدهم أثر توفر مايقنعهم بعدم جدوى مجادلتهم ، وذلك في قوله تعالى : « ياأهلَ الكتابِ لِمَ تُحاجّونَ في إبراهيم وما أُنزلت التوراة والانجيل إلا من بعده أفلا تعقلون » (٤٩)

فهولاء القوم الذين انكر عليهم القرآن الكريم المجادلة كانوا قد زعموا أن ابراهيم كان منهم – وجادلوا رسولَ الله (ص) والمؤمنين فيه فقيل لهم : ان اليهودية انما حدثت بعد نزول التوراة ، والنصرانية بعد نزول الانجيل ؛ وبين ابراهيم وموسى ألف سنة ، وبينهُ وبين عيسى ألفان ، فكيف يكون ابراهيم على دين لم يحدث إلا بعد عهده بأزمنة متطاولة ؟ (٥٠)

ومن هنا فإن القرآن الكريم قد جعل العلم صنواً للمحاججة في مواضع ، منها قولهُ تعالى : « هاأنتم هؤلاء حاججتُم فيما لكم به علمٌ فلمَ تُحاجّونَ فيما ليس لكم به علمٌ واللهُ يعلمُ وانتم لاتعلمون » (٥١)

كما أنه قد أدار مُصْطَلَحَيْنِ في معرض المحاججة ومضمارها وبيان آدواتها وتمهيد سُبُلها :–

أحدهما : الحجة كما في قوله تعالى : « والذين يُحاجّون في الله من بعد مااستُجيب لهُ حُجتُهمْ داحضةٌ عند ربهم وعليهم غضبٌ ولهم عذاب شديدٌ » (٥٢)

---

(٤٩) سورة آل عمران الآية ٦٥
(٥٠) راجع الكشاف جـ١ / ٣٧١
(٥١) سورة آل عمران الآية ٦٦
(٥٢) سورة الشورى الآية ١٦

ومصطلح الحجة في هذه الآية الكريمة يقتضي أن تنهض المحاججة لغاية أما أن يشتجر أوارها وتدور أسبابها من غير غاية فهذا مالا ينبغي أن يتم ويحدث .

ومن هنا فقد بيّن القرآن الكريم غاية الحجة بأنها الاقناع وقطع دابر العناد واغلاق الباب في وجوه المشككين والمعاندين ، ويظهر هذا في قوله تعالى : « ومن حيثُ خرجت فولّ وجهكَ شطر المسجدِ الحرام وحيث ماكنتم فولوا وجوهكُمْ شطره لئلا يكونُ للناسِ عليكم حُجّة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوْهم واخشوني ولأتم نعمتي عليكم واعلكم تهتدون» (٥٣)
وعليه فإن الحجة ترفع مكانة من يأتزر بها ويستند اليها كما في قوله تعالى : حكاية عن سيدنا ابراهيم « وتلك حُجّتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفعُ درجات من نشاءُ ان ربك حكيم عليم » (٥٤)

كما أنها ينبغي أن تكون مقنعة يطمئن اليها القلب ويرضى بها العقل وألا تكون واهية تلقى على علاتها ، وتبدو مميزات الحجة هذه في سياق قوله تعالى : « واذا تُتلى عليهم آياتُنا بيّناتٍ ماكان حُجّتهم إلا قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين » (٥٥)

ويبدو أن المفسرين وسواهم من الذين يتلون القرآن الكريم قد أدركوا مميزات الحجة الحقة التي رسختها آي الذكر الحكيم ، فتساءلوا لم سمّى قولهم حجة في هذه الآية وليس بحجةٍ ؟

ثم أجابوا قائلين : لأنهم أدلوا به كما يدلي المحج بحجتهِ وساقوهُ مساقها فسميت حجة على سبيل التهكم ، أو لأنه في حسبانهم وتقديرهم حجة أو لأنه في اسلوب قوله :

---

(٥٣) سورة البقرة الآية ١٥٠
(٥٤) سورة الانعام الآية ٨٣
(٥٥) سورة الجاثية الآية ٢٥

« تحيةُ بينهمْ ضربٌ وجيعٌ » (٥٦) .

كأنهُ قيل : ماكان حجتهم إلا ماليس بحجة . والمراد : نفى أن تكون لهم حجة البتة .

وثاني المصطلحين : (البرهان) ، وهو مصطلح يطالب القرآن الكريم بتوفره في معرض سياق خبر يقتضي التصديق كقوله تعالى : « وقالوا لن يدخُلَ الجنةَ إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيُّهُم قلْ هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » (٥٧)

فهذه الآية الكريمة تقدم قول جماعة خبراً يحتمل الصدق والكذب لذلك قررت ؛ أن هلموا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة (إن كنتم صادقين) في دعواكم إذ أن كل قولٍ لادليلَ عليه باطل غير ثابت .

ثم إن القرآن الكريم يبين طبيعة البرهان ويفصل أضربه لما لهُ من أهمية في مضمار المحاجة كقوله تعالى : « ام اتخذوا من دونه آلهةً قلْ هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبْلي بل أكثرهُمْ لايعلمون الحقَّ فهم معرضون » (٥٨)

فهذه الآية الكريمة تبين أنه قد اتخذوا من دون الله آلهة استفظاعاً لشأنهم واستعظاماً لكفرهم اي : وصفتم الله تعالى بأن لهُ شريكاً ، فهاتوا برهانكم على ذلك : إما من جهة العقل ، واما من جهة الوحي ، فانكم لاتجدون كتاباً

---

(٥٦) الشاهد لعمرو بن معد يكرب وتمامه :

و خيل قد دلفت لها بخيلي تحية بينهم ضرب و جيع

وخيل : أي وأصحاب خيل قد تقدمت لها بمثلها . والتحية : الدعاء بالحياة ، فأخبر عنها بالضرب الوجيع على سبيل التهكم وضمير (بينهم) للخيل بمعنى الجيش . حاشية الكشاف جـ ١ /٦٠

(٥٧) سورة البقرة الآية ١١١

(٥٨) سورة الانبياء الآية ٢٤

من كتب الاولين إلا وتوحيد الله وتنزيهه عن الأنداد مدعوٌ اليه ، والإشراك به منهي عنه متوعد عليه » . (٥٩)

كما أنه يصور مايترتب على تقديم البرهان أو عدم تقديمه من نتائج ملزمة كقوله تعالى : « ونزعنا من كلّ أمة شهيداً فقلنا هاتوا بُرهانكم فعلموا انّ الحقّ لله وضلّ عنهم ماكانوا يفترون » . (٦٠)

فمعنى هذه الآية (ونزعنا) وأخرجنا (من كل أمة شهيداً) وهو نبيهم : لأن أنبياء الأمم شهداء عليهم ، يشهدون بما كانوا عليه (فقلنا) للأمة (هاتوا برهانكم) فيما كنتم عليه من الشرك ومخالفة الرسول (فعلموا) حينئذ (أن الحق لله) ولرسوله ، لالهم ولشياطينهم (وضل عنهم) وغاب عنهم غيبة الشيء الضائع (ماكانوا يفترون) من الكذب والباطل . (٦١)

فالبرهان في هذه الآية الكريمة ازم أولئك المدعين ماكانوا فيه وصور حالهم بعد أن جوبهوا بطلبه منهم .

ورابعها: الشك والتجربة سبيلين لاثبات الحقيقة :—

ويتجلى هذا الاساس في قوله تعالى : حكاية عن سيدنا ابراهيم « وإذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ اربعةً من الطير فصُرْهنّ اليك ثم اجعل على كل جبلٍ منهن جُزءاً ثم ادْعُهُنّ يأتينكَ سعياً واعلم ان الله عزيز حكيم » (٦٢)

وقد فسر الزمخشري هذه الآية الكريمة في ضوء عقيدته الاعتزالية فقال : (أرني) بصّرني ، فان قلت : كيف قال له (أو لم تؤمن) وقد علم أنــه أثبت الناس ايماناً ؟ قلت : ليجيب بما أجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة

---

(٥٩) ينظر الكشاف جـ١ / ١١١

(٦٠) سورة القصص الآية ٧٥

(٦١) راجع الكشاف جـ ١ / ٤٢٩

(٦٢) سورة البقرة الآية ٢٦٠

للسامعين و (بلى) ايجاب لما بعد النفي ، معناه بلى آمنت (ولكن ليطمئن قلبي) ليزيد سكوناً وطمأنينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال وتظاهر الادلة أسكن للقلوب وأزيد للبصيرة واليقين ، ولأن علم الاستدلال يجوز معهُ التشكيك بخلاف العلم الضروري ، فأراد بطمأنينة القلب العلم الذي لامجال فيه للتشكيك . فإن قلت : بم تعلقت اللام في (ليطمئن) ؟ قلت : بمحذوف تقديره : ولكن سألت ذلك إرادة طمأنينة القلب (فخذ اربعةً من الطير) قيل طاوساً وديكاً وغراباً وحمامة . (فصرهن إليك) بمعنى اضممهن (ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً) يريد : ثم جزّئهن وفرق أجزاءهن على الجبال . والمعنى : على كل جبلٍ من الجبال التي بحضرتك وفي أرضك ، (ثم ادعهن) وقل لهن : تعالين باذن الله (يأتينك سعياً) ساعيات مسرعات في طيرانهن أو في مشيهن على أرجلهن : فإن قلت : مامعنى أمره بضمها الى نفسه بعد أن يأخذها ؟ قلت : ليتأملها ويعرف أشكالها وهيئاتها وحلاها لئلا تلتبس عليه بعد الاحياء ولايتوهم أنها غير تلك ولذلك قال : يأتينك سعياً (٦٣) وقد خالف مفسرون آخرون الزمخشري فيما أداره من عبارة الشك وتوجيه بعض كلم الآية : فقالوا : أما سؤال الخليل عليه السلام بقوله له « كيف تحيي الموتى » فليس عن شك والعياذ بالله في قدرة الله على الاحياء ، ولكنه سؤال عن كيفية الاحياء ، ولايشترط في الايمان الاحاطة بصورتها ، فانما هي طلب علم مالا يتوقف الايمان على علمه ، ويدل على ذلك ورود السؤال بصيغة كيف ، وموضوعها السؤال عن الحال ، ونظير هذا السؤال أن يقول القائل : كيف يحكم زيد في الناس ؟ فهو لايشك أنه يحكم فيهم ، ولكنه سأل عن كيفية حكمه لاثبوته ، ولو كان الوهم قد يتلاعب ببعض الخواطر فيطرق الى ابراهيم شكاً من هذه الآية . وقد قطع النبي عليه الصلاة والسلام دابر هذا الوهم بقوله : « نحن أحق بالشك من

(٦٣) راجع الكشاف جـ ١ / ٣٠٨

ابراهيم » أي ونحن لم نشك ، فلأن لايشك ابراهيم أحرى وأولى فان قلت : إذا كان السؤال مصروفاً الى الكيفية التي لايضر عدم تصورها ومشاهدتها بالايمان ولاتخل به ، فما موقع قوله تعالى : « أو لم تؤمن » ؟ قلت : قد وقعت لبعض الحذاق فيه على لطيفة وهي أن هذه الصيغة تستعمل ظاهراً في السؤال عن الكيفية كما مر ، وقد تستعمل في الاستعجاز مثله : أن يدّعي مدع أنه يحمل ثقلاً من الاثقال وأنت جازم بعجزه عن حمله ، فتقول له أرني كيف تحمل هذا ، فلما كانت هذه الصيغة قد يعرض لها هذا الاستعمال الذي أحاط علم الله تعالى بأن ابراهيم مبرأ منه ، أراد بقوله : (أو لم تؤمن) أن ينطق ابراهيم بقوله : بلى آمنت ليدفع عنه ذلك الاحتمال اللفظي في العبارة الأولى : ليكون ايمانهُ مخلصاً نص عليه بعبارة يفهمها كل من يسمعها فهماً لايلحقه فيه شك فإن قلت : قد تبين لي وجه الربط بين الكلام على التقدير المبين، فما موقع قول ابراهيم (ولكن ليطمئن قلبي) ؟ وذلك يشعر ظاهراً بأنه كان عند السؤال فاقداً للطمأنينة قلت : معناه ولكن ليزول عن قلبي الفكر في كيفية الحياة ، لأني إذا شاهدتها سكن قلبي عن الجولان في كيفياتها المتخيلة ، وتعينت عندي بالتصوير المشاهد وجاءت الآية مطابقة لسؤاله ، لأنه شاهد صورة حياة الموتى ، تقديره الذي يحيي ويميت »[٦٤] ولعلنا إذا ماأردنا أن نحدد موقفاً علمياً من هذه المسألة الخلافية بين أولئك المفسرين في تأويل هاتيك الآيات البينات ، ينبغي أن نستند الى الفكر العربي الموحد ، فنستقبل ظاهر الآيات ولا نحملها أكثر مما تتحمل نصوصها وأكثر مما يتبادر الى الذهن من معانيها .

وفي يقيننا : ان العربي في تلاوته هاتيك الآيات يستخلص أربع حقائق:

اولاها : أن سيدنا ابراهيم (ع) قد التمس أن يريه الله تعالى كيفية احياء

(٦٤) راجع حاشية المصدر السابق ج ١ / ٣٠٨

الموتى ، وقد علّمت هذه الحقيقة العربي منذ أقدم العصور أن يعتمد على المشاهدة والتجربة في إدراك كنه ماليس له به علم من الامور العظيمة ولا يكتفي فيها بالنظر المجرد والسماع المروي .

وثانيتها: ان الله تعالى قد طلب الى سيدنا ابراهيم في صيغة سؤال أن يبين ايمانه فيما التمس : وهذه الحقيقة تبين في ظاهرها ماكان عليه سيدنا ابراهيم من الايمان الحق بالله تعالى مع الكشف عن طبيعة ذلك الالتماس في مضمار العلوم والمعارف المكتسبة ، ومن هنا فإن السؤال عن ايمان سيدنا ابراهيم في هذا المقام يعطي التماسه صبغة علمية ويدرجه بين وسائل تعلم الانسان معلومات اضافية عن طريق المشاهدة والمعاينة وعن سبيل التجربة والاختبار .

وقد فتحت هذه الحقيقة على العربي قديماً أبواب العلم بالكد والمعاناة والطلب والسعي .

وثالثتها: أن سيدنا ابراهيم أكد إيمانه مستدركاً أنه قد أراد بالتماسه اطمئنان القلب في مسألة كيفية احياء الموتى لأنها تخص خبرته المكتسبة وتتعلق بمعلوماته التي لايستطيع أن يوسع آفاقها إلا بالمشاهدة والمعاينة والكسب .

وقد رسخت هذه الحقيقة في عقل العربي حقه في أن يجرب ويختبر مايتناهى اليه من خبر او علم ويعرضه على محك التجربة والاختبار .

ورابعتها : ان الله تعالى قد حول الموقف الذي كان فيه سيدنا ابراهيم الى مختبر للتعليم ، وقد كشفت هذه الحقيقة للعربي منذ تلاوة القرآن الكريم عن المختبر وميدان التجربة وسيلة مثلى يسبر بها أغوار العلم ويدرك كنه المعرفة.

وفي يقيننا أيضاً أن العربي في ايامنا هذه حين يلم بهذه الحقيقة يتذكر نظرية رينه ديكارت في منهج البحث ثم يدرك أن أساس الشك في هذه النظرية قد توفر قبل اربعة عشر قرناً بشكل أو بآخر بين أسس منهج البحث العلمي في التراث العربي .

فالمعروف أن رينه ديكارت الملقب بأبي الفلسفة الحديثة قد أخضع افكاره جميعها الى الفحص الممعن مستنداً الى الشك الذي يوصل الى اليقين: فقد شك في التقليد والتربية وسيلة لكسب العادات والمعرفة ، وشك في الاحساسات التي تزين له هذه المعلومة أو تلك ، وشك في جسمه ووجوده وشك في الحقائق العلمية .

شك ديكارت ، ثم عاد فسلم بجميع الأفكار ، التيشك فيها ، فهل يكون قد شك حقاً ؟ وماهي قيمة هذا الشك ؟

ان شك ديكارت ، لايمس غير الطرق ، التي نهجها الفلاسفة لادراك الحقيقة ، أما الحقيقة عينها ، فقد ظلت في مأمن من الشك . لذا سمي بالشك المنهجي الذي لايشك رغبة في الشك للشك ، لأنهُ عمل يدور على نفسه ، بل يشك ليخرج من ديجور المجهول ، الى وضح المعلوم ، وهذا يعني ، ان ديكارت لم يشك فعلاً . لقد افترض الشك فقط ، لأنه آمن قلبياً بوجود الحقيقة ، وبقدرة الانسان على أن يدرك الحقيقة والا ماهي الفائدة من وضع منهج يسير عليه ؟

ان الشك في الحقيقة يهدم الحقيقة ، ولايترك للانسان مجالاً للبحثعنها ، ومتى انقطع الانسان عن الحقيقة انقطاعاً مبرماً ، تهافت هو ايضاً في قرارة ذاته ، وكان شكه كينونياً هداماً ، أما الشك في مايرتاح اليه الانسان من الاساليب التي يعتقدها ناجحة لادراك الحقيقة فانه لايعطل كينونة الحقيقة ، بل يدعوالى الحذر ، والامعان ، والتريث ، ليتيقن مما يسلم به ، هذا الشك هو شك نفسي بنّاء . هو الحقيقة قد أغمت سماؤها ، بفعل من الانسان لا منها ، فكان على الانسان أن يشك في ذاته ، لا فيها ، ليقوم ماعوج من ذاته . ولهذا كان الشك الديكارتي ذا قيمتين قيمة تربوية ، وقيمة اخلاقية . تقوم القيمة التربوية على أن هذا الشك يروض الانسان ، فيطوعه ، ويعلمه

كيف يجب أن يسير في الطريق الحق . ان الشك مصداق نسترشد به ، لبلوغ اليقين الثابت . أما قيمته الاخلاقية ، فهي أبعد وارفع ، لأن الانسان يعي ولا يتبناها على حساب غيره . (٦٥)

ومهما يكن فإن تذكر نظرية ديكارت في منهج الشك باستنباط تلك الحقائق من آي الذكر الحكيم لايعني أي ضرب من الموازنة المباشرة بين القرآن الكريم وبين أي علم من العلوم الحديثة ، ذلك لأننا قد ثبتنا هذا المبدأ في مستهل دراستنا هذه .

بيد أننا نريد بهذا التذكر تأكيد خصوبة تراثنا الاسلامي وتنوع مجالاته فإذا هو تراث يشدنا اليه في مواجهة اعاصير الغزو الثقافي الأجنبي ويمدنا بما نحتاج اليه محفزاً ايانا على التجديد الأصيل والابتكار القومي والانساني .

وخامسها : نقد النصوص وتحقيقها :—

ويضطرد هذا الأساس من أسس منهج البحث في مظاهر ابرزها : اقتران النص بالعلم كقوله تعالى : «وعلّم آدم الاسماء كلّها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء إن كنتم صادقين * قالوا سبحانك لاعلمَ لنا إلا ماعلمتنا إنك أنت العليم الحكيم * قال ياآدمُ انبئهم باسمائهم فلما أنبأهم باسمائهم قال ألم أقل لكم إني اعلمُ غيب السموات والأرض واعلمُ ماتبدونَ وما كنتم تكتمون » (٦٦)

ففي هذه الآيات الكريمات يدير القرآن الكريم مصطلح العلم وبعضاً من مشتقاته ليوثق ماتعلمه آدم (ع) وماتستطيع الملائكة النهوض به في معرض اختبارهم ، مما يدل ذلك على أن ذكر الاسماء وانباءها من العلم الذي هو حدث موثق قائم على التفكير والتحليل والاستنتاج . وعليه ففي آية اخرى

(٦٥) راجع رينه ديكارت ابو الفلسفة الحديثة بقلم : الدكتور كمال يوسف الحاج دار الحياة بيروت ايار ١٩٥٤ (ص ٨٩)
(٦٦) سورة البقرة الآيات ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣

يقول الله تعالى : « ويعبدون من دون الله مالا يضرّهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قلْ اتنبئون الله بما لايعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون » (٦٧)

فهاهنا ينتقد الذكر الحكيم مقالة الكافرين ويتهكم منهم إذ لايقترن إنباؤهم بعلمه ، فمعنى قوله تعالى : « اتنبئون الله بما لايعلم » على مايذكر الزمخشري (أتخبرونه بكونهم شفعاء عنده ، وهو انباء بما ليس بالمعلوم لله ، واذا لم يكن معلوماً له وهو العالم الذات المحيط بجميع المعلومات لم يكن شيئاً لأن الشئ مايعلم ويخبر عنه ، فكان خبراً ليس له مخبر عنه . فإن قلت : كيف انبأوا الله بذلك ؟ قلت : هو تهكم بهم ومما ادعوه من المحال الذي هو شفاعة الأصنام ، وإعلام بأن الذي انبأوا به باطل غير منطو تحت الصحة ، فكأنهم يخبرونه بشئ لايتعلق بــه علمه كما يخبر الرجل بما لايعلمه) (٦٨)
إذن فالإنباء بأي نص وروايته والاخبار به ينبغي أن يقترن بعلم المنبئ ومعرفة الراوي والمخبر ، كما أن المتلقي لهذا النص لابدّ أن يكون على علم به حتى يتلقى النص بيقين واطمئنان .
لذلك فإن القرآن الكريم قد أشار في آيات بينات منه الى ذكر مصدر النص ، ومن هذه الآيات :

قوله تعالى : « أعندهُ علمُ الغيب فهو يرى * أم لم يُنبّأ بما في صحف موسى * وابراهيمَ الذي وفّى » (٦٩)

واذا لم يذكر القرآن الكريم مصدر النص التقينا باستفسار عنه كما في قوله تعالى : « وإذا أسرَّ النبي الى بعض أزواجه حديثاً فلما نبّأت به واظهرهُ اللهُ

(٦٧) سورة يونس الآية ١٨
(٦٨) راجع الكشاف جـ ٢ / ٣٣٦
(٦٩) سورة النجم الآيات ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧

عليه عرّف بعضه وأعرض عن بعضٍ فلما أنبأها به قالت من أنباكَ هذا قال نبّأني العليم الخبير » [٧٠]

ففي هذه الآية الكريمة تستفسر احدى أزواج النبي (ص) عن مصدر إنبائه الحديث ، فيذكر لها المصدر بأنه العليم الخبير .

وشرط مصدر النص في القرآن الكريم أن يكون موثقاً، لذلك فهو يرتبط بالحق أو بما اليه من المصطلحات التي تبين طبيعة المصدر . كما في قوله تعالى : « نحنُ نقصُ عليك نبأهم بالحق إنهم فتيةٌ آمنوا بربهم وزدناهم هدى » [٧١] فهذه الآية الكريمة قبل أن تروي حكاية أولئك الفتية تخبر مقررة : أنه « نحن نقص عليك نبأهم بالحق » فتوثق بذلك مصدر الحكاية وتؤكد طبيعتها العلمية . واذا لم يحصل شيءٌ من هذا الباب ولم يوثق النص جرى استفسار عن طبيعته ثم اشفع بجواب هذا الاستفسار مؤكداً بالقسم عليه ، كما في قوله تعالى: « ويستنبؤنك أحقٌ هو قلْ إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين» [٧٢] ففي هذه الآية الكريمة يستفسر الكافرون عن العذاب بهذا اللون أو ذاك من الاستفسار ، فيأمر الله تعالى نبيه أن يقسم على أن ذلك حقٌ ، ثم يبين بجملة خبرية مؤكدة أن ذلك العذاب لن يفوتهم وانما يحيق بهم .

ويرتبط النبأ في القرآن الكريم بالمخبر غالباً ، إذ لايأتي فيه الإنباء الا وقد أردف باسم من الاسماء التي تؤدي عمن ينهض به ؛ مما يستطيع الباحث أن يستنتج مطمئناً : أن هذا الكتاب العزيز قد نبّه منذ أقدم العصور الى عنصري النص اللذين هما السند والمتن .

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى : « إن تدْعوهم لايسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ماستجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشِركِكم ولا يُنبّئك مثل

(٧٠) سورة التحريم الآية ٣
(٧١) سورة الكهف الآية ١٣
(٧٢) سورة يونس الآية ٥٣

خبير » [٧٣]

ففي هذه الآية الكريمة التي هي إنباء عن الاصنام نلتقي بعبارة « ولا ينبئك مثل خبير » التي معناها : ولا يخبرك بالأمر مخبر هو مثل خبير عالم به . ويريد : أن الخبير بالأمر وحده . هو الذي يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به .

ولعلنا نلاحظ من هذا المعنى أن القرآن الكريم قد نوّه أيضاً بقدرة السند الذي يوثق بانبائه وإخباره ، إذ نص على صفته التي هي الخبرة والاطلاع وسواها من الصفات التي يجمعها مصطلح الخبير .

واذا لم تتوفر في السند الذي يروي الخبر صفة أو أخرى من صفات العدول وجب التبين والتوثق مما يرويه وينقله ، ويتجلّى هذا في قوله تعالى : « ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبيّنوا أن تصيبوا قوماً بجهالةٍ فتصبحوا على مافعلتم نادمين » [٧٤]

وترجع كتب اسباب نزول هذه الآية الى حدث تأريخي بعينه ، بيد أن الزمخشري قد ذكر أنه : « في تنكير الفاسق والنبأ : شياع في الفساق والأنباء ، كأنه قال : أي فاسق جاءكم بأيّ نبأ فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الأمر وانكشاف الحقيقة ، ولا تعتمدوا قول الفاسق لأن من لايتحامى جنس الفسوق لايتحامى الكذب الذي هو نوع منه » [٧٤]

ومذهب الزمخشري هذا حق لامراء فيه ، ذلك لأن القرآن الكريم كتاب عزيز لكل زمان ومكان ، فهو من أجل هذا يعمم ماقتضت الحكمةالا لٓهية التعميم . وقد أعانتنا هذه الميزة القرآنية على أن نوجه هذه الآية الكريمة وماقبلها وجهة

(٧٣) سورة فاطر الآية ١٤
(٧٤) سورة الحجرات الآية ٦
(٧٥) راجع الكشاف جـ ٤ / ٣٦٠

نستنتج منها خصائص أساس نقد النصوص وتحقيقها من بين أسس منهج البحث العلمي .

ولما كان هذا المنهج عريقاً في التراث العربي فإن الباحث المنصف يستغرب من المستشرق روزنتال إذ يقول :

« قد يكون هذا الخلو الظاهر من أساليب العلم المنتظمة دليلاً على نقص فعلي يتصف به البحث العلمي الاسلامي . نعم إن الأدب العربي يعكس لنا بعض المحاولات التي كانت تبذل في سبيل ايجاد اسلوب منظم في البحث العلمي ولكنها محاولات لم تتعدد ، وذلك ، ربما لانعدام الوسائل التقنية التي لايجدي دونها أي اسلوب منظم نفعاً مهما بذل المؤلف من جهد في هذا السبيل . إذ أي نفع يرتجى من وضع نظام صارم وقواعد مفصلة لتحقيق نص مخطوطة مابمعارضتها بجميع المخطوطات الاخرى اذا لم يكن لدى محقق النص سوى مخطوطة واحدة في متناوله ؟ وفضلاً عن هذا فإن حالة المخطوطات الزرية وشكلها واحجامها لم تكن لتيسر للمحقق في النصوص ضبط وتسجيل الاختلافات والفروقات التي يتوخى جمعها من معارضة مخطوطة باخرى . كذلك أي نفع يرتجيه المحقق من وضع قوانين صارمة ثابتة لحكم فيما يجب قبوله وفيما يجب رفضه طالما ليس لديه وسيلة للتثبت من صحة رواية تبدو غريبة » (٧٦)

وبعد هذا يمضي المستشرق روزنتال فيعلل ماشخصه في ظنه من قصور منهج البحث وتحقيق النصوص الاسلامي .

ويقول : « وعلى كلٍ ، فإن مانشأ في الشرق من تنظيم الاساليب وان قلَّ فقد انحصر على العموم في حقول معينة من حقول المعرفة .

أما في الغرب فاننا نلاحظ اتجاهاً نحو اتباع اسلوب في التحقيق العلمي ذي قوانين صارمة يتناول جميع حقول النشاط الفكري ، وهو اتجاه جذوره

(٧٦) مناهج العلماء والمسلمين في البحث العلمي ص ١٠ – ١١

متأصلة في العصور الوسطى .

والسبب في ذلك هو أن ماتحدر الى الغربيين من بقايا حضاراتهم القديمة ليس سوى نبذ قليلة ، وهذه القلة جعلت العالم الغربي يُعنى بتراثه الثقافي الضئيل عناية المقل المقتصد ، أي بطريقة منتظمة » (٧٧)

وواضح أن المستشرق روزنتال يستند الى فرضيات شكلية فيما يتهم به العرب من قصور في منهج البحث وتحقيق النصوص كما يسقط من حسابه ما كان للقرآن الكريم من أثر بالغ في صياغة الفكر العربي الاسلامي وقيادته في شؤون الحيلة العلمية والثقافية والحضارية ؛ ومن هنا رأيناه يلتجيء الى التساؤل فيما قرر ، ويتلمس المظاهر المادية عللاً لما يقرره ُ متناسياً عراقة الثقافة العربية وامتداد جذورها في أيامنا هذه لتستمد من منابت القرآن الكريم وماقبل القرآن الكريم من حقول المعرفة الخصبة وأياً كان مايدعو اليه روزنتال والذين شايعوه ُ فنحن نرى أنه إذا كان للغرب تراثه الاغريقي فإن للعرب تراثهم الاسلامي الذي تنهض أسسه في ضوء القرآن الكريم الذي شددنا به أزرنا في هذه الدراسة المتواضعة التي نرجو أن تكون قد تمخضت عن نتائج .

احداها : أن الباحثين لم يكونوا على بينة من القرآن الكريم ، ولم يكونوا في رحاب آياته البينات حين أغفلوا تملك العرب لزمام منهج البحث قديماً والاعتماد على اسسه أصالةً ، وزعموا : أن الفكر العربي لم يبدع في الامور المعنوية العامة .

الثانية: أن العرب كانوا على مستوى فكري متطور ، وأن فكرهم قد مارس ألواناً من النشاط العقلي قبل ان يستقبلوا القرآن الكريم بين ظهرانيهم ويتخذوا منه هذا الموقف أو ذاك .

الثالثة : أن آيات كريمات عديدة قد صاغت الفكر العربي بموضوعاتها العلمية وأساليبها في المجادلة والمحاججة وقادته في ميادين البحث العلمي ،

(٧٧) المصدر السابق ص ١١

فملكته منهجاً متميزاً في دراسة شتى أمور الحياة ومختلف مناحي الثقافة والحضارة .

الرابعة: أن منهج البحث العلمي لدى العرب قد ترسخت أسسه في ضوء القرآن الكريم قبل أن تنعقد أية صلة مباشرة بين هذه الأمة وبين سواها من الأمم عن طريق الترجمة والمخالطة الحاسمة وسواها من الطرق التي يرجع اليها المستشرقون التطور الفكري عند العرب تعصباً لغير الحق وميلاً عن جادة الصواب .

الخامسة: أن منهج البحث العلمي قد تكاملت أسسه في التراث العربي واستوى علامة مميزة للعقلية العربية منذ نزول القرآن الكريم ، مما ينبغي أن يبعث هذا المنهج في أيامنا هذه ويمتد صلة وثقى بين الفكر العربي المعاصر وبين جذوره التأريخية العريقة دفعاً للغزو الثقافي الأجنبي ، وتفتُّحاً على الثقافة الانسانية بشخصية فكرية متكاملة ووعي تام في عملية الأخذ والعطاء بين الحضارات .

● ● ●

بلادُ ما وراءَ النَّهرِ

موقعها – أقاليمها – نهرا سَيْحون وجَيْحون – لمحات من تاريخها القديم – فتحها واستعادة فتحها

اللواء الركن محمود شيت خطّاب

عضو المجمع

الموقع :

كان نهر (جَيْحُون) القديم يُعدّ الحدّ الفاصل بين الأقوام النّاطقة بالفارسيّة والتركيّة ، أي إيران وتوران . فما كان في شماله ، أي وراءه ، من أقاليم سمّاها العــرب : ما وراء النّهر (وهو نهر جيحون) وكذلك سمّوها : الهيطل . وقد كان الهياطلة في المئة الخامسة للميلاد ، أعدى أعداء الدولة السّاسانيّة ، وهم الأفثلاطيــون (Ephthalites) لدى المؤلفين البيزنطيين ، ويعرفون بالهون البيض .

ويمكن تقسيم بلاد ما وراء النّهر إلى خمسة أقاليم :

١ – إقليم الصُّغْد ، وهو صُغْدِيانا (Sogdiana) القديمــة مع قصبتيه : (بُخَارى) و(سَمَرْقَنْد) .

٢– إقليم خُوَارِزْم : في غرب الصُّغْد ، وهو الأقليم المعروف اليوم بـ (خِيوَه) ، ويشمل على دلتا نهر جَيْحون .

٣– إقليم الصَّغَانِيَان : في الجنوب الشرقي ومعه (الخُتّل) وغيرهما

من الكور الكبيرة التي تقع في أعالي جيحون . وإليه أيضاً تعود (بَذَخْشَان) وإن وقعت في ضفته اليسرى ، أي الجنوبيّة ، فانّ المنعطف الكبيرللنهر فيما وراء طَخَارِسْتَان يكاد يطوّقها .

٤- إقليم فَرْغَانَة في أعلى نهر سَيْحُون .

٥- إقليم الشّاسْ : وهو اليوم إقليم (طَشْقَنْد مع النواحي التي في الشمال الغربي الممتدة حتى مصب سيحون في مناقع بحر أُرال .

إقليم الصُّغْد

١- الصُّغْد :

يشمل الأرض الخصبة فيما بين نهري جيحون وسَيْحون ، تسقى بنهر الصغدُ وقد قيل : جنان الدنيا أربعة : غُوْطَة دِمَشْق ، وصُغْد سمرقند ، ونهر الأَبُلّة ، وشِعْب بَوّان . والصُّغْد عبارة عن قرى متّصلة خلال الأشجار والبساتين من سمرقند إلى قريب من بُخارى لاتَبين القرية حتى تأتيها ، لالتحاف الأشجار بها ، وهي من أطيب أرض الله ، كثيرة الأشجار غزيرة الأنهار ، متجاوبة الأطيار .

وأجلّ مدن الصُّغْد : سمرقند وبخارى ، ويمكن القول : إنّ الأولى كانت مركزه السياسيّ ، بينما كانت بخارى عاصمته الدينيّة ، ، إلاّ أنّ كلا المدينتين كانتا في مرتبة واحدة ، وتُعدّان قصبتي الصُّغد.

وقد تكتب الصُّغد بالسِّين مكان الصّاد ، أي السُّغد ، وكتابته بالصّاد أشهر وسكّان الصُّغد يدعون أيضاً : الصُّغد ، وهم في الأصل من الترك ، وكان لهم ذكر في فتح بلاد ما وراء النهر واستعادة فتحها ، وهم مقاتلون أشدّاء .

٢- بُخَارى :

من أعظم مدن ما وراء النّهر وأجلّها ، يُعْبَر إليها من (آمُل) الشط ، وبينها وبين جيحون يومان من هذا الوجه ، وكانت قاعدة ملك السّامانيّة .

وهي مدينة قديمة نزهة كثيرة البساتين والفواكه جيِّدتها ، تحمل فاكهتها إلى (مَرْو) وبينهما اثنتا عشرة مرحـــلة ، وإلى خُوارِزْم وبينهما أكثر من خمسة وبينها وبين سمرقند سبعة أيام أو سبعة وثلاثون فرسخاً .

وبخارى مدينة جميلة جداً ، وليس في بلاد الاســلام بلد أجمـــل منها فاذا علوت قلعتها يقع بصرك على خضرة متّصلة خضرتها بخضرة السماء فكأنّ السماء بها مكبّة خضراء مكبوبة على بساط أخضر . وأرض قُراها منعوتة بالاستواء كالمرآة ، وليس بما وراء النهر وخُراسان بلدة أهلها أحسن قيامـــاً على قُراهم بالعمارة من أهل بخارى ولا أكثر عدداً على قدرها في المساحة .

واسم بخارى : (بُومِجْكَث) ، وهي مدينة على أرض مستوية ، وبناؤها خشب مُشبّك ، ويحيط بهذا البناء من القصور والبساتين والمحال والطرق المبلّطة والقرى المتّصلة سور يكون اثني عشر فرسخاً في مثلها ، يجمع هذه القصور والأبنية والقرى والقصبة ، فلا ترى في خِلال ذلك قفاراً ولا خراباً .

ومن دون هذا السّور على خاص القصبة وما يتّصل بها من القصور والمساكن والمحال والبساتين التي تعدّ من القصبة (المدينة الأصلية) ويسكنها أهل القصبة شتاءً وصيفاً ، سور آخر نحو فرسخ في مثله ، ولها مدينة داخل هذا السور يحيط بها سور حصين ، ولها قلعة (قهندز) خارج المدينة متّصل بها ، ومقداره مدينة صغيرة ، وفيه قلعة بها مسكن ولاة المدينة ، ولها ربض ، ومسجد الجامع على باب القلعة .

وخرائب بخارى القديمة التي كانت قبل الاسلام ، تقع على بضعة أميال من شمال غربي المدينة الاسلاميّة قرب ضفة النهر .

وكان في داخل السّور الكبير حول بخارى الكبرى ، الذي يجمع المدينة الأصلية وضواحيها ، خمس مدن زاهرة منها : خُجَادَة ، وهي على فرسخ غرب الدّرب المنحدر من بخارى إلى (بِيكَنْد) على ثلاثة فراسخ من القصبة ، وكانت

مدينة كبيرة عليها حصن فيه الجامع ، حسنة ظريفة .

وتليها بلدة : (مَغْكَان) ، وكانت على خمسة فراسخ من بخارى وثلاثة من الدّرب ، لصق الجانب الغربي من السور الكبير ، وكان لمغكان حصن وربض حسن وجامع ظريف به ماء حار ، كثيرة القرى .

وكانت (بُومِجْكَث) مدينة صغيرة في شمال غربي بخارى على أربعة فراسخ منها ونصف فرسخ عن الدّرب الذي إلى يسار الطريق الذاهب إلى (طواويس) .

والطواويس (وتكتب معرّفةً في الغالب) أعظم المدن الخمس التي في داخل السور الكبير ، وكانت مدينة جليلة ، لها سوق ، ومجمع عظيم ينتابه الناس من أقطار أرض (خُراسان) في وقت معلوم من السنة . ويرتفع منها من ثياب القطن ما يحمل منه لكثرته إلى العراق . وفيها قلعة ، وحولها سور ، ومسجد جامعها في المدينة .

وآخر المدن الخمس الداخلة ، كانت (زَنْدَنَة) ، وما تزال قائمة حتى اليوم ، تبعد عن قصبة بخارى (المدينة الأصلية) أربعة فراسخ ، في شمال المدينة ، لها حصن به الجامع ، وربضها عامر ، وإلى هذه المدينة تنسب الثياب (الزندنجيّة) وهي ثياب مشهورة في الآفاق .

وعلى فرسخين من خارج السور الكبير وخمسة من بخارى ، في الطريق إلى جيحون عند (فِرَبْر) مدينة (بِيْكَنْد) وما زالت قائمة ، فيها حصن بباب واحدٍ ، ومحراب مزخرف فليس بما وراء نَهر محراب مثله ولا أحسن زخرفة منه ، ولها ربض فيه سوق،ولم يكن لها قرى ، وفيها نحو ألف رباط ، ولها سور حصين ومسجد جامع ، ويلي هذه المدينة مغارة رملية إلى حَدّ جيحون .

٣ـ أ . سَمَرْقَنْد :

تقع على نحو مئة وخمسين ميلاً من شرق بخارى ، وتقوم على مسافة

قصيرة من ضفة نهر الصُّغد الجنوبيّة ، على نشز من الأرض .

وعلى المدينة سور حوله خندق عميق ، ولها قلعة مرتفعة عن الأرض ، وفي أسفلها قرب النهـــر أرباض كبيرة ، تحفّ بها البساتين والأشجار ، وقليل من دورها تخلو من بساتين ومن ماءٍ جارٍ ، وتكثر فيها أشجار السّرو . وفي القلعة دار الإمارة والحبس ، وكان عليها باب حديد من داخله باب حديد آخر .

أما المدينة نفسها ، فلها أربعة أبواب هي : باب الصِّين في جهة المشرق ينزل عنه بدرج كثيرة العدد مطلّ على نفس وادي الصُّغْد . وباب بخارى في جهة الشمال ، وباب النوبهار في جهة المغرب ، وهو على النّشز أيضاً ، والباب الكبير ويعرف بباب (كِشّ) في جهة الجنوب .

ومساحة سمرقند ألفان وخمسمائة جريب (أي ٧٥٠ أكرا) ، فيها الأسواق والحمامات .

ولهذه المدينة مساكن كثيرة ، وماء جارٍ يدخل إليها في نهر من رصاص ، وهو نهر قد بنيت له مسنّاة عالية من حجارة يجري عليها الماء حتى يدخل باب كِش ، ووجه هذا النهر رصاص كلّه ، ودورها كلها قد بنيت بالخشب والطين والمدينة مكتَظّة بالسكّان .

وسوق سمرقند الكبير يعرف برأس الطاق ، وكان سوقاً رحباً ، وفي أسفل القلعة المسجد الجامع ودار الامارة .

وأرباض (ضواحي) سمرقند تمتدّ بامتداد ضفة النهر ، في بسيط من الأرض ، وعليها سور نصف دائري طوله فرسخان ، يحيطها من ناحية البر ، ويحيطها النهر من ناحية الشمال إحاطة القوس بالوتر ، فيتمّ بذلك خطّ دفاعها ، وللأرباض ثمانية أبواب ، ومجمع أسواقها رأس الطاق في المدينة .

والبلد كلّه : طرقه وسككه وأسواقه ، إلاّ القليل ، مفروش بالحجارة .

وكانت أسواقها زاخرة بالسِّلع الواردة إليها من جميع الأنحاء ، فقد كانت

سمرقند مركزاً تجارياً عظيماً لبلاد ما وراء النهر . ومن جملة ما اشتهرت به الورق السمرقندي ، فهو يحمل منها إلى سائر بلاد المشرق ، وكانت صناعته قد دخلت إليها من الصين .

وهواء سمرقند رطب، وفي جنوبها جبل صغير يدعى : (كُوهَك) يمتد طرفه إلى مرحلةيوم عن المدينة ، وهو مقدار نصف ميل في الطول ، ومنه أحجار المدينة والطين المستعمل في الأواني والزجاج والنّورة وغير ذلك .

وليس في الأرض مدينة أنزه ولا أطيب ولا أحسن مستشرفاً من سمرقند ، كأنها السماء للخضرة ، وقصورها الكواكب للاشراف ، ونهرها المجرّةللاعتراض ، وسورها الشّمس للاطباق .

وقد قال أحمد بن واضع في صفة سمرقند :

علَتْ سمرقند أن يُقال لها :	زين خُراسان جنّة الكُوَر
أليس أبراجـها معلّقة	بحيث لا تستبينُ للنّظـر
ودون أبراجها خنادقهـا	عميقـة ما ترام من ثغـر
كأنها وهي وسط حائطها	محفوفة بالظلال والشّـجر
بدرٌ وأنهارها المجرَّة و	آطام مثـل الكواكب الزّهر

وقال البُستيّ :

للناس في أُخراهُمُ جنّة	وجنّة الدنيا سـمرقنـدُ
يا مَن يُسوِّى أرضَ بَلْخ بها	هل يسـتوى الحنظل والقَنْدُ

ب : رساتيق سمرقند : في جنوب نهر الصُّغد .

أولاً : بَنَاكِتْ : على تسعة فراسخ من سمرقند ومثل ذلك من جنوب نهر الصّغد ، وما زالت قائمة حتى اليوم باسم : (بَنْجَكَنْد) ، حولها رستاق كثير الثمار خصب ، مشجّر باللّوز والجوز ، وتمتدّ حقول القمح على الأنهار ، وهي مدينة كبيرة .

ثانياً . وَرَغْسَر : قرية كبيرة من قرى سمرقند ، تقع بينها وبين مدينة بناكتْ ، ورستاقها خصب تسقيه أنهار مصدرها نهر الصُّغد ، وفيها كروم وضياع ، عندها مقاسيم نهر الصُّغد وغيره .

ثالثاً . ما يَمُرْغ : قرية من قرى سمرقند على فرسخ من جنوبها ، وليس في القرى أشدّ اشتباكاً في الشجر منها .

رابعاً . دَرْغَم : رستاق في جنوب سمرقند ، وهو أزكى الرساتيق وأكثرهنّ مراعي ومياهاً ، ويفيض من أعنابه ما يحمل إلى غيره من الرساتيق .

خامساً . أَبْغَر : جنوب سمرقند قريب من (دَرْغم) ،وهو رستاق كثير القرى ، أهله أصحاب مواشٍ ، قطره نحو من فرسخين .

ج : رساتيق سمرقند : في شمال نهر الصُّغد .

أولاً . يارْكَث : تقع في تخوم (أُشْرُوْسَنَة) ثم حوّلت إلى سمرقند، وهي على أربعة فراسخ أو مرحلة يوم من سمرقند إلى شمالها الشّرقي ، وهي قرية من رستاق (بُوْزْمَاجِن) أو (بُوْزْمَاجِز) .

ثانياً . كُشْفَغَن :قرية ذات شأن عرفت في الأزمنة الأخيرة برأس القنطرة .

ثالثاً . بُرْنَمذ (أو فورنمذ) ق رستاق يتاخم أُشْرُوْسَنَة ، تكثر فيه المراعي والمواشي .

رابعاً . يَارْكَث : رستاق يتاخم أُشْرُوْسَنَة ، تكثر فيه المراعي والأغنام ، وهو أعلى الرساتيق الشمالية.

٤ ـ إِشْتِيْخَن :

تقع على سبعة فراسخ من سمرقند ، ولها رساتيق وقرى ، وهي على غاية النزهة وكثرة البساتين والقرى والخصب والأشجار والثمار والزروع ، لها قلعة وأرباض وأنهار تأخذ من نهر الصُّغد ، وهي مشهورة بكثرة زروعها ، ويطلق عليها : قلب الصُّغد لخصبها .

٥- الكَشَانيّة :

بلدة بنواحي سمرقند شمالي وادي الصُّغد ، بينها وبين سمرقند اثنا عشر فرسخاً ، وهي قلب مدن الصُّغد ، وأهلها أيسر من جميع مدن الصُّغد .

٦- كَبُوذَ نجكَث :

بلد بينه وبين سمرقند فرسخان ، وهورستاق ومدينة لنجوغكث .

٧- وَذَار :

عامة أرضها جبليّة ، تقع على أربع فراسخ من سمرقند ، فيها منارة وجامع وحصن حسن ، وهي كبيرة كثيرة البساتين والزروع ، في سهل وجبل ، وفيها تعمل الثياب الوذاريّة القطنيّة .

٨- المرزبان :

رستاق يتّصل برستاق وَذَار ، والمرزبان هو : المرزبان بن تركسفى ، من دهاقين الصُّغد ، كان يمتلك هذا الرستاق ، فسمّي باسمه .

٩- كَرْمِينِيَة :

مدينة تقع على مرحلة بريد شرق الطواويس في ظاهر السور الكبير ، وهي أكبر من الطواويس وأعمر وأكثر عدداً ، ولها قرى كثيرة ، وأرضها خصبة وأنهارها وافرة ، تأخذ ماءها من نهر الصُّغد . ومن قراها خُدِيمنكَن وتختص بأصحاب الحديث ، وبها جامع ومنبر وهي بلدة بين سمرقند وبخارى ، بينها وبين بخارى ثمانية عشر فرسخاً .

١٠- دَبُوسيّة :

تقع على مرحلة من شرقي كرمِينِيّة ، ولا قرى كبيرة فيها ولا أعمال لها ، وهي على نهر يأخذ من ضفة الصُّغد الجنوبيّة .

١١- كِشّ :

مدينة لها قلعة وحصن وربض ، ومدينة أخرى متّصلة بالربض ، والمدينة الداخلة مع القلعة خراب ، والمدينة الخارجة عمار . وهي مدينة نحو ثلاثة فراسخ في مثلها ،حصينة ، تدرك فيها الفواكه أسرع مما تدرك بسائر بلاد ما وراء النهر ، غير أنها وبئة على ما يكون عليه بلاد الغور . وفي المدينة والربض في عامة دورها مياه جارية وبساتين ، وطول عمارتها مسيرة أربعة أيام في مثلها ، بناؤها من طين وخشب . وللمدينة الداخلة أربعة أبواب هي : باب الحديد ، وباب عبيدالله، وباب القصّابين ، وباب المدينة الداخلة . وللمدينة الخارجة بابان ، أحدهما باب (بركنان) ، وبركنان قرية ينسب إليها الباب ، وباب المدينة الخارجة .

١٢- نَسَف نَخْشَب :

تقع على مئة ميل تقريباً في منحدر نهر (كُشْكَة = نهر القصّارين) أسفل (كِشّ) من ناحيتها الغربية ، وتعرف هذه المدينة باسم : (فُرْشى) . لها قلعة وربض عامر في ظاهر المدينة ، له سور واربعة أبواب هي : باب النجاريّة ، وباب سمرقند ، وباب كِشّ ، وباب غوبذين .

وتقوم (نَسَف) على النهر المؤلّف من مجتمع فضلات أنهار عديدة تأتي من رساتيق كِش ، وعلى ضفة دار الإمارة عند الموضع المعروف برأس القنطرة ، وحبسها عند دار الإمارة ، والمسجد الجامع قرب باب غوبذين . وأسواقها في الربض مجتمعة ما بين دار الإمارة ومسجد الجامع والمصلى بناحية باب البخارية داخل الباب ، وأسواقها حسنة ، ومزارعها خصبة وبساتينها كثيرة ، إلاّ أنها ليست لها قرى كثيرة ولا نواحٍ مثلما كان لكِش .

١٣- رَبَنْجَن : بليدة من صُغد سمرقند .

١٤- أ . أُشْرُوْسَنَة :

اعتبرها ياقوت في موضع من مدن سمرقند ومن اقاليم سمرقند [١] ، واعتبرها

(١) ياقوت (١٣٣/٥)

في موضع آخر اقليماً [٢] مستقلاً ، وقد أخذت برأيه الأول ، لأنها قريبة من سمرقند وفي منطقتها .

ومنطقة أشروسنة تقع في شرق سمرقند ، بين الرساتيق الممتدة في محاذاة يمين نهر الصغد والرساتيق التي في يسار نهر جيحون ، ولا يدخل هذان النهران ضمن منطقة أشروسنة .

وأرض المنطقة سهول وجبال ، ولا تتخللها أنهار كبيرة .

وأشروسنة مدينة بناؤها طين وخشب ، ولها مدينة داخلة ، عليها سور بذاتها ، وسور على ربضها ، ولها سور آخر من وراء ذلك . وللمدينة الداخلة بابان : أحدهما يدعى باب الأعلى ، والآخر باب المدينة . وداخل المدينة القلعة والمسجد الجامع والأسواق ، ويجري بالمدينة الداخلة نهر كبير عليه رحى ، ويشتمل سورها المحيط بالربض ، أي المدينة الخارجة ، على الدور والبساتين ، ويبلغ محيطه نحواً من ثلاثة فراسخ ، وكان لهذا السور أربعة أبواب .

وكان لهذه المدينة ستة أنهار صغيرة تسقي أرضها ، وجميع هذه الأنهار من منبع واحد وعين واحدة ، ويكون مقدار ما يدير عشرة أرحية ، ومن المدينة إلى منبع الماء اقل من نصف فرسخ ؛ وكانت المدينة مشهورة بكثرة النزه والبساتين .

ب : المدن التابعة لأشروسنة :

أولاً . زَامِيْن : بليدة من نواحي سمرقند ، وهي من اعمال أشروسنة ، وهي ثاني أكبر مدن أشروسنة بعد (بُنْجِيكَتْ) ، تقع في طريق فَرْغَانَة إلى الصغد ، ولها اسم آخر وهو سبذه ، ولها مياه جارية وبساتين وكروم ، بينها وبين ساباط فرسخان ، وبينها وبين أشروسنة سبعة فراسخ . ولها جامع وأسواق حسنة ، وليس عليها سور .

---

(٢) ياقوت (١/٢٥٧)

ثانياً . ساباط : مدينة لا تزال قائمة ، تقع قرب أشروسنة على عشرة فراسخ من خُجَنْد وعلى عشرين فرسخاً من سمرقند ، عامرة ، بها عين ماؤها جارٍ ، تحدق بها البساتين .

ثالثاً . دِيزَك : من مدن أشروسنة ، بها مرابط أهل سمرقند ودور ورباطات للسُّبُل ، ولها نهر جارٍ ، وتقع في شمال غرب زامين .

رابعاً . خرَقانة : في جنوب ديزك ، في الطريق من سمرقند .

خامساً . خاوِس : بليدة في منطقة أشروسنة ، وربما عوّض بدل السين صاد : خاوص ، تقع في الطريق الذاهب شمالاً من زامين إلى الشّاش .

سادساً . بُنْجِيكَت : اكبر مدينة بأشروسنة ، وهي التي يسكنها ولاة أشروسنة ، ولها خندق .

حاصلات اقليم الصُّغد

١- بخارى :

يصدر من بخارى بطيخ فائق يحمل إلى الآفاق ، وتصدر منها البُسط والمصايات والثياب الرخوة وثياب الفرش التي كانت تفرش في حجرات الضيوف . وكانت تنسج في محابِسها حُزُم الخيل ، وتدبغ فيها جلود الضأن ، ويصدر منها الشّحم ودهن الرأس إلى الآفاق .

٢- سمرقند :

أكثر ما اشتهرت به الكاغد ، ويعمل فيها ثياب حمر وديباج وقز . وكان الصفاوون يصنعون القدور العظيمة من النحاس ، وغيرهم يعملون الركب والسروج وأحزمة السروج والسيور ، وكذلك أصناف القماقم والقناني . ويحمل من رساتيقها البندق والجوز .

٣ـ كَرْمِينْيَة :

تصدّر المناديل .

٤ـ الدبوسيّة :

تصدّر الثياب والديباج .

٥ـ رَبَيْخَن :

تصدّر اللّبود الحمر والمصليات والطاسات والحلبود وحبال القنّب والكبريت وأُزُر النّساء .

٦ـ دِيْزَك :

تصدّر اللبود والأقبية والجياد .

اقليم خوارزم

خُوارِزْم ، ليس اسماً لمدينة ، بل هو اسم للاقليم ، وهو إقليم منقطع عن (خُراسان) وعن ما وراء النهر ، ويحيط به المفاوز من كلّ جانب . يحدّه من الغرب بعض بلاد الترك ، ومن الجنوب خُراسان ، ومن الشرق بلاد ما وراء النهر ، ومن الشمال بلاد الترك أيضاً .

وإقليم خوارزم في آخر نهر جيحون ، وليس بعده على النّهر عمارة إلى أن يصب جيحون في بحيرة خوارزم .

ويقع إقليم خوارزم على جانبي نهر جيحون ، فهو أقرب اتصالاً ببلاد ما وراء النهر ، لذلك اعتبرناه هنا إقليماً من أقاليم بلاد ما وراء النهر .

كما أنّ عمليات الفتح الاسلامي في إقليم خوارزم كانت متّصلة اتصالاً وثيقاً بعمليات الفتح الاسلامي في بلاد ما وراء النهر ، فجعلنا فتح ما وراء النهر وخوارزم في دراسة متّصلة واحدة ، حرصاً على الوحدة الموضوعيّة في سير عمليات الفتح .

مدن خوارزم

١ـ كاث :

معنى كاث بلغة أهل خوارزم الحائط في الصحراء من غير أن يحيط به شيء ، وهي بلدة كبيرة في خوارزم ، تقع شرقيّ جيحون ، وجميع نواحي خوارزم تقع غربي جيحون بينها وبين (كُرْكانْج) مدينة خوارزم عشرون فرسخاً .

ومدينة (كاث) لا تزال قائمة ، إلاّ أنّ كاث القديمة كانت تقوم على بضعة أميال من جنوب شرقي كاث الحديثة . وفي أوائل المئة الرابعة الهجرية (العاشرة الميلادية) خرّب بعضها طغيان نهر جَيْحون ، فقد كان عرض هذا النهر عندها نحواً من فرسخين ، وكانت المدينة تبعد قليلاً عن يمين النهر ، تقوم على نهر يقال له (جردور) يشق البلد ، وكان السوق وطوله نحو ميل على جانبي هذا النهر . وكان لكاث في القديم قلعة فخرّ بها النهر وأتى عليها ، وكان الجامع والحبس على ظهر القلعة وكذلك قصر السلطان الملقب بخوارزم شاه ، وقد أتى فيضان النهر على هذه المعالم جميعها ، فلم يُبْقِ منها رسماً ولا طللا . .

وابتنى الناس (كاث) مدينة جديدة إلى الشرق من الأولى ، على مسافة من جيحون ، تقيها مخاطر طغيانه .

وكانت المدينة كاث القديمة واسعة كبيرة كنيسابور في خُراسان ، ولها أنهار كثيرة تشقّ البلد وشوارعها ، وكانت وسخة جداً ، وأهلها أغنياء وأسواقها عامرة بالخيرات ، وبنّاؤوها حذّاق مهرة ، فكانت (كاث) من أفخم المدن مظهراً .

ولكنها في ختام المئة الرابعة الهجرية (العاشرة الميلاديّة) بدأ نجمها بالأفول ومكانتها بالخفوت ، ففقدت مركزها كأهم قصبة في خوارزم ، وسِرُّ أفولها ما كان ينتابها بين آن وآخر من طغيان جيحون عليها ، فكان يخرّب منها أحياء مختلفة في كلّ مرة ، حتى أصبحت بلدة ليس لها شأن كبير .

٢- كُرْكانْج :

قصبة خوارزم الثانية التي أصبحت بعد خراب (كاث) أولى مدن الاقليم ، فكانت (كركانج) التي سماها العرب : (الجُرْ جَانِيّة) ، ثـم عرفت بـ (أرْكنج) .

وفي أخبار الفتح الإسلاميّ ، أنّ العرب في سنة ثلاث وتسعين الهجريّة (٧١٢ م) لما غزوا خوارزم بقيادة قُتَيْبَة بن مُسْلم ، كان يقال لقصبة الإقليم التي فتحوها : (الفيل) ، ثم صار اسمها : (المنصورة) ، وكانت في شرقي جيحون، فغلب عليها جيحون وخرّبها . وكانت كركانج هذه مدينة صغيرة في مقابلة المنصورة من الجانب الغربي لجيحون ، فانتقل أهل المنصورة إليها وابتنوا بهـا المساكن ونزلوهـا ، فخربت المنصورة جملة حتى لم يبق لها أثر وعظمت كركانج .

وكركانج على غلوة من غرب نهر كبير تجري فيه السفن يأخذ من جيحون ويجري محاذياً له ، وقد احتالوا في ردّ خطر الفيضان باقامة السّدود مـن الخشب والحطب . وللبلد أربعة أبواب ، وهي كلّ يوم في زيادة .

وبانحطاط كاث أصبحت كركانج أولى مدن إقليم خوارزم ، ومن ثم قصبته الوحيدة .

وفي سنة ست عشرة وستمائة الهجريّة (١٢١٩) م ، زار ياقوت الحموي هذه المدينة فقال فيها : « لا أعلم أني رأيت أعظم منها مدينة ولا أكثر أموالاً وأحسن أحوالاً » ، فاستحال ذلك كلّه بتخريب التتر إياها سنة سبع عشرة وستمائة الهجرية (١٢٢٠ م) إلى خراب ودمار . ولما سارت عنها جحافل المغول قال ياقوت فيها : « لم يبق في ما بلغني إلاّ معالمها ، وقتلوا جميع مَن كان فيها » .

ولكن قصبة خوارزم نهضت من كبوتها بعد بضع سنين ، فابتنى الناس

بلداً قريباً منها ، وكان ذلك في سنة ثمانٍ وعشرين وستمائة الهجرية (١٢٣١م) على ما جاء في تاريخ ابن الأثير المعاصر لتلك الأحداث ، فقال : « وعمروا مدينة تقارب مدينة (خوارزم) ، عظيمة » .

وكان قبل الغزو المغولي لهذه الأرجاء مدينة تعرف بـ (كركانج الصغرى) على نحو ثلاثة فراسخ من القصبة (كركانج الكبرى) ، ويبدو أنّ كركانج الجديدة قد اختير لها موضع كركانج الصغيرة .

وذكر القزويني ، أنّ أهل كركانج الجديدة « أهل الصناعات الدقيقة كالحداد والنجار وغيرهما ، فانهم يبالغون في التدقيق في صناعاتهم ، والسكّاكون يعملون الآلات من العاج والأبنوس ، لا يعمل في غير خوارزم إلاّ بقرية يقال لها (طَرْق) من أعمال أصفهان ، ونساؤها يعملن بالإبرة صناعات مليحة كالخياطة والتطريز والأعمال الدقيقة » .

وما كادت المئة الثامنة الهجرية (الرابعة عشرة الميلادية) تأذن بالختام ، إلاّ واجتاح تيمور المدينة الجديدة وتركها قاعاً صفصفاً بعد حصار دام ثلاثة أشهر . إلاّ أن تيمورلنك أمر بتجديد بنائها ، فكمل البناء سنة تسعين وسبعمائة الهجرية (١٣٨٨ م) .

٣ـ خِيْوَه :

هي : (خَيْوَق) القديمة ، وأهل خوارزم يسمونها : (خِيْوَه) ، وهي التي أخذت في عهد الرؤساء الأزبك بعد زمن تيمورلنك تحجب بالتدريج مدينة (كركانج) وصارت قصبة خوارزم ، وشمل اسمها مع الأيام الإقليم كلّه .

وخيوه تقع على فم المفازة ، رحبة ، على شعبة من النهر (تأخذ من يسار جيحون) ، بها جامع عامر ، أهلها شافعيّة دون جميع بلاد خوارزم فانهم حنفيّة ، أمر تيمور بتجديد أسوارها . وهي اليوم أشهر مدن خوارزم .

٤- هَزَارْأَسْب :

معناها بالفارسيّة : ألف فرس ، وهي في سمت (خيِـوَه) ، إلا ّ أنها أقرب منها إلى ضفة جيحون اليسرى ، وهي قلعة حصينة ذات شأن ، حافظت على اسمها دون ما تغيير منذ الفتح الإسلامي حتى اليوم . وكانت في المئة الرابعة الهجريّة (العاشرة الميلاديّة) في نحو من (خيِـوَاه اتِّساعاً ، لها أبواب خشب وخندق ، قلعتها حصينة ومدينتها جيدة ، فيها أسواق كثيرة وبزّازون وأهل ثروة ، وكان الماء محيطاً بها كالجزيرة ، وليس إليها إلا ّ طريق واحد على ممر قد صنع ، يقبل إليها من نواحي كركانج قاطعاً السهلة الممتدة من ضفاف جيحون .

٥- جِكَرْبَنْد :

مدينة تحفّ بها الانهار والأشجار ، وفيها جامع حسن في وسط سوقها ، تقع في جنوبي (الطاهريّة) بمرحلة واحدة .

٦- الطّاهِريّة :

ناحية على جيحون في أعلاه بعد (آمُل) ، وهي أول عمل خوارزم .

٧- دَرْغان :

مدينة على شاطئ جيحون ، وهي أوّل حدود خوارزم من ناحية أعلى جيحون دون (آمُل) وعلى طريق (مرو) أيضاً ، وهي مدينة على جُرْف عالٍ ، وذلك على سنّ جبل بناحية البر ، وبينها وبين جيحون مزارع وبساتين لأهلها ، وبينها وبين نهر جيحون نحو ميلين ، تقارب (الجُرْجَانيّة) كبراً ، لها جامع حسن ليس بالنّاحية مثله ، فيه جواهر رفيعة وتزاويق حسنة .

والمدينة تمتدّ فرسخين على الشط ، حولها الكروم ، وهي أول مدينة عظيمة في خوارزم تقوم على الطريق الآتي من (مرو) .

٨- أَرْثَخُشْمِيثَن :

تقع على مرحلة من (خيوه) ، وهي مدينة كبيرة ذات أسواق عامرة ونعمة

وافرة ، وهي في قدر (نصيبين) إلا أنها أعمر وآهل منها ، بينها وبين الجرجانية ثلاثة أيام .

ولا أثر لها اليوم ، والظاهر أنّ المغول قد خرّبوها .

٩- زَمَخْشَر :

تقع بين (نُوزْكاث) وهي بليدة قرب الجرجانية وبين الجرجانية ، وكان في المدينة جسور عند أبوابها ترفع ، وعليها حصن وخندق ومحبس وأبواب محدودة ، والجامع ظريف ، وقد اشتهرت لأنّ الزمخشري صاحب التفسير المعروف قد ولد فيها سنة سبع وستين وأربعمائة الهجريّة (١٠٧٥ م) ، ومات سنة ثمانٍ وثلاثين وخمسمائة (١١٤٤م) ، وهي على أربعة أميال من (كَرْكانْج) .

حاصلات إقليم خوارزم

أهم تجارات خوارزم ، الطّعام والحبوب والفواكه ، وهي بلاد خصبة ، ويرتفع منها قطن كثير .

ويصدّر الإقليم صوف الأغنام ، التي ترعى في مناقعه قرب أُرال في قطعان كبيرة من الماشية .

وكان يحمل منها أصناف كثيرة من الجُبن واللّبَن .

وفي أسواق الجرجانيّة أشهر أنواع الفِراء وأغلاها التي تجلب إليها من بلاد البلغار على الفولجا .

ومما اشتملت عليه : فراء الدّلق والسمّور والثّعالب ونوعين من القندس ، وكذلك فراء السنجاب والفَنَك وابن عرس ، وتعمل منها الحلل الطويلة والقصيرة .

وتحمل من خوارزم جلود الأرانب والمعزى المدبوغة ، وكذلك جلود الحُمر الوحشيّة .

ومن غلاّت خوارزم وصناعاتها : الشّمع ، ولحاء الشّجر ، والحَوَر الأبيض

المسمى (التوز) ، وهو يتّخـذ غلافاً للدروع . وغراء السّمك ، وأسنان السمك والعَنْبَر ، والخلنج ، والعسل ، والبندق ، والسيوف ، والدّروع ، والقِسيّ .

وعرفت خوارزم أيضاً بالبُزاة .

ويرتفع منها أيضاً ، العنب ، والعِنّاب ، والسمسم ، بكميات كثيرة .

ويُعمل فيها البسط وثياب اللُّحف والديباج المنسوج من القطن والحرير ، وتُحمل منها الأُزر والمقانع من القطـن والحرير وغيرها من الثيـاب الملوّنة . والحدارون يعملون فيها الاقفال الجيدة . وتنحت فيها السُّفن من جـذوع الأشجار ، وتتّخذ للملاحة في الأنهار الصغيرة الكثيرة .

على أنّ أهمّ تجارات خوارزم في المئة الرابعة الهجرية (العاشرة الميلادية) كانت جلب الرّقيق ، فقد كانوا يشترون أولاد وبنات الأتراك من بدو تلك البراري ، وبعد أن يعلّموهم ويؤدبوهم ، يباعون في أسواق النخاسة .

وكان قسم من هؤلاء يعملون في الجيش ، وبالتدريج يتولّون أكبر مناصب الدولة القيادية والسياسية والإدارية .

اقليم الصغانيان وبذخشان والختل

نهرُ (بَذَخْشان) الذي يقال له نهر الضرعام ، يصب في جَيْحُون فوق معبر آرْهَن ، وتحت هذا المعبر يستقبل نهر جيحون رافده الأيمن الكبير (وَخْشاب) ، وهو نهر (الوَخْش) . ونهر الوخش يفصل بلاد (الخُتّل) وبلاد (الوَخْش) اللتين في شرقيه عن ناحيتي (القُبَاذْيَان) و (الصَغَانِيان) اللتين في غربيه .

ونهر وخشاب ، هو النهر المعروف اليوم بسَرْخاب ، أي النهر الأحمر .

وفي الموضع الذي يتّجه فيه نهر جيحون إلى الغرب ، بعد انعطافه حول (بَذَخْشَان) من ثلاثة جوانب ، يستقبل في يساره ، أي في ضفته الجنوبيّة ،

نهري (الطايِقان) و (قندز) الآتيين من (طَخَارِسْتَان) ، وهذان النهران هما اللّذان سماهما ابن رسته بنهـر (ختـلاب) ونهر (وتراب) ، ويلتقي نهـرا القُبَاذْيَان والصغانيان الذي يمر بترمذ بجيحون في ضفته الشمالية أي اليمنى ، ومخرج هذين النهرين في جبال (البُتّم) ، وتفصل هذه الجبال في الشمال مياه جيحون عن مياه زرفشان التي في الصغد .

تلك هي الأنهار التي تروى مناطق الصغانيان وبذخشان والختّل ، وتحدّد حدودها بصورة عامة .

أما مواقع هذه المناطق ووصفها العام ، فيأتي وشيكاً .

المدن

١- بلاد بَذَخْشان :

تقع في شرقي طَخَارِسْتَان ، يحدق بها من ثلاثة جوانب المنعطف العظيم في نهر جيحون الأعلى ، وهي متاخمة لبلاد الترك ، بينها وبين (بَلْخ) ثلاث عشرة مرحلة ، ومثلها بينها وبين (تِرْمِذ) ، لها رستاق كبير عامر جداً ، وبها كروم وأنهار ، وقصبتها باسمها ، ومن المحتمل أن يكون موقعها في الموقع الذي تقوم به اليوم مدينة فيض آباد (فيز آباد) قصبة البلاد الحالية .

٢- الخُتّل :

كان هذا الاسم يطلق دون قيد على جميع بلاد الكفر مما يلي شرق خُراسان وشمالها ، وكانت الختّل تشتمل على بلاد (الوَخْش) في قسمها الشمالي ، حيث مخرج نهر (وَخْشَاب) .

والوخش كلمة عجميّة ومأخذها من العربيّة ، وهو أنّ الوخش رُذالة الشيْ ، لا يُثنّى ولا يُجمع ، يقال : امرأة وخشٌ ، ورجل وخْش ، وقوم وخش .

ووخش : بلدة من نواحي (بلْخ) من (ختّلان) ، وختلان : بلاد مجتمعة وراء النهر قرب سمرقند .

و (وَخْش) أيضاً : كورة متّصلة بخُتّـل حتى تجعلا كورة واحدة ، وهي على نهر جيحون .

وكانت قصبة الختّل مدينة (هلبك) .

٣- الصَغَانيان :

تقع غربي نهر الوَخْش ، يحدّها من جنوبها نهر جيحون ، وكان القسم الشرقي من هذه الناحية يعرف بـ (القُباذْيان) نسبة إلى مدينة بهذا الاسم .

وقُبَاذْيَان هي أصغر من (تِرمِذ) بكثير ، ونهر قُباذْيان الذي تقوم عليه المدينة في غاية الطول .

وفي أعالي نهر القباذيان وغرب قنطرة الحجارة تقع (واشَجِرْد) ، وهي نحو (ترمذ) في الكبر .

وعلى يسير من جنوبي (واشَجِرْد) تقع (شُوْمَان) ، وهي من أمهات المدن ، عامرة طيبة ، من الثغور الإسلامية ، وفي أهلها قوّة وامتناع عن السلطان وهي اصغر من (ترمذ) .

ومدينة الصغانيان هي مدينة (سر آسيا) الحديثة على ما يحتمل تقع فى أعالي نهر الصغانيان ، أكبر من (ترمذ) ، إلاّ أنّ (ترمذ) أكثر أهلاً ومالا ، لها قاعة كانت تقوم على جانبي النهر ، وجامعها وسط السوق ، وهي من معادن أجناس الطيور وموضع الصيد ، حولها عدد كبير جداً من القرى .

وكانت مدينة (باسَنْد) الصغيرة تبعد مرحلتين عن مدينة (الصغانيان) تقوم في الجبال المشرفة على النهر ، وهي رحبة كثيرة البساتين .

وعلى نهر الصغانيان أسفل من (باسَنْد) في نحو من نصف الطريق بين الصغانيان وترمذ ، كانت (دارزَنْج) : فيها رباط جليل ، وعامة أهلها صوّافون يعملون الأكسية ، والجامع وسط الأسواق .

وفي جنوب (دارزَنج) على نهر الصغانيان تقع مدينة (صَرْمِنْجان) ، فيها رباط جليل أيضاً .

على أنّ أجلّ مدن الصغانيان ، هي مدينــة (تِرْمِـذ) التي تقع في شمالي مضيق نهر جيحون وهو آتٍ من (بَلْخ) بالقرب من ملتقى نهر الصغانيان به ، وهي مدينة مشهورة من أمهات المدن ، تقع على نهر جَيحون من جانبه الشرقي ، لها قلعة فيها دار الامارة ، والربض حول المدينة التي كان عليها سور داخل وعلى الربض سور ثانٍ ، ومسجدها الجامع من اللبِن في أسواق المدينة . وكانت أسواقها بالآجر ، ومعظم سككها مفروشة بالآجر .

وكانت ترمذ فرضة التجارات المحمولة من الشمال إلى خراسان .

وللمدينة ثلاثة أبواب حصينة منيعة .

وفي يمين نهر جيحون ، على بعد يسير من أسفل (ترمذ) ، تقع مدينــة (نَوِيدَة) ، وفيها يعبر النهر مَن أراد (سمرقند) من (بلْخ) ، وفيها مسجد جامع في وسط البلد ، وهي آخر ما على نهر جيحون من مدن الصغانيان .

وعلى مرحلة من شمال غربي (ترمذ) في طريق (كِشّ) و (نَخْشَب) في الصُّغد مدينة (هاشم جِرْد) التي كان لها شأن في المئة الرابعة الهجريّــة (العاشرة الميلاديّة) .

وعلى مرحلتين من شمالها ، كان الطريق يجتاز (باب الحديد) المشهور ، وهو مضيق جبليّ فيه مدينة بهذا الاسم ، يقال لها بالفارسيّة (دراهنين) .

وهذا المضيق يبدو كأنه قدّته يد الانسان ، وتسمق الجبال على جانبيه إلى علوٍ شاهق ، والدَّرب فيه ممهد عميق جداً .

وفي وسط الدّرب قرية يرتفع الجبل وراءها إلى علوّ عظيم ، ويقال لهذا الدرب : أبواب الحديد .

ولا ترى في كل هذه الجبال درباً آخر غيره ، فهو يحمي (سمرقند) من ناحية الهنـــد .

وتدرّ أبواب الحديد هذه دخلاً لمن يسيطر عليها ، لأن كلّ التجّار القادمين من الهند يمرون بهذا الدّرب ، ولمن يسيطر عليه أن يتقاضى أجراً من المارِّين .

حاصلات إقليم الصغانيان وبَذَخْشان والخُتّل

١ـ بَذَخْشَان :

كانت بذخشان تشتهر منذ القديم بأحجارها الكريمة ، لا سيما معدن الباَخش المقاوم للياقوت ، وبها معدن اللازورد ، والباور وحجر البازهر ، وحجر الفتيلة (الأسبست) وهو لا تحرقه النار ، وضرب من الحجر الفسفوري الذي يُجعل في البيت المظلم فيضيء .

٢ـ الخُتّل :

في غاية الخصب ، وفيها الخيول ودواب الحمل ، ويكثر فيها القمح والفواكه .

٣ـ الصغانيان :

أ . قباذيان : يرتفع منها الفوّة ، وهو عبارة عن جذور النبات المسمى : (فوّة) أو (روبيا) ، تستخرج منها مادة للصبغ بالأحمر ، إلى الهند تصدّر .

ب . واشَجِرْد : يرتفع منها الزعفران ويحمل إلى سائر الآفاق .

ج . شُومْان : ينبُت في أراضيها الزعفران ، ويصدّر إلى الخارج .

إقليم فَرْغَانَة

الموقع :

هو إقليم من أقاليم نهر سَيْحون الذي يخرج من بلد الترك ، والذي يعظم من أنهار تجتمع إليه ، تأتي من الجبال ، ويدخل سيحون وادي فرغانة العظيم

من طرفه الشرقيّ في حدود (أُوزْكَنْد) . ويمتدّ إقليم فرغانة نحواً من مئتي ميل ونيف إلى شمال وجنوب مجراه الأعلى ، فإذا ما جرى نهر سيحون شرقاً استقبل روافد عديدة وهو يتخلّل فرغانة . فإذا جاوز (أَخْسِيكَث) القصبة وصل سيحون إلى (خُجَنْدَة) ، وعندها يبارح نهائياً إقليم فرغانة .

المدن

١- فَرْغَانة :

مدينة وكورة واسعة بما وراء النّهر متاخمة لبلاد تُرْكستان ، كثيرة الخير واسعة الرستاق ، بينها وبين سمرقند خمسون فرسخاً . وبفرغانة في الجبال الممتدة بين بلاد الترك ، وفيها من الأعناب والجوز والتفّاح وسائر الفواكه والورد والبنفسج وأنواع الرياحين مباح ذلك كلّه لا مالك له ولا مانع يمنع الآخذ منه ، وكذلك في جبالها وجبال كثيرة بما وراء النهر الفُسْتق المباح ما ليس ببلد غيره .

وقال الاصطخري : فرغانة اسم الإقليم ، وهو عريض موضوع على سعة مدنها وقراها ، وقصبتها (أَخْسِيْكَث) ، وليس بما وراء النهر أكثر من قرى فرغانة ، وربما بلغ حدّ القرية مرحلةً لكثرة أهلها وانتشار مواشيهم وزروعهم .

٢- أَخْسِيْكَث :

قصبة إقليم فرغانة ، تقوم على ضفة نهر سيحون الشمالية ، وهي مدينة واسعة ، لها قلعة ، وفيها الجامع ودار الإمارة والحبس ، وللمدينة ربض واسع .

والمدينة الداخلة ميل في مثله ، وفيها مياه جارية وحياض كثيرة . وفي المدينة وفي ربضها أسواق ، وعلى ربضها سور .

وللمدينة الداخلة خمسة أبواب ، وكانت البساتين تحفّ بالمدينة بمقدار فرسخين مما يلي أبواب ربضها .

وخرائب هذه المدينة شاخصة حتى اليوم .

٣- أنْدُكَان :

أصبحت هذه المدينة قصبة الإقليم بعد (أَخْسِيْكَث) ، ولا تفاصيل عنها

٤- قُباء :

مدينة كبيرة من إقليم فرغانة قرب الشّاش ، وينبغي أن تكون قريبة من (أنْدُكَان) ، تقارب (أخسيكث) في الكبر ، وهي من أنزه المدن ، ولها قلعة مكينة فيها الجامع في وسط ميدانها ، ولها ربض فيه دار الإمارة والحبس ، وكان على الربض سور محيط به ، وفيها أسواق كثيرة عامرة .

٥- أوْش :

تقع شرقي قُباء ، وهي مدينة لها قلعة فيها دار الإمارة والحبس ، وحول المدينة ربض ، وعلى الربض سور ، وهي ملاصقة للجبل ، ولها ثلاثة أبواب ، وجامعها في رحبة واسعة وسط الأسواق .

والمدينة كثيرة الأنهار التي تسقى أراضيها ، وبالقرب منها جبل عليه مرصد لمراقبة تحركات الترك .

٦- أوزْكَنْد :

آخر مدن فرغانة شرقاً ، مساحتها نحو ثلثي (أُوْش) ، لها قلعة و بساتين ومياه جارية .

ولها ربض والأسواق فيه ، وهي متجر على باب الأتراك ، وعلى باب المدينة نهر ، يحيط بربضها حائط له أربعة أبواب ، وجامعها في الأسواق .

٧- مَرْغِيْنَان :

مدينة صغيرة في جنوب نهر سيحون ، وجامعها ناء عن السوق .

٨- رِشْتَان :

في غربي مرغينان ، كانت كبيرة ، ولها جامع حسن .

٩- خُوَاقند :

هي مدينة (خُوقند) التي صارت في الأزمنة الحديثة قصبة فرغانة ونسبت إليها خانيّتها : خانيّة خوقند . وكانت في القديم بلد من بلدان فرغانة ، لا أهمية تذكر لها .

١٠- خُجَنْدَة :

بلدة مشهورة بما وراء النهر على شاطئ سيحون ، بينها وبين سمرقند عشرة أيام مشرقا ، وهي مدينة نزهة ليس بذلك الصُّقْع أنزه منها ولا أحسن فواكه ، وفي وسطها نهر جارٍ ، والجبل متّصل بها .

وهي أول مدن فرغانة من الغرب إذا جئت من سمرقند ، تقوم على ضفة نهر سيحون اليسرى .

والمدينة طولها أكثر من عرضها ، ولها قلعة قويّة فيها السجن ، وجامعها داخل المدينة .

وعلى فرسخ من جنوبيها : (كَنْد) ، وهي ربض خجندة ، ودار الإمارة في الميدان بالربض وأهل خجندة لهم سفن يسافرون بها في سيحون ، وكان ربض (كَنْد) الخارج يقال له : (كَنْد با دَام) ، أي كند اللّوز ، لأنّ بها لوزاً كثيراً ، وهو لوز عجيب ينقشر إذا فرك باليد .

١١- وانْكَث :

مدينة تقع على سبعة فراسخ من غربي (أخسيكث) وعلى فرسخ من يمين سيحون في شمالي فرغانة ، لاتبعد كثيراً عن (إيلاق) ، وكان لها جامع وأسواق حسنة .

١٢- خَيْرلَم - خَيْلام :

تقع إلى شمالي (وانكث) في وسط الجبال ، وهي مدينة في رستاق (مَيَان

رُوذان) أي : ما بين الأنهار ، لها جامع حسن في وسط الأسواق .

وميان روذان هذه ناحية في أقصى ما وراء النهر قرب أُوزكَنْد .

١٣- شِكِيت :

تقع في شمالي (خير لَم) ، كثيرة الجوز ، ولكثرته يباع رخيصاً ، وجامعها في السوق ، وهي في أقصى إقليم فرغانة .

١٤- قَاسَان :

مدينة تقوم في ناحية مسمّاة باسمها ، تقع شمالي (شِكِيت) ، كانت عامرة آهلة كثيرة الخيرات ، واسعة الساحات ، متهدِّلة الأشجار ، حسنة النواحي والأقطار ، في حدود بلاد الترك ، خربت بغلبة الترك عليها كما يقول ياقوت . ولكنها استعادت عمارتها ، ولا زالت نائمة .

حاصلات إقليم فرغانة

يرتفع من إقليم فرغانة الذّهب والفضّة والفيروزج والزئبق والحديد والنحاس والنوشادر والنّفط والقير (الزفت) .

واشتهرت فرغانة بحجر الأرحاء والفحم الحجري للوقود .

وكان يرتفع من بساتينها ويحمل إلى الآفاق : الأعناب ، والتفاح ، والجوز ؛ ومن الرياحين : الورد والبنفسج .

إقليم الشّاش

الموقع :

يقع إقليم الشّاش غربي إقليم فرغانة ، على ضفة نهر سيحون اليمنى ، أي الشمالية الشّرقيّة .

والخرائب المعروفة اليوم بـ (طشقند) القديمة هي موضع المدينة التي سمّاها العرب : الشّاش ، والفرس : (چاچ) ، وكان يقال لمدينة الشّاش (بِنْكَث) أو (بِيْكَث) ، وهي قصبة إقليم الشاش ، وقد كان لكثير من أسماء المدن

في بلاد ما وراء النهر تسميتان : إيرانيّة وتورانية .

ومقدار عرض إقليم الشّاش مسيرة يومين في ثلاثة أيام ، وليس بخُراسان وبلاد ما وراء النهر إقليم على مقدار إقليم الشّاش من المساحة ولا أكثر منابر منها ولا أوفر قرىً وعمارة .

وإقليم الشّاش عموماً في أرض سهلة ، ليس في هذه العمارة المتّصلة جبل ولا أرض مرتفعة ، وهي أكبر ثغر في وجه الترك ، وأبنيتهم واسعة من طين ، وعامة دورهم يجري فيها الماء ، وهي كلّها مستترة بالخضرة ، من أنزه بلاد ما وراء النهر وعلى ذلك فالشّاش إقليم يطلقه العرب على قصبتها : بِنْكَث .

المدن

١ــ الشّاش :

هي مدينة (بِنْكَث) ، وكان عليها أسوار كثيرة ، فقد كان لها مدينة داخلة ، لها قاعة تلاصقها ، عليهما سور .

وفي خارج المدينة الداخلة ، الرّبض الداخل ، وعلى هذا الربض سور . ويليه أيضاً الربض الخارج ، وفيه بساتين وحقول كثيرة ، وحوله سور ثالث .

وأخيراً السّور الكبير على غرار ما كان لبخاري ، يحمي الناحية كلّها ، فيكون حول الشّاش من ناحية الشمال بهيئة نصف دائرة ، يصل ما بين ضفة نهر الترك في الشّرق وسَيحون في الغرب .

فإذا عدنا إلى المدينة الداخلة والقلعة، وجدنا أن في القلعة دار الإمارة والحبس، وللقلعة بابان : أحدهما يفضي إلى المدينة الداخلة ، والآخر إلى الرَّبض .

وكان المسجد الجامع على سور القلعة .

والمدينة الداخلة فرسخ في مثله ، وفيها بعض الأسواق ، ولها ثلاثة أبواب : باب أبي العبّاس ، وباب (كِش) يُفضي إلى الجنوب ، حيث يصل الطريق القادم من سمرقند ، وأخيراً باب الجُنَيْد .

وكان لسور الرّبض الداخل عشرة أبواب ، وللربض الخارج سبعة أبواب ، وكان في الربض الداخل أسواق المدينة .

ويشقّ البلد أنهار وقنوات كثيرة ، تسقى البساتين والأشجار التي في داخل الأسوار .

أما السّور الكبير ، فإنه في أقرب نقطة منه إلى البلد ، كان يبعد فرسخاً واحداً عن باب الرّبض الخارج . وهذا السّور يبدأ في الشرق من جبل على نهر الترك يقال له جبل (سَابَلْـغ) ، وبُني هذا السّور لحماية المدينة من غارات الترك في الشمال . وكان هناك على بعد فرسخ مما يليه ، خندق عميق يمتدّ من الجبل على نهر الترك إلى حافة سيحون في الغرب ، وكان الطريق من شمال الشّاش إلى (اسبيجاب) يخترق هذا السور عند باب الحديد .

٢- بنَاكِت :

ثاني مدن إقليم الشّاش ، تقوم على ضفة سيحون اليمنى ، حيث كان طريق خُراسان القادم من سمرقند يعبر النهر إلى الشّاش ، والجامع في سوقها .

٣- جِيْنَانْجَكْث :

كان الطريق من (بناكت) إلى الشّاش ، يخترق مدينة (جِيْنَانْجَكْث) وهي على ضفة نهر الترك الجنوبية أي اليسرى ، على فرسخين فوق ملتقاه هو وسيحون وكانت هذه المدينة كبيرة ليس عليها حصن ، بنيانها خشب ولبن .

٤- إيلاَق :

مدينة من إقليم الشّاش المتّصلة ببلادالترك على عشرة فراسخ من مدينــة الشاش ، أنزه بلاد الله وأحسنها .

وإيلاق ناحية أيضاً مختلطة بأقليم الشاش لا فرق بينهما ، وقصبتها (تُونْكَث)،

وبإيلاق معدن الذّهب والفضة في جبالها ، ويتّصل ظهر هذا الجبل بحـــدود فرغانة .

وناحية إيلاق تقع في جنوبي نهر إيلاق وشمالي المنعطف الكبير لنهر سيحون أسفل خُجَنْدَة ، وتشمل على ما يقرب من عشرين مدينة ، وكانت البلاد من الشّاش إلى إيلاق متّصلة العمارة مختلطة العمل .

٥- تُونْكَث :

قصبة ناحية إيلاق ، تقع على نهر إيلاق على نحو من ثمانية فراسخ من الشّاش ، وهي نحو نصف بِنْكَث قصبة الشّاش ، وكان لها قلعة ومدينة داخلة حولها ربض يحيط به سور ، وفي القلعة دار الإمارة والحبس والمسجد الجامع ، والأخيران عند باب القلعة ، وأسواقها داخل المدينة وفي الربض ، وفيهما ماء جارٍ.

٦- خاشت :

مدينة آهلة ، تقع قرب معادن الفضة في جبال إيلاق على حد فرغانة ، وتحف بالمدينة قرى عديدة .

٧- أسبيجاب :

ناحية تقع في شمالي الشّاش من يمين سيحون فشرقاً ، وقصبته باسمه ، والمدينة تقع على نهر (أريس) ، وهو رافد من روافد سيحون اليمنى ، وكانت نحو الثلث من بِنْكَث ، وتشتمل على مدينة وقلعة وربض ، وعلى المدينة الداخلة سور ، وعلى الربض سور أيضاً يحيط به مقداره فرسخ ، وهي في أرض سهلة بينها وبين أقرب الجبال إليها نحو ثلاثة فراسخ ، وفي خارجها مياه وبساتين . وكان للمدينة أربعة أبواب ، على كل باب رباط ، وفي المدينة وربضها أسواق ، وفي المدينة الداخلة دار الإمارة والحبس والجامع .

٨- أسْبَانيكث :

من مدن ناحية أسبيجاب ، بينهما مرحلة كبيرة .

٩- جَمْكِنْت :

من مدن ناحية أسبيجاب ، كبيرة عليها حصن ، والجامع في الحصن ، والأسواق بالربض .

١٠- بارَاب = فاراب :

تقع على ضفة سيحون الشرقيّة ، أسفل انصباب نهر جمكنت فيه مباشرة ، عند معبر سيحون . والاسم يطلق على الناحية والمدينة ، وهي مدينة كبيرة عليها حصن فيه الجامع ، ولها أسواق وأرباض ، وأرضها سبخة ذات غياض .

١١- وَسِيْج :

بلدة صغيرة محصّنة على فرسَخين من باراب = فاراب ، وفي سوقها المسجد الجامع .

وينسب إلى فاراب أبو نصر الفارابي المتوفى سنة ٣٣٩ هـ (٩٥٠ م) ، وهو أشهر فلاسفة المسلمين قبل ابن سينا ، على أنّ ابن حوقل قد نسَب مولد الفارابي إلى (وسيج) لا إلى (فاراب) .

١٢- شَاوَغَر :

مدينة تقع على مرحلة من شمال (باراب) على ضفة سيحون اليمنى ، وهي كبيرة واسعة الرستاق ، عليها حصن ، والجامع على طرف السوق ، وهي من الجادة بمعزل .

١٣- صَبْرَان :

مدينة تقع على مرحلة يوم من شمال شَاوَغر ، وهي ما زالت قائمة حتى اليوم ، وكانت ثغراً أمام الغز ، ويجتمع بها الغزيّة للصلح والهدنة والتجارات .

١٤- جَنْدٌ :

اسم مدينة عظيمة في بلاد تركستان ، بينها وبين خُوارزم عشرة أيام تلقاء بلاد الترك مما وراء النهر ، قريب من نهر سيحون .

١٥- طُرَارَ بَنْد :

مدينة من وراء سيحون من أقصى بلاد الشّاش مما يلي تركستان ، وهي آخر بلاد الإسلام مما يلي ما وراء النهر . وأهـــل تلك البـــلاد يسقطون شطر الاســـم فيقولون : طُرار وأطْرار .

١٦- طِرّاز :

بلد قريب من اسبيجاب من ثغور الترك وقريب من (طُرَارَبَنْد) ؛ وهي مدينة جليلة ، حصينة ، كثيرة البساتين ، مشتبكة العمارة ، لها خندق وأربعة أبواب ، ولها ربض عامر ، على باب المدينة نهر كبير ، والجامع في الأسواق ، وهي متجر للمسلمين من الأتراك ، وهي مدينة طيبة التربة لطيفة الهواء ، وأهلها مشهورون بالجمال .

١٧- كُولان :

تقع بالقرب من (طِراز) ، وكانت قرية كبيرة محصّنة ، ولها جامع ، وتعدّ موضعاً ذا شأن كبير ، على حدود بلاد الترك .

حاصلات إقليم الشّاش

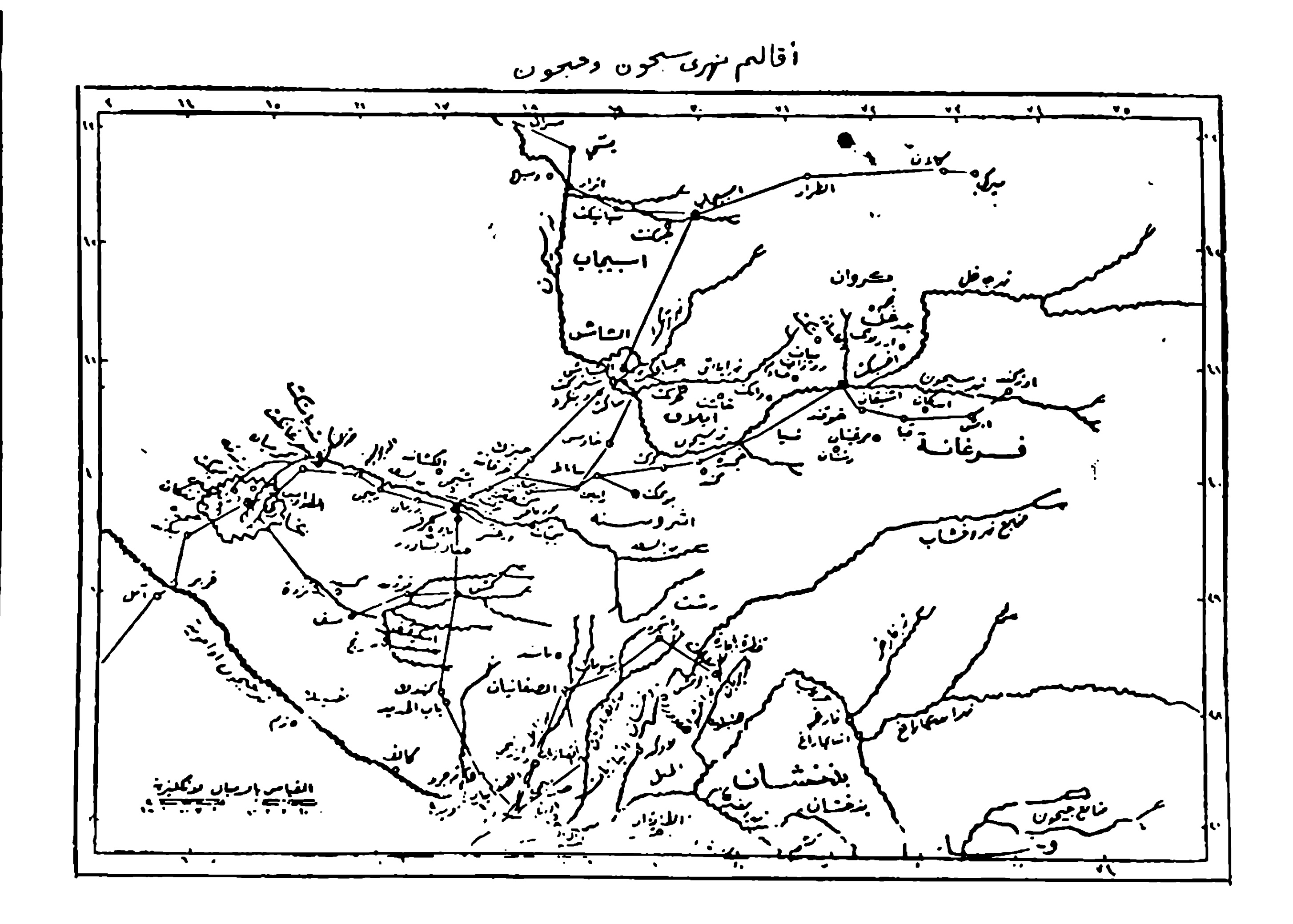
يرتفع من الشّاش ثياب بيض رقيقة ، وسيوف وغيرها من السِّلاح ، وآلات النُّحاس والحديد كالإبر والمقاريض والقدور .

ويرتفع منها أيضاً جلود الحُمُر الوحشيّة الرقيعة والجعاب والقسّي الجيدة ، والجلود التي تجلب من الترك وتدبغ محلياً والمصليات والأخبية .

ويرتفع منها الرز والكتّان والقطن .

ويرتفع من (طراز) في بلاد الترك جلود المعز ، واشتهرت في كلّ وقت بالخيل والبغال التركستانية .

ويرتفع منها الذهب والفضة وبخاصة من إيْلاَق .


أقاليم نهري سيحون وجيحون
اسبيجاب
الشاش
فرغانة
اشروسنة
الصغانيان
الطراز

أنهار بلاد ما وراء النّهر

نهر جيحون :

كان نهر جيحون القديم ، يُعدّ الحدّ الفاصل بين الأقوام الناطقة بالفارسية والاقوام الناطقة بالتركية ، أي إيران وتوران ، فما كان في شماله من أقاليم سمّاها العرب : ما وراء النهر – وهو نهر جيحون – وكذلك سمّوها : الهيطل ، وهم الذين يعرفون بالهون البيض .

وأطلق العرب في القرون الوسطى على نهر (أُوكسس Oxus) اسم جيحون ، وفي أواخر القرون الوسطى في نحو من زمن الغارة المغوليّة، كاد يبطل استعمال اسم : جيحون ، فعرف : أَمُّويَة أو أمتوْدِرْيَا .

ومن الملاحظ أنّ العرب قد سمّوا الأنهار بأسماء المدن الكبيرة التي تقع عليها ، فكان جيحون يعرف في الغالب بنهر بلخ وإن قامت هذه المدينة على بضعة أميال من ضفته الجنوبيّة .

ومنابع نهر جيحون من بحيرة في التُبّت الصغرى وفي الفامر (پامر Pamir) ولجيحون أربعة روافد ذكرها الاصطخري ، فعَمود نهر جيحون الأعلى كان بنهر (جرياب) وهو اليوم نهر (بِنْج) ، وكان يصل إلى بَذَخْشان من الشرق ، ويخرج من بلاد وخّان ، وكان يقال لنهر جرياب أيضاً نهر وخّان . وكان عمود جيحون هذا ينحدر من الهضاب الشرقيّة ويدور دورة كبيرة حول (بَذَخْشَان ويضرب نحو الشمال ، ثم يتّجه غرباً فجنوباً قبل أن يبلغ أطراف (خُتَّلْ) .

وينصب في يمين مجراه الذي يؤلّف ثلاثة أرباع الدائرة ، كثيرٌ من الروافد الكبيرة ، أولها نهر (أنديجاراغ) ، وقرب ملتقاه بجيحون مدينة باسمه ، والظاهر أنه هو نفسه نهر (برتناك) اليوم .

ثم يلتقي معه نهر (فارغر) ، وهو ينحدر من بلاد الخُتّل ، ويطابق نهر (ونج) اليوم .

وفي أسفله يستقبل نهر أخشوا (أخْشن) ، وهو يقابل عمود نهر جيحون ، وعليه مدينة (هُلْبُك) قصبة بلاد الخُتّل .

ومن منابعه : نهر (بلبان) أو (بربان) .

وهذه الأنهار المتحدة تعرف اليوم باسمها التركي : آق صو ، أي النهر الأبيض.

هذه هي روافد نهر جيحون العليا الأربعة ، على ما جاءت في الاصطخري ، وقد قال : إنّ هذه المياه تجتمع كلها فيه فوق معبر النهر في (آرهن) .

وفوق هذا المعبر أيضاً ، ولكن في يسار النهر ، يصبّ في جيحون نهر بذخشان ، ويقال له نهر الضرغام .

وتحت معبر آرهن يستقبل نهر جيحون رافده الأيمن الكبير (وخشاب) ، وهو نهر الوخش ، وهذا النهر يفصل بلاد الخُتّل وبلاد الوخش اللتين في شرقه عن ناحيتي القباذيان والصغانيان اللتين في غربه .

ونهر وخشاب ، هو النهر المعروف اليوم بسرخاب ، أي النهر الأحمر .

وفي الموضع الذي يتّجه فيه نهر جيحون إلى الغرب ، بعد انعطافه حول بدخشان من ثلاثة جوانب ، يستقبل في يساره ، أي في ضفته الجنوبية نهري الطايقان وقندز الآتيتين من طخارستان ، وهذان النهران هما اللذان سماهما ابن رسته بنهر ختلاب ونهر وتراب ، ويلتقي نهرا القباذيان والصغانيان والأخير ، وهو يمر بترمذ ، قد سماه ابن رسته بنهر زامل ــ بجيحون في ضفته الشمالية ، أي اليمنى .

وتفصل جبال (البُتّم) في الشمال مياه جيحون عن مياه زرفشان التي في الصغْد .

وهذه هي آخر روافد النهر العظيم ، لأنّ نهر جيحون لا يستقبل غيرها من الأنهار إذا ما جاوز غرب (بَلْخ) ، فيجري في المفازة باتجاه غربي وشمالي غربي حتى دلتاه في جنوب بحر آرال .

ويجمد نهر جيحون في الشتاء . وكانت القوافل الموقرة تعبره ماشيةً فوق السّطح المنجمد ، وقد يبلغ ثخن الجليد خمسة أشبار أو أكثر . ولقد ذكر القزويني أنّ أهل خُوارزم كانوا يحفرون آباراً بالمعاول حتى يخرقوه إلى الماء ، ثم يسقون منها كما يسقون من البئر لشربهم ويحملونه في الجرار .

نهر سَيْحون :

أطـــلق العرب على نهـــر (جَكَزَرْتِس Jaxartes) اسم نهر سيحون في القرون الوسطى .

وفي أواخر العصور الوسطى ، في نحوٍ من زمن الغارة المغولية ، كاد يبطل استعمال اسم سيحون ، فعرف بنهر سيردريا .

على أنّ اسم النهر الأكثر شيوعاً عند العرب كان نهر الشّاش ، والشاش القديمة هي مدينة (طَشْقَنْد) وإنما سمي بهذا الاسم لوقوع المدينة المهمة الشّاش بالقرب من ضفافه . [1]

وذكر ابن حوقل ، أنّ نهر سيحون ، يخرج من بلد الترك ، وهو يعظم من أنهار تجتمع إليه ، تأتي من الجبال ، ولا يدخل وادي فرغانة العظيم من طرفه الشرقيّ في حدود (أُوزْكَنْد). ويمتدّ إقليم فرغانة نحواً من مائتي ميل ونيِّف إلى شمال وجنوب مجراه الأعلى ، فإذا ما جرى نهر سيحون شرقاً استقبل روافد عديدة وهو يتخلّل فرغانة وهي نهر خرشان ونهر أورَسْت وقُبا وكذلك نهر جِدْغِل ولعله هو نهر (نرين) الحالي ، وأنهاراً أخرى غيرها . فإذا جاوز أسوار (أَخْسِيْكَث) القصبة وصل سيحون إلى (خُجَنْدَة) ، وعندها يغادر نهائياً إقليم فرغانة .

ثمّ ينعطف شمالاً ، فيستقبل في يمينه نهرين يقال لهما نهر (إيْلاَق) ونهر (تُرْك) ، ويمرّ بغرب رستاق إيلاق والشّاش . وفي ما يلي ذلك ، ينتهي سيحون إلى رساتيق اسبيجاب ، ثمّ إذا اجتاز مفاوز الغز والترك ، توزّعت مياهه على أنهار عديدة حتى يقع في بحر آرال في القسم الشمالي الشرقي منه .

وقد ذكر البلدانيون العرب ، أنّ نهر سيحون صالح لسير السفن كنهر جيحون ، وأنّ سيحون يجمد شتاءً مدة أطول من جيحون ، فكانت القوافل تعبره على مائه المنجمد ، وكان بَعْدُ نحو ثلثي جيحون .

ويعتبر إقليم فرغانة من أقاليم نهر سيحون .

كما يعتبر إقليم الشّاش من أقاليم هذا النهر العظيم أيضاً .

أما إقليم أُشروسنة ، فيمكن اعتباره من أقاليم نهر سيحون ، كما يمكن اعتباره من إقليم الصّغد ، لأنه يقع شرقي سمرقند بين الرساتيق الممتدة في محاذاة يمين نهر الصُّغد والرساتيق التي في يسار نهر سيحون ، دون أن يدخل هذان النهران ضمن إقليم أُشروسنة .

التّاريخ القديم لبلاد ما وراء النّهر قبل الفتح الإسلامي وفي أيامه الأولى

١- بلاد ما وراء النهر جزء من تركستان الغربية التي تضمّ في الوقت الحاضر جمهورية أوزبيكستان وجمهورية تاجيكستان الحالية .

وهناك اصطلاح : آسيا الوسطى ، وهو عبارة عن تركستان الغربيّة والشرقيّة معاً ، وهما الوطن الأصلي للأتراك كلّهم ، وهذه حقيقة تذكرها كلّ المصادر التاريخيّة والأبحاث الأثرية التي أُجريت في بعض مناطق آسيا الصغرى ، فأرجعت تاريخ آسيا الوسطى إلى ما قبل تسعة آلاف سنة خلت ، وأثبتت نتائج الأبحاث الأثرية وجود حضارة عظيمة في آسيا الصغرى قبل تسعة آلاف سنة ، وأنّ هذه المنطقة من العالم كان يسكنها أُناس بلغوا من المدينة شأواً عظيما .

وأغاب الحفريات أُجريت في تركستان الغربيّة ، ولكنّ تركستان الغربية والشرقية سواء من ناحية الظروف الطبيعية والتاريخيةوالسياسيةوالاقتصادية والبشرية ، وتخضع لنفس العوامل وتضمّ بقايا نفس المدنية والحضارة ، فما ينطبق على الغربية ينطبق على الشرقيّة أيضاً .

وأوّل مَن سكن هذه المنطقة هم : التُّرك ، والآثار القديمة المكتشفة تثبت قيام دولة تركية عريقة من سنة (٥٠٠٠ ق.م. إلى سنة ٢٠٠٠ ق . م .) .

والتُّرك الأول الذين أقاموا هذه الدولة ، ورد ذكرهم عند (هيردوت) باسم : (اسكيت) ، وباسم (توران) في المصادر الفارسيّة ، وباسم : (ساكا) في المصادر الهنديّة .

و (توران) صيغة جمع لكلمة (تركيّ) ، والصيغة الاملائية في اللّغة السنسكريتية لمعنى : (تركي) هي : (تورشكا) .

والمصادر الصينية تطلق على الترك اسم : (هسيونغ — نو) ، أي : الهون الشرقيون ، وتاريخ الترك الموثق يبدأ بالهون الشرقيين .

وكانت هناك امبراطورية للهون في تركستان (٢٢٠ ق.م. — ٢١٦ م) اصطدمت بالصينيين مرات وبغيرهم ، وكانت تدعى : خاقانية الهون ، وكانت الحرب بينها وبين الصين سجالا .

وتسجِّل المصادر التاريخية لأول مـــرة استعمال كلمة : (ترك) التي نتلفظها اليوم في عهد دولة (كول تورك) التي استمرت من (٥٥٢ م — ٧٤٥م) ، وكانت الحروب بينها وبين الصينيين سجالاً أيضاً .

وتسجِّل تلك المصادر أنّ هذه الدولة التركية استعانت بالمسلمين في حرب الصينيين ، فأحرزت نصراً بمعاونتهم على حكّام الصين .

٢— وقد سكن بلاد ما وراء النهر الإيرانيون أيضاً ، ويبدو أنهم اغتصبوا تلك

الأصقاع من الترك ، لأن الترك سبقوهم في سكناها .

وأقدم المستعمرات التي سكنها الإيرانيون هناك ، كانت تلك المنطقة من الأرض التي تمتد من (أخْسِيكَث) القديمة عند حدود (فرغانة) الشرقيّة حتى بُخارى . وهذه المنطقة التي تضمّ أغلب بلاد ما وراء النهر الخصبة تتخلّلها أنهار وقنوات طبيعية واصطناعيّة عديدة وقد عدّد البلخيّ أسماء جبالها وغدرانها وأنهارها ومدنها ونواحيها وقراها ، وجميع تلك الأسماء فارسيّة قديمة في أصلها . وحال دون انتشار الحضارة الفارسية من هذه المنطقة إلى ما بعد بخارى غرباً تلك الكثبان الرملية التي تعد امتدادا لصحراء (خلطه) ، فظهرت(قراقول = البحيرة السوداء) وكذلك (بِيكَنْد) = (مدينة الأمير) من بَعْدُ كما ينبئ بذلك اسماهما التركيان .

وكان الإيرانيون يستقرّون ما وسعهم الاستقرار وبعد عنهم خطر غارات التورانيين ، ويؤدي استقرارهم إلى نشاطهم الحضاري . وأيّاً ما كان من ميل القوم الغريزي إلى ممارسةالحرف والفنون الجميلة أو من تأثرهم بجيرانهم الصينيين أصحاب الإبداع ، فالثابت المعروف أنّ تجارة الحرير وجدت بين أبناء آسيا الوسطى مَن يُقبل على العمل بها في غيرة وجد ، ولم يكن هؤلاء من التورانيين على وجه اليقين . ويروي النرشخي في كتابه : تاريخ بخاري ، أنّ تجار بِيكَنْد كانوا هم الوسطاء بين الصين والبحر الغربي (قزوين) ، وتقول المصادر البيزنطيّة انّ أهل بخارى والصُّغد كانوا في القرنين الخامس والسادس الميلاديين يسيرون بقوافل الحرير العظيمة عبر الامبراطورية السّاسانيّة إلى شرق بلاد الامبراطورية الرومانيّة . وحين شقّ المسلمون من بعد ذلك طريقهم عبر جيحون وجدوا هناك نشاطاً صناعياً وزراعياً مهماً .

وليس لنا أن ننسى أنّ المدنية الإيرانية قد تعرّضت منذ العصور الأولى لغارات التورانيين فيما وراء جيحون ، ففي الوقت الذي أقام فيه الإيرانيون مدنهم على

ضفاف سيحون وجيحون واستقروا فيها ، كان بدو التورانيين في ذيّاك الوقت البعيد يتجوّلون على وجه اليقين ، في مناطق السّهوب المجاورة لها .

وليس ثمة دليل نستدلّ به على الوقت الذي بدأت فيه غارات التورانيين الأولى على المناطق الزراعيّة ببلاد ما وراء النهر ، بعد أن استقرّ فيها الإيرانيون وعمروها ، ولكن هناك مَن يذكر أنّ الترك كانوا قد انطلقوا سنة (٧٠٠ ق.م.) عبر جيحون ، وهو الحد القديم الذي كان يفصل بين إيران وتوران ، فباغوا حُدود الهند .

وقد تدفّق الترك عبرجيحون في القرن الثاني قبل الميلاد ، ومما يؤيد ذلك وجود كلمة (بَلْخ) ، وهي كلمة (بالق) أو (بالخ) التركيّة القديمة ، ومعناها المدينة أو العاصمة ، وهو الاسم الذي كان يطلقه الترك على مقر أميرهم . وفعل المغول مثل ذلك بعد عدّة قرون ، فكانوا يعرفون مقرّ خانهم الأعظم باسم : خان بالق ، ويقصدون : مدينة الخان .

وكذلك نجد على الشاطىء الآخر لسيحون دليلاً آخر على وجود العناصر التركية في زمن مبكّر هناك ، وذلك في تسمية العاصمة : بُخارى ، وهذا اللّفظ تركيّ في أصله ، ونظيره أيضاً كلمة (بيكند) وهي تركية أيضاً ، وكلمة (آمو) اسم نهر (جيحون) وهي تركية أيضاً ومعناها : النهر .

والذي يبدو أنّ السيطرة على بلاد ما وراء النهر كانت سجالاً بين الترك والفرس وقد حُكمت هذه البلاد من الجانبين قبل الفتح الإسلامي العظيم .

٣ـ أما عن أحوال سكّان بلاد ما وراء النهر الدينيّة ، فانّ عقائد زرادشت هي ديانة السكّان الإيرانيين ، واعتنق هذه العقيدة قسم من الأتراك أيضاً ، فقد انتشرت تعاليم زرادشت من بيوت النار في بلاد ما وراء النهر صوب الشرق فبلغت منازل بدو الترك عند (تيان شان) ، كما انتشرت كذلك صوب الشمال حتى شواطىء بحر آرال .

وقد تعرّضت الزرادشتية قبل فجر التاريخ إلى ضربة شديدة في بلاد ما وراء

النهر بفعل البوذيّة القادمة من الشّرق ، فأصبح غالبية التورانيين يعبدون الأوثان .

ويحتمل كلّ الاحتمال ، أنّ النضال بين البوذيّة والزرادشتية في بلاد ما وراء النهر ، اتّخذ صورته بين عرقين لا بين عقيدتين حسب ، وكان أولياء العقيدة الأولى التورانيون الذين تلقّوها في (التُبّت) ، وبإزائهم طفق الإيرانيون يدافعون في حميّة طبيعيّة عن ديانتهم القوميّة .

ولا نعلم التاريخ الذي أطلق فيه الاسم التوراني : (بخارى) على المدينة الإيرانية القديمة : (جموكت) ، ذلك لأنّ (بُخار) لا يزال حتى اليوم علماً مغولياً على المعبد أو الدير البوذي . وعلى ضوء ما كان من انتشار نفوذ الصين بين أتراك الشمال ، فيما بين صحراء (جوبي) حتى بحر (قزوين) ، ذلك النفوذ الذي كان يقوم قبل المسيح عليه السّلام وإبان حكم أسرة (هان) في الصين (١٦٣ ق.م ـ ١٩٦ م) ، فإن لنا أن نستنتج أنّ العقائد البوذية قد وجدت لها أتباعاً على ضفاف زَرَفْشان) أي نهر (الصُغْد) في القرون المسيحيّة الأولى .

وقد ذكر الرحّالة البوذيون عن ازدهار البوذية في تركستان الشرقية في القرن الخامس الميلادي ، ذلك الازدهار الذي لا يُستبعد امتداده حتى مناطق سيحون وجيحون . وقد وجد الفاتحون المسلمون الأولون آثار البوذيّة آخر الأمر ببلاد ما وراء النهر عند الفتح الإسلاميّ ، وحين فتحوا (بيكند) ، كان من بين ما غنمه المسلمون من الأوثان صنم عظيم الحجم من الذّهب الخالص استرعى انتباههم ، إذ كان له عينان من الجوهر الثمين .

وكان في بلاد ما وراء النهر أقليّة من النساطرة المسيحيين ، نزحوا إليها هرباً من بلاد الروم نتيجة لمطاردة الامبراطورية البيزنطيّة للنساطرة المنشقين على الكنيسة ، تلك المطاردة التي قادت بسبب الخلافات المذهبية المريرة ، فانطلق أولئك المضطَهدون يلتمسون مجالاً لنشاطهم في الشرق الأقصى ، فمهّدت كراهيتهم للبيزنطيين لكسب عطف السّاسانيين عليهم ، وقد اتّخذت المسيحية مركزاً في

سمرقند حيث أنشأت لها اسقفية بابويّة فيما بين سنتي (٤١١ م و ٤١٥ م)

٤- ولعلّ من المفيد أن نذكر شيئاً عن حكام قسم من بلاد ما وراء النهر الذين التقوا المسلمين الفاتحين في أيام الفتح ، فتردّدت أسماؤهم كثيراً في المصادر التاريخيّة العربية المعتمدة بخاصة والمصادر التي نقلت عنها بعامة .

عندما توفي (بندون) أو (بيدون) : بخار خداة،وهو لقب ملوك بخارى ، ترك طفلاً رضيعاً اسمه (طغشاد) أو (طغشادة) ، فانفردت بشؤون الملك زوجة (بندون) التي يدعونها السيِّدة المصون (خاتون) التي كانت أم الطفل (طغشاد) ، ويقال : إنّ حكمها استمرّ خمسين سنة ظهر المسلمون خـلالها في بلاد ما وراء النهر .

ويقال : إنه لم يكن في عصر من العصور مَن هو أصوب رأياً منها ، فكانت تحكم بصائب الرأي ويَنقاد لها الناس ، وقد ذاع صيت هذه السيدة لحِكْمتها وإجلال الناس لها .

وكان من عادة (خاتون) أن تخرج كلّ يوم من حصن بخارى على ظهر جوادها وتقف على (باب السّهل = ريكستان) ، وقد سمى هذا الباب بباب العلاّفين فيما بَعْد ، حيث كانت تجلس على تختٍ وأمامها الغلمان والخصيان والاشراف والحشم .

وكانت قد فرضت على أهل الرستاق أن يجيء لخدمتها مائتا شاب مـن الدهاقين والأمراء ، متمنطقين بمناطق ذهبيّة ويحملون السيوف ، ويقفون من بعيد. وعند خروج (الخاتون) من الحصن كانوا يحيّونها ويقفون في صفين وهي تنظر في أمور المملكة وتأمر وتنهى وتخلع على مَن تريد وتعاقب مَن تريد ، وتظلّ هكذا من الصباح إلى الضحى ، ثمّ تعود إلى الحصن ، وترسل المواد وتطعم جميع الخدم والحشم .

وعندما يأتي المساء ، كانت تخرج على هذه الصورة ، وتجلس على التخت

وقد اصطفّ أمامها الدهاقين والأمراء في صفّين للتحيّة ، وتبقى تقيم العدل بين الناس إلى موعد غروب الشمس ، وحينئذ تنهض وتمتطي جوادها وتعود أدراجها إلى قصرها في الحصن ، ويذهب حرّاسها إلى مواطنهم في الرستاق .

وفي اليوم التالي ، يأتي قوم آخرون للخدمة بنفس الطريقة ، وهكذا دواليك حتى تأتي النوبة على أولئك القوم ثانية ، وكان يتحتم على كل منهم أن يجيء في السنة أربعة أيام على هذا المنوال .

ويبدو أنه كان في بخاري تسعون أسرة من الأسر المرموقة ، لكي تأتي النوبة أربع مرات على كلّ شاب من حرس (خاتون) في السنة الواحدة .

ولما توفيت هذه الخاتون ، كان ابنها طغشاد قد كبر وأستأهل الملك ، بينما كان كثيرون يطمعون في هذا الملك .

وقد كان ثمة وزير أصاه من التركمستان ، يسمى : (وَرْدَان خُداة) ، وكانت له إمرة (وَرْدانَة) وهي قرية من قرى بُخارى ، وقد خاض ضده قُتَيْبَة بن مُسْلِم الباهِلي حروباً كثيرة إلى أن مات (وردان خداة) هذا وفتح قتيبة بخارى بعد أن أخرج وردان خداة مراراً من هذه الولاية حتى هرب إلى التركستان ومات هناك ، فأعطى قتيبة بخارى لطغشاد ثانية وأجلسه على العرش ، وصفا له الملك وكفّ عنه أيدى جميع أعدائه .

وكان طغشاد قد أسلم على يدي قتيبة ، فظلّ يحكم بخاري طياة حياة قتيبة ،ثم بقى ملكُ بخارى في يديه بعد عهد قتيبة إلى أن توفاه الله ، وملك بخارى اثنتين وثلاثين سنة .

وأنجب طغشاد وهو في الإسلام ولداً أسماه : قتيبة ، محبّةً في قتيبة بن مسلم وتقديراً لمزاياه وأفضاله ، فخلف قتيبة أباه طغشاد على عرش بخاري ، وبقى على الإسلام مدّة ، ثم ارتدّ عن الإسلام في أيام الفتن التي شملت خُراسان وبلاد ما وراء النهر ، وكان ذلك في أيام سيطرة أبي مُسْلم الخُراساني على تلك

الأرجاء في أواخر عهد بني أُميّة ، فعلم أبو مسلم بالأمر فقتل قتيبة وأهلكَ أخاه وأهلـــه .

وتولى عرش بخارى (بنيات بن طغشاد) ، وكان قد ولد في الإسلام وظلّ عليه مدّة من الزّمن ، فلما ظهر (المُقَنّع) في رستاق بخارى ، انجرف بنيات بتيار الفتنة ، فمال إلى المقنّع ، وأعان أصحابه ، حتى طالت أيديهم وتغلّبوا .

وأخبر صاحبُ البريد الخليفةَ ، وكان الخليفة إذ ذاك (المهدي) العباسي ، فلما فرغ المهدي من القضاء على فتنة المقنّع ، أرسل الفرسان إلى بنيات ، فقتلوه في قصره سنة مئة وست وستين الهجرية (٧٨٢ م) على الردّة .

وظلّت أملاك وضياع تلك العائلة بأيدي أبنائها أولاد (بخار خداة) ، وكان آخر مَن خرجت من يديه تلك الأملاك والضياع هو أبو اسحق ابراهيم بن خالد ابن بنيات ، وكان إبراهيم يقيم ببخارى والأملاك والضياع بحوزته ، يرسل بخراجها إلى أمير المؤمنين المقتدر بالله جعفر بن المعتضد بن الموفّق بن المتوكّل بن المعتصم بن هرون الرشيد (٢٨٢ هـ – ٣٢٠ هـ) ، (٨٩٥ م – ٩٣٢ م) ، وقد توفي إبراهيم سنة إحدى وثلاثمائة الهجرية (٩٢٣ م) وبقى أولاده في بخارى وقراها .

تلك هي لمحة عن أسرة من الأسر الحاكمة التي صادفها المسلمون في أيام الفتح ، قد تعطي صورة للأسر الحاكمة حينذاك ، وللمعاملة التي عوملت بها من الفاتحين .

وهذه اللّمحة ، هي المعلومات المتيسرة في المصادر التاريخية ، تكررت أسماء بعض منتسبيها كالخاتون كثيراً في المصادر التاريخية العربية ، دون أن تعطي تلك المصادر تفاصيل حياتها .

وقد ظلّت (خاتون) في الحكم خمسين سنة قضت شطراً منها في ظلّ الحكم الإسلامي دون أن تعتنق الإسلام ، فلم يحملها أحد من الفاتحين على الإسلام ، ما دامت تفي بشروط الصلح وتلتزم بها ، وهذا دليل واقعي على كذب ادعاء الذين يدّعون أنّ الإسلام انتشر بحدّ السّيف .

والذين قتلوا من أحفادها قتلوا على الردّة لا على عدم الإسلام .

وكثيراً ما يرد في الفتح هذان المصطلحان : خاقان وطرخان ، فمن المفيد أن نعرف معاني هذين المصطلحين ، فقد يفيدنا ذلك في تفهم سير حوادث الفتح .

وخاقان : لقب من ألقاب السيادة التي تطلق على أباطرة المغول والترك العظام ، ومعناه : ملك الملوك ، تمييزاً له عن : الخان ، وهو الحاكم الإقليمي لبعض الولايات التي كانت تتكوّن منها الإمبراطورية المغولية في آسيا الوسطى (تركستان) في أيام الفتح الإسلامي ، وقد استخدم هذا اللّقب السّلاطين المسلمون من المغول والترك ، كما استخدمه السّلاطين العثمانيون .

أما طَرْخَان ، فكان يطلق في الدولة المغولية اصطلاحاً على الأشراف من الرجال الذين يمنحهم الخاقان امتيازات خاصة تشمل الاعفاء من الضرائب مع الحق في أخذ نصيب من غنائم المعركة ، ومنها كذلك الدخول إلى بلاط الخاقان بدون استئذان .

وقد شاع في الدول التركيّة .

وطَرْخون ، صيغة أخرى من طرخان ، وله امتيازات الاعفاء من الضرائب والامتيازات الأخرى ، فهما لفظان لمعنى واحد .

ومعناه كما جاء في المصادر التاريخية العربية القديمة كالطبري : ملك من ملوك ما وراء النهر ، يتبع خاقان الترك ، وعلى الخصوص هو ملك الصُّغْد ، فيقال : طرخون الصُّغد ، والطرخون نيزك ، أي طرخون الصّغد المسمى نيزك .

وعندما قدم العرب المسلمون فاتحين في بلاد ما وراء النهر ، كان عدد من الطراخين يحكمون في (بِيكَنْد) وسمرقند وغيرهما . ولا تفصح المصادر عما إذا كان هؤلاء الأمراء والرؤساء مستقلين في بلادهم أو كانوا تابعين للخاقان ، ولكنها تنصّ بصراحة على استنجاد طرخون بخاقان وبالآخرين من بني جلدته في تركستان

وفرغانة ، كما فعلت خاتون وطرخون سمرقند حين أطبق على بخارى وسمرقند المسلمون الفاتحون ، وكان الخاقان والملوك الآخرون يسارعون إلى النجدة خفافا ، فاشتبكوا بالمسلمين عدّة مرّات ، وتكبد الطرفان خسائر فادحة بالأرواح والأموال ، وكانت النتيجة انتصار الفاتحين .

ويبدو أنّ ملوك بلاد ما وراء النهر كانوا مستقلين استقلالاً ذاتياً ، ولكنهم كانوا جميعاً يدينون بالولاء للخاقان ، لأنه ملك الملوك (عملياً) إذا كان قوياً ، و (نظرياً) إذا كان ضعيفاً .

وملوك بلاد ما وراء النهر ، كانوا كملوك الطوائف ، لهم استقلالهم الذاتي في أوقات السّلام ، ولكن الحرب تجمعهم ليصبحوا صفاً واحداً على عدوّهم المشترك في الدفاع عن مصالحهم المشتركة .

فتح بلاد ما وراء النهر واستعادة فتحها

القاعدة المتقدمة :

١ــ استطاع الأحنف بن قيس التميمي فتح (خُراسان) سنة ثماني عشرة الهجرية (٦٣٩ م) ، وفي قول آخر سنة اثنتين وعشرين الهجرية (٦٤٢ م) على عهد عمر بن الخطّاب رضي الله عنه .

ولكن (خاقان) ملك الترك ، ومعه (يزدجرد) آخر ملوك السّاسانيين ، عبر نهر جَيْحون إلى مدينة (بَلْخ) التي كان المسلمون قد فتحوها قريباً ، وأعاد هذه المدينة إلى سيطرة يزدجرد .

وقد استنجد يزدجرد بخاقان بعد اكتساح المسلمين بلاده وتقدّمهم من نصر الى نصر فاتحين ، فسار معه خاقان على رأس جيشه ، واستعاد مدينة (بَلْخ) من المسلمين ، لأنه قاتل حاميتها المحليّة ولم يقاتل جيش المسلمين الأصلي ، فانتصر خاقان على الحامية المحلية .

ولا يمكن أن نعزو انتصار خاقان ليزدجرد ، لأنه حليفه أو لأسباب عاطفية في دعم ملك الترك لملك الفرس ، بل كان لخاقان مصلحة في إبعاد المسلمين الفاتحين عن مدينة (بَلْخ) ، لأنّ هذه المدينة هي مفتاح السيطرة على بلاد ما وراء النهر بخاصة ومنها بلاد خاقان ، فليس من مصلحة خاقان أن يفتح المسلمون مدينة بَلْخ ، لأنّ الخطوة التالية لفتحها هو عبور المسلمين نهر جيحون وفتح بلاد ما وراء النهر وتهديد بلاد خاقان تهديداً مباشراً بعد ذلك .

ولم يسكت المسلمون على اندحار حامية بَلْخ المحليّة أمام جيش خاقان ، فبادروا فوراً بالزحف على بَلْخ بقيادة الأحنف بن قيس التميمي على رأس قواته الضاربة الأصلية ، فقاتل المسلمون جيش خاقان وانتصروا عليه بسهولة ويسر ، وأجبروه على الانسحاب عن (بَلْخ) ، فعاد خاقان إلى بلاده فيما وراء النهر ومعه يزدجرد .

واستعاد الأحنف بن قيس فتح مدينة بَلْخ وسائر خراسان ، فكتب إلى عمر بن الخطّاب رضي الله عنه بالفتح .

وجمع عمر بن الخطّاب الناس حين تسلّم كتاب الأحنف بالفتح ، فبشّرهم بهذا الفتح وخطبهم ، وأمر بكتاب الفتح فقرئ على الناس ، وقال في خطبته : « ألا إنّ الله قد أهلك ملكَ المجوسيّة وفرّق شملهم ، فليسوا يملكون من بلادهم شبراً يضرّ بمسلم . ألا وإنّ الله قد أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأبناءهم لينظر كيف تعملون ، والله بالغ أمره ومنجز وعده ومتبع آخر ذلك أوّله ، فقوموا في أمره على رجلٍ يعرف لكم بعهده ويؤتكم وعده ، ولا تتبدّلوا ولا تتغيّروا فيستبدل الله بكم غيركم ، فإني لا أخاف على هذه الأمة أن تُؤتى إلاّ من قِبَلِكُم » .

٢ــ ولما قُتل عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، نقض أهل خراسان وغدروا ، فاستعاد عبدالله بن عامِر بن كُرَيْز القُرَشِيّ العَبْشَمِيّ فتح خراسان ثانية

بمعاونة الأحنف بن قيس التميميّ سنة إحدى وثلاثين الهجرية (٦٥١ م) على عهد عثمان بن عفّان رضي الله عنه .

وانتقضت بعض مناطق خراسان حين نشب الاقتتال الداخلي بين المسلمين أيام الفتنة الكبرى بعد استشهاد عثمان بن عفّان رضي الله عنه ، وكانت مدينة بلْخ من المدن الخرسانية التي انتقضت حينذاك .

وفي سنة إحدى وخمسين الهجريّة (٦٧١ م) ، أصبح الربيع بن زياد الحارثي على خراسان لزياد بن أبي سفيان الذي كان على العراقَين لمعاوية بن أبي سفيان ، فغزا الربيع مدينة بلْخ وفتحها صلحاً من جديد .

ومدينة بلْخ على الدّوام باب بلاد ما وراء النهر الجنوبي ، وكانت باستمرار عرضة لهجمات الترك القادمين من بلاد ما وراء النهر ، يعبرون إليها نهر جيحون الذي كان يسمى : نهر بلْخ أيضاً فيغزونها ، فلا عجب أن يقرِّر المسلمون فتح بلاد ما وراء النهر للدفاع عن بلخ بخاصة وخراسان بعامة ، لأنّ الهجوم أنجع وسائل الدفاع .

وكانت بلخ هي القاعدة المتقدّمة للمسلمين في فتح بلاد ما وراء النهر .

فتح الحَكَم بن عمرو الغِفاريّ

١ــ في سنة خمس وأربعين الهجرية (٦٦٥ م) ولّى زياد بن أبي سفيان خراسان الحكم بن عمرو الغِفاري على عهد معاوية بن أبي سفيان .

وفي سنة ثمان وأربعين الهجرية (٦٦٨ م) أو سنة تسع وأربعين الهجرية فتح الحكم (الصَغَانِيان) ، وهو إقليم من أقاليم ما وراء النهر .

قال عبدالله بن المبارك لرجل من الصَغَانِيان : « مَنْ فتح بلادك ؟ » ، فقال الرجل : « لا أدري ! ! » ، فقال ابن المبارك : « فتحها الحكم بن عمرو الغِفَارِيّ » .

فتح عُبَيْدالله بن زياد

في سنة ثلاث وخمسين الهجرية (٦٧٣ م) ، ولّى معاوية بن أبي سفيان خُراسان عبيدالله بن زياد .

وفي سنة أربع وخمسين الهجرية (٦٧٣ م) ، قطع عبيدالله النهر (جيحون) إلى جبال (بُخارى) على الإبل في أربعة وعشرين ألفاً ، فكان عبيدالله أول مَن قطع إليهم جبال بخارى في جند ، ففتح (راميْثَن) و (نَسَف) و (بِيكَنْد)

وأرسلت (خاتون) ملكة بخارى إلى الترك تستمدّهم ، فجاءها منهم عدد كبير ، حيث التقى بهم المسلمون وهزموهم بعد قتال شديد ، وانتصروا عليهم .

وبعثت خاتون تطلب الصلح والأمان من المسلمين على أن يعودوا عن بخارى ، فصالحها عبيدالله على ألف ألف درهم .

وعاد المسلمون إلى خُراسان دون أن يفتحوا بخارى .

٢ـ وخاتون ملكة بخارى ، هي زوجة الملك (بندون) ملك بخارى الذي توفي عنها وخلّف من خاتون ولداً حدثاً يدعى (طغشاد) ، فانفردت خاتون بشؤون الملك وصيّة على ابنها الحدث .

وقد دام حكمها خمسين سنة ، ظهر المسلمون في اثنائها في ديارها .

وخاتون ليس اسمها ، بل صيغة من صيغ التوقير للسيدات من ذوات المقام الرفيع ، أصل الكلمة فارسي أو تركي ، ولا يزال هذا اللقب يستعمل حتى اليوم بين الأتراك .

ومعنى كلمة خاتون : السيدة الوجيهة ، أو ما يقارب هذا المعنى .

وقد ذاع صيت هذه السيدة وإجلال الناس لها ، وكانت تغادر مقرّها كلّ يوم بعد شروق الشمس مباشرة ، فتقصد باب السّهل (الريكَستان) ، فتجاس

فوق عرش ومن حولها رجال البلاد والأعيان ، وتقيم العدل بين الناس .

وكان يقوم على حراستها في الحضرة كلّ يوم مئتا شاب يتمنطقون بالذهب ، ومعهم سيوفهم الذهبيّة كذلك ، وكانوا يستبدلون بغيرهم كلّ يوم ، وعلى هذا الوضع كانت تتيح لكلٍّ قبيلة تحكمها أن تشارك في أداء واجب حراستها أربع مرات كلّ سنة .

وبهذه السيدة انتهى الحكم الفعلي لأوّل أسرة حاكمة في بخارى ، وقد احتفظ ابنها طغشاد باستقلاله لمدة اثنتين وثلاثين سنة لاعتناقه الإسلام .

واشتبك طغشاد في حروب ضد الترك إلى جانب المسلمين الذين ثبّتوا ابنه من بعده على العرش تكريماً له ، وكان قد سمّى ابنه : قُتَيْبَة ، تيمناً باسم قتيبة بن مُسْلِم . ولكن قتيبة هذا لم يخاص للاسلام والمسلمين إخلاص أبيه طغشاد ، إذ كان يتظاهر بالإسلام ويخفي ممارسة طقوس المجوس ، فقتل متّهماً بالزندقة .

تلك هي مجمل سيرة خاتون وذويها ، وقد نجحت خاتون في صرف عبيد الله بن زياد عن بخارى بالصلح إلى حين ، فمهّد عبيدالله للمسامين الفاتحين فتحها في الوقت المناسب .

فتح سعيد بن عثمان بن عفّان

١ــ ولّى معاوية بن أبي سفيان سنة ست وخمسين الهجرية (٦٧٥ م) خراسان سعيد بن عثمان بن عفّان وعزل عبيدالله بن زياد .

وقدم سعيد خراسان ، فقطع النهر إلى (سَمَرقَنْد) ، فكان أول مَن قطع نهر (بَلْخ) من العرب .

وبلغ خاتون ملكة بخارى عبوره النهر ، فحملت إليه الصلح الذي صالحت عليه عبيدالله بن زياد .

وأقبل أهل (الصُّغْد) و (كِش) و (نَسَف) إلى سعيد في مئة ألف وعشرين ألفاً ، فالتقوا ببخارى ، وقد ندمت خاتون على أدائها الجزية ، فنكثت العهد . ولكن قسماً من الحشود المجتمعة لقتال سعيد انصرفوا قبل مباشرة القتال ، فأثّر انصرافهم في معنويات الآخرين واهتزّت معنوياتهم ، فلما رأت خاتون ذلك ، أعادت الصلح ، فدخل سعيد مدينة بخارى فاتحاً .

وطلب سعيد من خاتون أن تبعث إليه برهائن ضماناً لتنفيذ ما تصالحا عليه ، فبعث إليه بثمانين من أعيان بلادها ممن كانوا على رأس الخارجين عليها ، وممن تخشى غدرهم بها وتهديدهم لعرشها ، فتخلّصت بذلك من أشدّ أعدائها خطراً على عرشها وحاضرها ومستقبلها .

وحين تمّ الصلح بين خاتون وسعيد ، زارت خاتون سعيداً في مقرّه ، فطلعت عليه في زينتها الملكية ، وكانت نادرة الجمال على ما يقال ، فادّعى أهل بخاري أن القائد العربيّ أعجب بجمالها أيّما إعجاب ، وجرى ذكر إعجاب سعيد بها في الأغاني الشعبية التي لا يزال أهل بخارى يردّدونها ويتغنّون بها حتى اليوم .

ولكن هذا الإعجاب لا ذكر له في المصادر العربية والإسلامية المعتمدة ، ومن الواضح أنه أقرب إلى خيال الأدباء والفنانين منه إلى حقائق المؤرخين .

٢ــ وغزا سعيد سمرقند ، فأعانته خاتون بأهل بخارى ، فنزل على باب سمرقند وحلف ألاّ يبرح أو يفتحها .

وقاتل المسلمون أهل سمرقند ثلاثة أيام ، وكان أشدّ قتالهم في اليوم الثالث حيث فُقئت عين سعيد .

ولزم أهل سمرقند مدينتهم وقد فشت فيهم الجراح ، فأتاه رجل دلّه على قصر فيه أبناء ملوكهم وعظمائهم ، فسار إليهم وحصرهم .

وخاف أهل سمرقند أن يفتح سعيد ذلك القصر عَنْوَةً ويقتل مَنْ فيه ،

فطلبوا الصلح ، فصالحهم على سبعمائة ألف درهم ، وعلى أن يعطوه رهناً من أبناء عظمائهم ، وعلى أن يدخل المدينة ومَنْ شاء ويخرج من الباب الآخر ، فأعطوه خمسة وعشرين من أبناء ملوكهم ، ويقال : إنهم أعطوه أربعين من أبناء ملوكهم ، ويقال : ثمانين .

وكان معه من الأمراء ، المُهَلَّب بن أبي صُفْرة الأزدي وغيره .

واستشهد معه يومئذٍ قُثَم بن العبّاس بن عبدالمطّلب ، وكان يُشَبَّه بالنبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، وهو آخر مَن طَلع من لحد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم عند دفنه .

وانصرف سعيد إلى (تِرْمِذ) ، ففتحها صلحاً .

فتح سَلْم بن زياد

عزل معاوية بن أبي سفيان عن خُراسان سعيد بن عثمان بن عفّان سنة سبع وخمسين الهجرية (٦٧٦ م) وأضيف إلى ولاية عبيدالله بن زياد في رواية .

وفي رواية أخرى، أنّ معاوية ولىّ عليها عبدالرحمن بن زياد ، وكان شريفاً فلم يصنع شيئاً يذكر في مجال الفتح .

ومات معاوية وعلى خُراسان عبدالرحمن بن زياد .

وولىّ يزيد بن معاوية خراسان سَلْم بن زياد سنة إحدى وستين الهجريّة (٦٨٥ م) ، فغزا خُوارِزْم ، فصالحه على أربعمائة ألف درهم وحملوها إليه .

وقطع سلْم النهر ومعه امرأته أم محمد بنت عبدالله بن عثمان بن أبي العاص الثّقفي ، وكانت أوّل امرأة عربية عُبر بها النهر ، فوجد (خاتون) ملكة بخارى قد نقضت العهد ، فأتى سَمَرْقَند فصالحه أهلها ، فعاد إلى بخارى .

واستنجدت (خاتون) مرة أخرى بجيرانها في الصُّغْد ، كما استنجدت

بأتراك الشمال ، فجاء (طرخون) على جيش الصُّغد ، كما جاء ملك الترك في عسكر لجبٍ كثيف .

ولم تؤثر تلك الحشود الضخمة من الجيوش المعادية في معنويات المسلمين ، فحاصروا بخارى دون الهجوم عليها ، ليقفوا أولاً على تفاصيل قوّات أعدائهم ومواضعها ، وهي متربِّصة بهم في مواضع ليست بعيدة عن بخارى .

وأمر سلْمُ المهلّب بن أبي صُفْرة الأزديّ أن يستطلع أحوال العدو ، فاقترح المهلّب أن يكلِّف غيره بهذه المهمّة ، لأنه معروف المكانة بين المسلمين ، وقد يُفشي تغيّبه عن معسكر المسلمين سرّ الواجب الذي كُلِّف به دون مسوِّغ ، وهذا الواجب ينبغي أن يبقى سرّاً مكتوماً ، وإفشاؤه لا يخلو من خطر جسيم .

ولكنّ سلم بن زياد ، أصرّ على إيفاد المهلّب دون سواه في هذا الواجب الحيوي الذي قد يعجز غيره عن النهوض به كما ينبغي ، وأرسل معه ابن عمه ورجلاً من كلٍّ لواء من ألوية المسلمين ، فاشترط المهلّب على سلْم ألاّ يخبر أحداً بمهمته ، ثم مضى إلى سبيله ليلاً ، وكَمَنَ في موضع مستور ، واستطلع جيش العدو دون أن يشعر العدو بمكانه المخفيّ المستور .

ويبدو ان المسلمين افتقدوا المهلّب في صلاة الفجر ، فما كان تغيب مثله ليخفى على أحد ، فألحّوا على سلْم بالسؤال وألحفوا عليه ، فما استطاع أن يكتم أمره وأخبرهم أنه أرسله ليلة أمس في مهمّة استطلاعيّة !

وفشا الخبر بسرعة خاطفة في العسكر ، فأسرع جمعٌ من المسلمين بالركوب وتوجّهوا إلى موضع المهلّب المستور ، فكشفوا موضعه وموضع رجاله للعدو .

وأبصرهم المهلّب مقبلين يتسابقون بدون نظام ، فلامهم أشدّ اللّوم على ما أقدموا عليه ، لأنهم كشفوا جماعة استطلاعه للعدو ، وعرضّوهم لخطر محدق أكيد .

وأصبح موقف المهلّب ومن معه من المسلمين في خطر محدق ، فبذل المهلّب

قصارى جهده لمعالجة موقفه الخطير .

وأحصى المهلّب المسلمين الذين التحقوا به ، فكانوا تسعمائة ، فقال : « والله لتندمُنَّ على ما فعلتم ! » .

وحدث ما توقّعه المهلّب ، فما كاد ينظِّم المسلمين صفوفاً ، حتى هاجمهم الترك وأبادوا منهم اربعمائة مجاهد ، ولاذ الباقون منهم بالفرار .

وأُحيط بالمهلّب ومَن بقي معه من مفرزته الإستطلاعيّة ذات العدد المحدود ، ولكنه ثبت ثباتاً راسخاً ، فالموت بالنسبة لأمثاله أهون من الفرار .

وصاح المهلّب بصوته الجهوريّ القوي مستغيثاً ، فسُمع صوته في معسكر المسلمين القريب ، الذي كان على بُعد نصف فرسخ من موضعه المواجه للعدو .

وبادر فوراً إلى نجدته فريق من قومه ، فشاغلوا الترك ريثما أقبل المسلمون خفافاً على عجل .

ونشب القتال بين الجانبين ، فقاتل المسلمون الترك حتى هزموهم هزيمة منكرة ، فتركوا ساحة القتال تاركين أموالهم وأثقالهم ، فغنمها المسلمون حتى أصاب كلّ فارس ألفين وأربعمائة درهم في رواية ، وعشرة آلاف درهم في رواية أخرى .

وطارد المسلمون الترك المنهزمين ، فلم يَنْجُ منهم إلاّ الشّريد ، وكان من بين القتلى (بندون) أو (بيدون) الصُّغدي ملك الصُّغد .

وأعادت خاتون الصّلح مع سلم بن زياد ، فاستعاد فتح بخارى .

وبعث سلم وهو بالصُّغد جيشاً إلى (خُجَنْدَة) وفيهم الشاعر أعشى همدان ، فهُزم المسلمون ، فقال الأعشى :

لَيتَ خيلي يوم الخُجَنْدَة لم يُهـ ـزَمْ وغُودِرْتُ في المُكَرِّ سَلِيبا
تَحْضُرُ الطير مَصْرَعِيْ وتَروَّحـْ ـتُ إلى الله في الدِّماء خَضِيبَا

وعاد سلم إلى (مرو) بعد جهاد هذه السنة .

ويبدو أنّ سلم قطع النهر ثانية في سنة ثلاث وستين الهجريّة (٦٨٢ م)، لأنّه علم بأنّ الصُّغد قد جمعت له ، فقاتلها .

ومات يزيد بن معاوية سنة أربع وستين الهجرية (٦٨٣ م) ، فأُخْرِج سلْم بن زياد من خُراسان ، إذ اختلف المسلمون في خُراسان ، فقال قائلهم : « بئس ما ظنّ سلْم ، إنْ ظنّ أنه يتأمّر علينا في الجماعة والفتنة ! ! »، فرحل عن خراسان .

ونشب الخلاف الشديد بين القبائل العربية في خُراسان ، فأصبحت سيوفهم عليهم لا على أعدائهم .

فتح أُميّة بن عبدالله

١ـ تولّى خُراسان بعد سَلْم بن زياد عبدُالله بن خازِم السلميُّ ، فقد تلقى عُبدالله سلمَ منصرفه من خراسان بنيسابور ، فكتب له سلم عهداً على خراسان ، وأعانه بمائة ألف درهم .

ولكنّ جمعاً كثيراً من بَكْر بن وائِل وغيرهم رفضوا ولاية ابن خازِم ، فأغاروا على ثقله ، فقاتلوهم عنه حتى كفّوا .

وأرسل سليمان بن مَرْثد أحد بني سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن عُكَابة من المراثد بن ربيعة ، إلى ابن خازم أنّ العهد الذي معك لو استطاع صاحبه أن يقيم بخراسان لم يخرج عنها ويوجّهك ! .

ونزل سليمان بمشرعة سليمان ، ونزل ابن خازم بمرو ، واتفقا أن يكتبا إلى ابن الزبير ، فأيّهما أمّره فهو الأمير .

وكتبا إلى عبدالله بن الزبير ، فولى عبدالله بن خازم خراسان ، فأبى سليمان أن يقبل ذلك .

ونشب القتال بين الجانبين ، فقُتل سليمان .

واجتمع فلُّ سليمان إلى عمر بن مَرْثَد بالطالِقان ، فسار إلى ابن خازم ، فقُتِل عمر .

واجتمعت ربيعة إلى أوس بن ثعلبة بَهراة ، فسار إليه ابن خازم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وأصابت أوْساً جراحات وهو عليل ، فمات بعد أيام .

واغتنمت الترك هذه الفرصة ، فكانت تغير على المسلمين . حتى بلغت قرب نَيْسَابور ! !

وولى ابن خازم ابنه محمداً (هراة) ، فهاج بنو تميم وقتلوا محمداً ، فقتل ابن خازم أحد رؤساء بني تميم وأحد رجالهم ، فأعلن بنو تميم الثورة على ابن خازم وخلعوه .

وبعث عبدالملك بن مروان بولاية خراسان إلى ابن خازم ، فلم يقبل ولاية عبدالملك ، لأنه تولى من عبدالله بن الزبير .

وقُتل ابنُ خازم في معركة بينه وبين بُكَيْر بن وشاح الذي ولاّه عبدالملك خراسان بعد رفض ابن خازم لولايته .

وتعصّب قوم لابن خازم ، ووقع الاختلاف ، وصارت طائفة مع بكير بن وشاح ، وطائفة عليه ، فكتب وجوه خُراسان وخيارهم إلى عبدالملك يعلمونه أنه لا تصلح خُراسان بعد الفتنة إلاّ على رجلٍ من قريش .

٢ــ وفي سنة أربع وسبعين الهجريّة (٦٩٣ م) استجاب عبدالملك بن مروان لنصيحة وجوه خراسان وخيارهم ، فولاها أُمَيّة بن عبدالله بن خالد بن أَسِيْد بن أبي العِيْص بن أُمَيّة وعزل بُكَيْر بن وشاح عنها ، وكانت ولاية بُكَيْر سنتين .

وبذل أُميّة قصارى جهده في إصلاح ما فسد في خراسان حتى سنة سبع وسبعين الهجرية (٦٩٦ م) ، فلما استتب له الأمر ، عزم على غزو بخارى وإتيان موسى بن عبدالله بن خازم المستقل في (الترمذ) ، لتوحيد خُراسان كلّها

والقضاء نهائياً على الانقسامات الداخلية التي أضعف المسامين وأوقفت الفتح وجرّأت البلاد المفتوحة على العصيان .

وولى أمية ابنه على (مرو) ، وتوجه على رأس جيشه إلى بخارى ، ولكن بكير بن وشاح انصرف إلى (مرو) وأخذ ابن أمية وحبسه ، فبلغ ذلك أميّة ، فصالح أهل بخارى على فدية قليلة ، واتخذ السفن ، وقد كان بكير أحرقها ، واجع إلى (مرو) ، تاركاً موسى بن عبدالله بن خازم ، الذي قاتله بكير ثم صالحه على أن يوليه أي ناحية شاء .

ووصل أمية إلى (مرو) ، وقاتل بكير بن وشاح ، وحاصر (مرو) أياماً ، ثم صالح بكير بن وشاح .

وبلغ أميّة أنّ بكير بن وشاح يريد خلعه ، فقتله أميّة .

٣ــ وغزا أُميّة في أوائل سنة ثمان وسبعين الهجرية (٦٩٧ م) الخُتّل وقد نقضوا بعد أن صالحهم سعيد بن عثمان بن عفّان ، فافتتحها .

فتح المهلب بن ابي صُفرة الازدي

في سنة ثمان وسبعين الهجريّة (٦٩٧ م) عزَل عبدالملك بن مروان عن خراسان أُميّة بن عبدالله بن خالد وضمها إلى أعمال الحجاج بن يوسف الثّقفيّ .

وبعث في هذه السنة الحجّاج على خراسان المهلّب بن أبي صُفرة الأزْديّ بعد أن فرغ من حرب الأزارقة .

وقطع المهلّب سنة ثمانين الهجريّة (٦٩٩ م) نهر بَلْخ على رأس جيش تعداده ثمانية آلاف رجل ، فحاصر مدينة (كِشّ) ، فأتاه ابن عم ملك (الخُتّل) ودعاه إلى غزوها ، فوجّه معه ابنه يزيد بن المهلّب ، فحاصر يزيد قلعة ملك الختّل ، فصالحوه على فدية حملت إليه ، ثم رجع يزيد إلى المهلّب ، وكانت الختّل قد انتقضت .

كما فتح خُجَنْدَة ، وأدّت إليه الصُّغد الأتاوة ، وغزا كِش وصالحها بعد

بعد حصار طويل ، كما غزا مدينة نَسَف .

لقد غزا المهلّب غزوات كثيرة ، واستطاع أن يعيد الأمن والاستقرار إلى كثير من ربوع بلاد ما وراء النهر .

فتح يزيد بن المُهَلّب

توفي المهلّب بن أبي صُفرة سنة اثنتين وثمانين الهجرية (٧٠١ م) ، فاستخلف ابنه يزيد بن المهلّب ، فأقرّ الحجّاج يزيد على خراسان .

وغزا يزيد مغازي كثيرة وفتح (البُتّم) على يد مُخَلّد بن يزيد بن المهلّب. وغزا يزيد خُوارِزْم وأصاب سبياً .

واولا انشغاله بالفتن الداخلية ، لكان له في الفتوح شأن كبير .

فتح المُفَضَّل بن المهلّب

وفي سنة خمس وثمانين الهجرية (٧٠٤ م) عزل الحجّاج عن خراسان يزيد بن المهلّب وولّى مكانه أخاه المفضّل بن المهلّب .

وبقي المفضّل في منصبه تسعة أشهر فقط ، ففتح (باذَغيْس) وقد انتقضت ، كما فتح (شُومان) و (أخْرون) ، وأصاب غنائم قسمها بين الناس ،

ولكنّ أبرز أعمال المفضّل وأبقاها ، هو قضاؤه على موسى بن عبدالله بن خازم الذي سيطر على بلاد ما وراء النهر لا ينازعه فيها أحد .

وقصة موسى بن عبدالله طويلة لا صلة لها بالفتح ، فلما عُزل يزيد بن المهلّب وولي المفضّل ، قرر أن يضع حداً لانفصال موسى بن عبدالله بن خازم عن الدولة الذي استمر خمس عشرة سنة ، فسيّر عثمان بن مسعود إليه ، وكتب إلى مُدْرِك بن المهلّب وهو ببَلْخ يأمره بالمسير معه ، فعبر النهر في خمسة عشر أنفاً ، وكتب الى السّبل وإلى طرخون (١) فقدموا عليه ، فحصروا موسى

(١) السبل : ملك الختل ، وطرخون ملك الصغد

وضيّقوا عليه وعلى أصحابه في (ترمذ) .

ومكث موسى شهرين في ضيق شديد ، وقد خندق عثمان عليه وحذر البيات ، فقال موسى لأصحابه : « اخرجوا بنا ، حتى متى نصبر ! فاجعلوا يومكم معهم ، إما ظفرتم وإما قُتِلتم » .

وخرج موسى وأصحابه ، وخلّف على المدينة النّضر بن عبدالله بن خازم ، وقال له : « إنْ قُتلتُ فلا تدفعنّ المدينة إلى عثمان ، وادفعها إلى مُدْرِك بن المهلّب » .

وجعل موسى ثلث أصحابه بإزاء عثمان ، وأمرهم ألاّ يقاتلوه إلاّ إذا قاتلهم ، وقصد بمن معه لطرخون وأصحابه ، فصدقوهم القتال ، فانهزم طرخون وأخذوا عسكرهم .

وزحفت الترك والصُّغْد ، فحالوا بين موسى وحصن ترمذ .

وقاتلهم موسى ، فعقروا فرسه ، فسقط على الأرض ، فحمله أحد مواليه على فرسه ، فلما نظر إليه عثمان حين وثب قال : « وثبة موسى وربِّ الكعبة » .

وقصد عثمان إلى موسى ، وعقرت دابة موسى ، فسقط هو ومولاه ، فقتلوه .

ونادى منادي عثمان : من لقيتموه فخذوه أسيراً ولا تقتلوا أحداً » ، فقتَل ذلك اليوم من الأسرى خلقاً كثيراً من العرب خاصة ، فكان يقتل العرب ويضرب المولى ويطلق سراحه .

وقتل موسى سنة خمس وثمانين الهجريّة ، بعد أن سيطر على بلاد ما وراء النهر خمس عشرة سنة لا ينازعه فيها منازع .

وبذلك مهّد المفضّل لقتيبة أن يفتح ما شاء في بلاد ما وراء النهر ، فكان قتيبة حسنة من حسنات المفضّل بلا مراء .

فتح قُتَيْبَة بن مُسْلِم الباهِلِيّ

١- عزل الحجّاج بن يوسف الثّقفيّ عن خُراسان المفضَّل بن المهلّب سنة ست وثمانين الهجريّة (٧٠٥ م) في خلافة الوليد بن عبدالملك ، وولى مكانه قُتَيْبَة بن مُسْلِم الباهِلِيّ ، فقدم قتيبة خراسان والمفضَّل يعرض الجند للغزاة .

وعرض قتيبة الجند وحثّهم على الجهاد وسار غازيا ، فلما كان بالطالِقَان أتاه دهاقين بَلْخ وساروا معه ، فقطع نهر (جَيْحون) ، فتلقاه ملك الصَغَانِيان بهدايا ومفاتيح من ذهب ، ودعاه إلى بلاده وسلّمها إليه ، لأنّ ملك (شُوْمان) و (آخرون) كان يسيء جواره .

وسار قتيبة إلى (آخرون) و (شومان) وهما من الصغانيان ، فصالحه ملكها على فدية أدّاها إليه ، فقبلها قتيبة ، ثمّ انصرف عائداً إلى (مرو) .

واستخلف قتيبة على الجند أخاه صالح بن مسلم ، ففتح صالح بعد رجوع قتيبة (كاشان) و (أورشت) وهي مدينة من مدن فرغانة ، وفتح (أَخْسِيْكَث) وهي مدينة فرغانة القديمة .

وبهذا الفتح الكبير ، استهلّ قتيبة ولايته لخرسان سنة ست وثمانين الهجرية (٧٠٥ م) .

٢- وفي سنة سبع وثمانين الهجرية (٧٠٥ م) ، غزا قتيبة (بِيْكَنْد) وهي أدنى مدائن بُخارى إلى النهر ، فسار من (مرو) ، وأتى (مرو الرّوذ) ، ثم أتى (آمُل) ، ثم مضى إلى (زَمّ) ، فقطع النهر وسار إلى (بيكند) التي يقال لها : مدينة التجّار ، على رأس المفازة من بخارى .

ولما نزل قتيبة بساحتهم ، استنصروا (الصُّغْد) واستمدّوا مَنْ حولهم ، فأتوهم في جمع كثير ، وأخذوا بالطريق ، فلم ينفذ لقتيبة رسول ولم يصل إليه رسول ولا خبر شهرين .

وأبطأ خبر قتيبة على الحجّاج ، فأشفق على الجند ، وأمر الناس بالدعاء

لهم في المساجد ، وكتب بذلك إلى الأمصار .

وكان قتيبة يقاتل عدوّه كلّ يوم ، وكان له عين من العجم ، فأعطاه أهل بخارى مالاً ليردّ عنهم قتيبة ، فأتاه وقال له سرّاً من الناس : « الحجّاج قد عُزل ، وقد أتى عامل إلى خراسان ، فلو رجعت بالناس كان أصلح » ، فأمر بقتله خوفاً من أن يظهر الخبر ، فيهلك الناس ثمّ قال لرجل كان عنده هو ضِرار بن حُصَيْن الضَبيّ حين جاءه العين بهذا الخبر : « لم يبق أحد يعلم هذا الخبر غيري وغيرك ، وإني أعطي الله عهداً لئن ظهر هذا الحديث من أحد حتى تنقضي حربنا هذه لأُلحقنك به ، فاملكْ لسانك ، فإنّ انتشار هذا الحديث يَفُتّ من اعضاد الناس » .

وأمر قتيبة أصحابه بالجدّ في القتال ، فقاتلهم قتالاً شديداً . وانهزم أعداؤه يريدون المدينة ، وأتبعهم المسلمون فشغلوهم عن دخول المدينة ، فتفرّقوا . وركبهم المسلمون في مطاردة عنيفة ، فقتلوا منهم مَن قتلوا ، وأسروا منهم مَن أسروا .

واعتصم مَن دخل المدينة – وهم قليل ، فوضع قتيبة الفَعَلَة لهدم سورها ، فسأله المحصورون الصلح ، فصالحهم واستعمل عليهم عاملا .

وارتحل قتيبة عنهم يريد الرجوع ، فلما سار خمسة فراسخ ، نقضوا الصلح وقد تحصّنوا ، فقاتلهم شهراً ، ثم وضع الفَعَلة فنقبوا سورها ، فسألوه الصلح فلم يقبل ، ودخل المدينة عَنْوَةً ، وقتل مَن كان فيها من المقاتلة . وكان فيمن أخذوا في المدينة رجل أعور ، كان هو الذي استجاش الترك على المسلمين ، فقال لقتيبة « أنا أفدي نفسي » ، فقال سليم الناصح : « ما تبذل » ، فقال : « خمسة آلاف حريرة صينية قيمتها ألف ألف » ، فقال قتيبة : « ما ترون ؟ » ، فقالوا إنْ فداه زيادة في غنائم المسلمين ، وما عسى أن يبلغ من كيد هذا ؟ ! » ، فقال : « لا والله ! لا تروّع بك مسلمة أبدا » ، وأمر به ، فقتل .

وأصاب المسلمين في بيكند من آنية الذهب والفضة مالا يُحصى ، وأصابوا شيئاً كثيراً لم يصيبوا مثله حتى بخُراسان .

ورجع قتيبة إلى (مرو) ، وقوي المسلمون فاشتروا السِّلاح والخيل ، وجُلبت إليهم الدّواب . وتنافسوا في حسن الهيئة والعُدَّة ، وغالوا بالسِّلاح حتى بلغ سعر الرمح سبعين درهما .

وكان في الخزائن سلاح وآلة من آلة الحرب كثيرة ، فكتب قتيبة إلى الحجّاج يستأذنه في توزيع السِّلاح على الجند ، فأذن له . وأخرجوا ما كان في الخزائن من عُدَّة الحرب وآلة السّفر ، فقسّمه في الناس .

٣ـ استقرّ قتيبة في (مرو) أيام الشتاء للراحة وإنجاز الاستحضارات الإدارية لجيشه وإعداد رجاله للقتال ، فلما كانت أيام الربيع من سنة ثمان وثمانين الهجرية (٧٠٦ م)، ندب الناس وقال : « إني أغزيكم قبل أن تحتاجوا إلى حمل الزّاد ، وأنتقلكم قبل أن تحتاجوا إلى الإدفاء » ، فسار من (زَمّ) إلى بخارى ، فأتى (نُومشكث) وهي من بخارى ، فصالحوه .

وسار قتيبة إلى (اميْثَن) ، فصالحه أهلها أيضاً ، فانصرف عنهم .

وفي طريق عودة قتيبة إلى (مرو) ، زحف إليه الترك ومعهم (الصُّغْد) وأهل فرغانة في مائتي ألف بقيادة ملك الترك (كور بغانيون) ابن اخت ملك الصين ، فهدّدوا السّاقة التي كانت بقيادة عبدالرحمن بن مسلم الباهلي ، وكان بينه وبين قتيبة وأوائل العسكر ميل واحد . ولما قرب العدو من السّاقة ، أرسل قائدها رسولاً إلى قتيبة يخبره بزحف الترك ، ولكنّ الترك هاجموه في أثناء ذلك وقاتلوه .

وأتى الرسولُ قتيبةَ فرجع قتيبة بالناس ، وانتهى إلى السّاقة وهي مشتبكة بالقتال ، وقد كاد الترك يسحقونها .

وحين رأى الناس قتيبة ، طابت أنفسهم ، فصبروا وقاتلوا إلى الظهر ، وأبلى يومئذ (نيزك) وهو مع قتيبة ، فانهزم الترك .

ورجع قتيبة ، فقطع النّهر عند (تِرْمِذ) ، وأتى (مرو) .

٤ـ أمر الحجّاج سنة تسع وثمانين الهجريّة (٧٠٧ م) بغزو بخاري ، وملكها يومئذ (وَرْدان خُدَاة) الذي اغتصب الملك من طغشاد بن خاتون .

وعبر قتيبة النهر من (زَمّ) ، فلقيه الصُّغد وأهل كِش ونَسَف في طريق المفازة وقاتلوه ، ولكنه انتصر عليهم .

ومضى إلى بخارى ، فنزل (خَرَقانة) السفلى ، فلقوه بجمع كثيف ، فقاتلهم يومين وليلتين ، وانتصر عليهم .

وغزا (وردان خُداة) فلم يظفر بشيء ، فرجع إلى (مرو) .

وكتب قتيبة إلىالحجّاج بخبره ، فكتب إليه الحجّاج يأمره بالتوبة مما كان من انصرافه عن (وردان خداة) قبل الظفر به ويعرِّفه الموضع الذي ينبغي أن يأتي بلده منه .

وفي سنة تسعين الهجريّة (٧٠٨ م) ، خرج قتيبة من (مرو) غازيا ، فأرسل (وردان خُداة) إلى الصُّغْد والترك ومَن حولهم يستنصرهم ، فأتوه وقد سبق إليه قتيبة وحصره

ووردت الامدادات إلى ملك بخارى ، فقالت الأزْد : اجعلونا وحدنا وخلّوا بيننا وبين قتالهم . فقال قتيبة : « تَقدّموا » فتقدّموا يقاتلونهم قتالاً شديداً ، ولكنهم انهزموا حتى دخلوا عسكر قتيبة وجاوزوه فضرب النساء وجوه الخيل وبكينَ ، فكرّوا راجعين .

وأطبقت مجنبتا جيش المسلمين على الترك ، فقاتلوهم حتى ردّوهم إلى مواقعهم السّابقة .

ووقف الترك على نشز من الأرض ، فقال قتيبة : « مَن يزيلهم عن هـذا الموضع ؟ ! » فلم يُقدم عليهم أحد ! فأتى قتيبة بني تَمِيْم وقال لهم : « يوماً

كأيامكم . . . » ، فأخذ وَكِيعُ بن حَسّان بن قيس التميمي اللّواء وقال : « يا بني تَميم ! أتُسلمونني اليوم ؟ ! » ، فقالوا : لا ، يا أبا مُطَرِّف » ، وكان هُرَيْم بن أبي طَحْمَةَ المجاشِعيّ على خيل بني تميم ، ووكيع رأسهم ، فقال وكيع : « يا هريم ! قدّم خيلك . . . » ، ودفع إليه الراية . وتقدّم هريم ، في الرجالة فانتهى هريم إلى نهر بينهم وبين الترك ، فوقف ، فقال له وكيع : « إقحم يا هريم ! » ، فضرب هريم فرسه وأقحمه ، وعبر بالخيل .

وانتهى وكيع إلى النهر ، فشدّ عليه جسراً من خشب ، وقال لأصحابه : « مَن وطّن نفسه على الموت ، فليعبر ، وإلاّ فليثبت مكانه » ، فماعبر معه إلاّ ثمانمائة رجل .

ودنا وكيع من العدو ، فقال لهريم : « إني مطاعنهم ،فأشغلهم عنّا بالخيل» ، فطاعنوهم ولم يزالوا يقاتلونهم حتى أزاحوهم عن مواضعهم » .

ونادى قتيبة : « أما ترون العدو منهزمين ! ؟ » ، فأتبعهم الناس .

ونادى قتيبة : « مَن جاء برأس فله مئة » ، فأتي برؤوس كثيرة ، وجرح يومئذٍ . (خاقان) ملك الترك وابنه .

وفتح الله على المسلمين بخارى ، فكتب بالفتح إلى الحجّاج .

٥- وقضى قتيبة سنة إحدى وتسعين الهجرية (٧٥٩ م) في القضاء على فتنة (نَيْزَك) [1] طرْخان أحد ملوك الأعاجم الذين نقضوا العهد وخانوا الذمّة

وفي هذه السنة أيضاً ، سار قتيبة إلى (شُومَان) ، وكان سبب ذلك أنّ ملكها طرد عامل قتيبة من عنده ، فأرسل قتيبة رسولين : أحدهما من العرب اسمه عَيّاش بن عبدالله الغَنَوِيّ ، والآخر من أهل خُراسان ، يدعوان ملك (شومان) إلى أن يؤدي ما كان عليه ، فقدما (شومان) ، فخرج أهلها ورموهما ، فانصرف

(١) صاحب باذغيس ، انظر ابن الاثير (٥٢٧/٤)

الخرساني ، وقاتلهم عيّاش ، فقتلوه ، ووجدوا به ستين جراحة .

وبلغ قتيبة قتله ، فسار إليهم بنفسه ، فلما أتاه أرسل صالح بن مسلم أخاه إلى ملكها – وكان صديقاً له ، يأمره بالطّاعة ويضمن له رضا قتيبة إن رجع إلى الصلح ، فأبى وقال : « أتخوّفني من قتيبة ، وأنا أمنع الملوك حصناً ؟ ! » ، فأتاه قتيبة وقد تحصّن ببلده ، فوضع عليه المجانيق ، ورمي الحصن ، فهشمه .

وخاف الملك أن يظهر عليه قتيبة ، فجمع ما في الحصن من مال وجوهر ، ورمى به في بئر بالقلعة لا يُدرك قعرها ، ثمّ فتح القلعة وخرج إلى المسلمين فقاتلهم حتى قُتل .

وفتح قتيبة القلعة عَنْوَة ، فقتل المقاتلة وسبى الذريّة .

وسار إلى (كِشّ) و (نَسَف) ، ففتحهما صلحا .

وامتنعت عليه (الفَارِيَاب) ، فأحرقها ، فسمّيت المتحرقة .

وسيّر من (نَسَف) و (كِشّ) أخاه عبدالرحمن إلى (الصُّغْد) وملكها لقبه (طرخون) ، فقبض عبدالرحمن من طرخون ما كان صالحه عليه قتيبة ، ورجع إلى قتيبة ببخارى ، فرجعوا إلى (مرو) .

٦– وقضى قتيبة سنة اثنتين وتسعين الهجريّة (٧١٠ م) في غزو سِجِسْتان، فصالح أهلها واستعمل عليها أحد رجالِه .

وفي سنة ثلاث وتسعين الهجرية (٧١١ م) ، صالح قتيبة ملك خُوَارِزْم ، وكان سبب ذلك ، أنّ الملك كان ضعيفاً ، فغلبه أخوه (خُرَّزاد) الذي كان أصغر منه على أمرِه ، وعاث في الرعيّة وسلبهم أموالهم وأهليهم ، فكتب ملك خوارزم إلى قتيبة يدعوه إلى أرضه ليسلّمها إليه ، على أن يمكّنه من أخيه وأصحابه ليحكم فيهم بما يرى .

ولم يُطلع ملك خوارزم أحداً من مرازبته على ذلك ، فأجابه قتيبة إلى ما طلب ، وتجهّز للغزو .

وأظهر أنه يريد الصُّغد، فأقبل أهل خوارزم على شأنهم ، ولم يحتفلوا بغزوه وفجأة نزل قتيبة بجيشه قريباً من خوارزم ، فجاء أصحاب ملك خوارزم إلى ملكهم ودعوه للقتال ، فقال : « ليس لنا به طاقة ، ولكن نصالحه على شيء نعطيه كما فعل غيرنا » ، فوافقوه .

وسار ملك خوارزم حتى نزل بمدينة (الفيل) – وكانت مدينة خوارزم وهي أحصن بلاده ، فصالح قتيبة على عشرة آلاف رأسٍ وعينٍ ومتاع ، وعلى أن يعينه على (خام جرد) ، فقبل قتيبة ذلك ، وقيل : صالحه على مئة ألف رأس .

وبعث قتيبة أخاه عبدالرحمن إلى (خام جرد) ، وكان يُغازى ملك خوارزم ، فقاتله وقتله وغلب على أرضه .

وسلّم قتيبة إلى ملك خوارزم أخاه ومَن كان يخالفه من أمرائه ، فقتلهم ودفع أموالهم إلى قتيبة .

٧– وفي سنة ثلاث وتسعين الهجرية (٧١١ م) أيضاً ، سار إلى (سمرقند) فبعد أن قبض صلح خُوارزم ، قامَ إليه المُجشّر بن مُزاحِم السُّلَمِيّ وقال له سِرّاً : « إن أردت الصُّغد يوماً من الدّهر ، فالآن ، فانّهم آمنون من أن تأتيهم من عامك هذا ، وإنما بينك وبينهم عشرة أيام » . فقال قتيبة : « أشار بهذا عليك أحد ؟ ؟ » ، قال « لا ! » ، قال : « فأعلمته أحداً ؟ ؟ » ، قال : « لا ! » فقال قتيبة : « والله لئن تكلّم به أحد ، لأضربنّ عنقك » .

وأقام قتيبة يومه ذلك ، فلما أصبح من الغد ، دعا أخاه عبدالرحمن وقال : « سِرْ في الفرسان والرماة ، وقدِّم الأثقال إلى (مرو)» ، فوجّه الأثقال إلى (مرو) ، ومضى عبدالرحمن يتبع الأثقال يريد (مرو) يومه كلّه ، فلما أمسى كتب إليه قتيبة : « إذا أصبحتَ ، فوجِّه الأثقال إلى (مرو) ، وسِرْ بالفرسان والرماة نحو الصُّغد ، واكتم الأخبار ، فإني بالأثر » .

وبلغ قتيبة الصُّغد بعد عبدالرحمن بثلاثة أيام أو أربعة ، وقدّم معه أهل خوارزم وبخارى ، فحصرهم شهراً ، وقاتلهم في حصارهم مراراً من وجه واحد .

وكتب أهل الصُّغد إلى ملك الشّاش وملك فَرْغَانة : « إنّ العرب إن ظفروا بنا عادوا عليكم بمثل ما أتونا به ، فانظروا لأنفسكم ، ومهما كان عندكم من قوّة فابذلوها » .

واستقرّ رأيا ملكي الشّاش وفرغانة على إمداد أهل الصُّغد ، فأرسلوا إليهم : « أرسلوا مَن يشغلهم حتى نبيِّت عسكرهم » ، وانتخبوا من أولاد الملوك وأهل النجدة من أبناء المرازبة والأساورة والأبطال ، وأمرهم أن يأتوا عسكر قتيبة ويبيِّتوه ، لأنه مشغول عنهم بحصار سمرقند .

وبلغ قتيبة الخبرُ ، فانتخب من عسكره اربعمائة مجاهد ، وقيل : ستمائة مجاهد من أهل النّجدة والشّجاعة وأعلمهم الخبر ، وأمرهم بالمسير إلى عدوِّهم ، فساروا وعليهم أخوه صالح بن مسلم ، ونزلوا على فرسخين من العسكر على طريق القوم .

وأرسل صالح عيونه ، فأخبروه أنّ العدو سيصل إليه ليلاً ، ففرّق خيله ثلاث فرق: جعل كمينين في موضعين ، وأقام هو وبعض فرسانه على قارعة الطريق.

وطرقهم العدو ليلاً وهم لا يعلمون بمكان صالح ، وهم آمنون في أنفسهم من أن يلقاهم أحد دون العسكر ، فلم يعلموا بصالح حتى غشوه ، فشدّوا على قوّته حتى إذا اختلفت الرماح بينهم خرج الكمينان فقاتلوا العدوّ . قال أحدهم : « إنّا لنقاتلهم إذ رأيت تحت اللّيل قتيبة وقد جاء سرّاً ، فضربتُ ضربة أعجبتني ، فقلت : كيف ترى بأمي وأبي ؟ ! فقال : اسكت ! فضّ الله فاك » .

واستطاع فرسان صالح أن يتغلّبوا على عدوِّهم ، فلم يفلت منهم إلاّ الشّريد ، وأسروا بعض الأسرى ، وغنموا خيلهم وسلاحهم .

وعلم الصُّغد باندحار القوّة التي جاءت مدداً لهم ، فأثّر ذلك في معنوياتهم أسوأ الأثر .

٨- ونصب قتيبة حول سمرقند المجانيق ، فرماها بها وثام ثامة فسدّوها بغرائر الدُّخُن ، وقام عليها رجل ، فشتم قتيبة . وكان مع قتيبة قوم رماة ، فأمر قتيبة رجلاً منهم رمى شاتمه ، فلم يخطئْ عينه .

وسمع قسم من المسلمين قتيبة وهو يناجي نفسه بقوله: « حتى متى يا سمرقند، يعشعش فيك الشيطان لي؟ ! أما والله لئن أصبحتُ لأُحاولنّ من أهلك أقصى غاية » .

وأصبح قتيبة ، وميّز أهل البأس، فجمعهم يعرضهم بنفسه . ودعا العرفاء ، فجعل يدعو برجل ، فيقول : « ما عندك ؟ » ، فيقول العريف : « شجاع » ، ويقول : « ما هذا ؟ » ، فيقول : « مختصراً » ، ويقول : « ما هذا ؟ » ، فيقول « جبان ! » ، فأخذ قتيبة خيل الجبناء وجيِّد سلاحهم ، وأعطاه الشجعان والمختصرين ، وترك للجبناء رثّ السِّلاح .

وأمر الناس بالجدّ في القتال ، فقاتلوهم أشدّ القتال .

وأمرهم قتيبة أن يبلغوا ثلمة المدينة قائلاً : « ألحّوا عليهم حتى تعبروا على الكلمة فقاتلوهم حتى صاروا على ثلمة المدينة .

ورماهم الصُّغد بالنّشاب ، فوضعوا أترستهم على وجوههم ولم يبرحوا ، فأرسل الصُّغد إلى قتيبة مَن يقول له : « انصرف عنّا اليوم ، حتى نصالحك غداً» ، فقال قتيبة : « لا نصالحهم إلاّ ورجالنا على الثلمة » ، وقيل بل قال : « جزع العبيد ! انصرفوا على ظفركم » . .

وصالحهم قتيبة من الغدِ على ألفي ألف ومائتي ألف مثقال في كلّ عام ، وأن يعطوه تلك السنة ثلاثين ألف فارس ، وأن يخلوا المدينة لقتيبة فلا يكون لهم

فيها مقاتل ، فيبني فيها مسجداً ، ويدخل ويصلي ويخطب ويتغدىّ ويخرج .

وتمّ الصلح ، وأخلوا المدينة ، وبنوا المسجد ، فدخل قتيبة سمرقند في أربعة آلاف انتخبهم ، فصلّى في المسجد ، وخطب ، وأكل طعاماً ، ثمّ أرسل إلى الصُّغد : « مَن أراد منكم أن يأخذ متاعه فليأخذه ، فإني لست خارجاً منها ، ولست آخذ منكم إلاّ ما صالحتكم عليه ، غير أنّ الجند يقيمون فيها » .

وقيل : إنّه شرط عليهم في الصلح مئة ألف فارس وبيوت النيران وحلية الأصنام ، فقبض ذلك ، فكانت كالقصر العظيم ، فأخذ ما عليها وأمر باحراقها ، فجاءه (غوزك) ملك الصُّغد ، فقال : « إنّ شكرك عليّ واجب! لا تتعرّض لهذه الأصنام ، فإنّ فيها أصناماً مَن أحرقها هلك ! ! » ، فقال قتيبة : « أنا أحرقها بيدي » ، فدعا بالنّار ، ثم كبّر ، وأشعلها ، فاحترقت ، فوجدوا من بقايا مسامير الذّهب خمسين ألف مثقال ! !

وصنع (غوزك) طعاماً ، ودعا قتيبة ، فأتاه في عددٍ من أصحابه ، فلما تغدّى قال للملك : « انتقل عنها » ، يعني عن سمرقند ، فانتقل(غوزك) عنها .

وأرسل قتيبة إلى الحجّاج بفتح سمرقند ، ثم رجع إلى (مرو) .

وكان أهل خراسان يقولون : إنّ قتيبة غدر بأهل سمرقند ، فملكها غدراً .

٩- وفي سنة أربع وتسعين الهجريّة (٧١٢ م) ، قطع قتيبة نهر جيحون ، وفرض على أهل بخارى وكِش ونَسَف وخُوارزم عشرين ألف مقاتل ، فساروا معه فوجّههم إلى الشّاش ، وتوجّه هو إلى فرغانة .

واصطدم قتيبة بالعدو في (خُجَنْدَة) حيث جمع له أهلها ، فلقوه واقتتلوا مراراً ، في كلّ مرة يكون الظفر للمسلمين .

وفتح الجند الذين ساروا إلى الشّاش الاقليم وهذه المدينة وأحرقوها،ثمّ رجعوا إلى قتيبة ، فرجع بالنّاس إلى (مرو) .

١٠- وبعث الحجّاج سنة خمس وتسعين الهجرية (٧١٣ م) إلى قتيبة جيشاً من العراق ، فغزا بهم ، فلما كان بالشّاش أتاه موتُ الحجّاج ، فغمّه ذلك وقفل راجعاً إلى (مرو) .

وتفرّق الناس ، فخلّف في بخارى قوماً ، ووجّه قوماً إلى كِش ّ ونَسَف.

وفي (مرو) أتاه كتاب الوليد بن عبدالملك : « وقد عرف أمير المؤمنين بلاءك وجدّك واجتهادك في جهاد اعداء المسلمين ، وأمير المؤمنين رافعك وصانع بك الذي يجب لك ، فأتِمّ مغازيك ، وانتظر ثواب ربك ، ولا تغبْ عن أمير المؤمنين كتبُك ، حتى كأني أنظر إلى بلائك والثّغر الذي أنت فيه » .

١١- وفي سنة ست وتسعين الهجريّة (٧١٤ م) ، غزا قتيبة (كاشغر) وهي أدنى مدائن الصين ، فسار وحمل مع الناس عيالاتهم ليضعهم في سمرقند ، فلما عبر النهر استعمل رجلاً على معبر النهر ليمنع مَن يرجع من جنده إلاّ بجواز منه . . . ومضى إلى فرغانة ، وأرسل الى شِعْب يؤدي إلى (كاشغر) من يسهل الطريق إليها .

وبعث قتيبة مقدّمته إلى (كاشغر) ، فغنموا وسبوا .

وأوغل قتيبة حتى قارب الصّين ، فكتب إليه ملك الصّين : « إبعث إليّ رجلاً شريفاً يخبرني عنكم وعن دينكم » ، فاختار قتيبة اثني عشر رجلاً لهم جمال وألسن وبأس وعقل وصلاح ، وأمر لهم بعُدّة حسنة ومتاع حسن من الخز وغير ذلك وخيول حسنة ، وكان منهم هُبَيْرَة بن المُشَمْرَج الكِلابيّ مفوّهاً سايط اللّسان ، وقال لهم : « إذا دخلتم على ملك الصّين ، فأعلموه أني قد حلفتُ : أني لا أنصرف حتى أطأ بلادهم ، وأختم ملوكهم ، وأجبي خراجهم ».

وسار وفد قتيبة عايهم هُبَيْرَة ، فلما قدموا الصّين ، دعاهم ملكها ، فلبسوا ثياباً بياضاً تحتها الغلائل ، وتطيّبوا ولبسوا النّعال والأردية ، ودخلوا عليه

عظماء قومه ، فجلسوا فلم يكلِّمهم الملك ولا أحد ممن عنده . وقال الملك لمن حضره بعد انصراف الوفد : « كيف رأيتم هؤلاء ؟ ! » ، فقالوا : « رأينا قوماً ما هم إلاّ نساء ! ما بقى منا أحد حين رآهم ووجد رائحتهم إلاّ انتشر ما عنده » .

وفي غدٍ دعاهم ، فلبسوا الوشي وعمائم الخز والمطارف (أبسة من خز مربعة لها أعلام) وغدوا عليه ، فلما دخلوا قيل لهم : « ارجعوا » . وقال الملك لأصحابه : « كيف رأيتم هذه الهيئة ؟ » ، فقالوا : « هذه أشبه بهيئة الرجال من تلك » .

وفي اليوم الثالث دعاهم ، فشدّوا سلاحهم ولبسوا البَيْض (الخُوَذُ) والمغافِر (جمع مِغْفَر وهو زرد ينسج على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة) وأخذوا السيوف والرماح والقِسِيّ وركبوا ، فنظر إليهم ملك الصِّين ، فرأى أمثال الجبال مقبلة - فلما دنوا ركَزوا رماحهم ثم أقبلوا نحوهم مشمِّرين ، فقيل لهم قبل أن يدخلوا : « ارجعوا » ، لِمَا دخل في قلوبهم من خوفهم ، فانصرفوا راكبين خيولهم ، وأخذوا رماحهم ، ودفعوا خيلهم كأنهم يتطاردون ، فقال الملك لأصحابه : « كيف ترونهم ؟ ! » ، فقالوا : « ما رأينا مثل هؤلاء ! ! » .

وفي مساء نفس اليوم ، بعث ملك الصين إليهم : « ابعثوا إليَّ زعيمكم » ، فبعثوا إليه هُبَيْرَة ، فقالوا له : « قد رأيتم عظم ملكي ، وأنه ليس أحد يمنعكم مني ، وأنت في يدي بمنزلة البيضة في كفي ، وإني سائلكم عن أمرٍ ، فإن لم تصدقوني قتلتكم» . فقال : « اسأل » ، فقال: لِما صنعتم ما صنعتم في الزيّ في الأول والثاني والثالث ؟ » ، فقال : « أما زيّنا الأول ، فلباسنا في أهالينا وريحنا عندهم . وأما يومنا الثاني فإذا أتينا أمراءنا . وأما الثالث فزيّنا لعدوّنا». فقال : « ما أحسن ما دبّرتُم دهركم ، فانصرفوا إلى صاحبكم ، فقولوا لـه ينصرف ، فإني قد عرفت حرصه وقلّة أصحابه وإلاّ بعثت عليكم مَن يهلككم ويهلكه » ، فقال هبيرة: « كيف يكون قليل الأصحاب مَن أول خيله في بلادك

وآخرها في منابت الزيتون ؟ ! وكيف يكون حريصاً مَن خلّف الدنيا قادراً عليها وغزاك ؟ ! وأما تخويفك لنا بالقتل ، فإنّ لنا آجالاً إذا حضرت فأكرمها القتل ، فلسنا نرهبه ولا نخافه ! ! » . قال : « فما الذي يرضى صاحبك ؟ » ، قال : « إنه قد حلف ألاّ ينصرف حتى يطأ أرضكم ويختم ملوكهم ويُعطى الجزية » ، قال الملك : « فإنّا نخرجه من يمينه : نبعث إليه بتراب من تراب أرضنا فيطأه ، ونبعث أبناءنا فيختمهم ، ونبعث لهم بجزية نرضاها » .

ودعا الملك بصحاف من ذهب فيها تراب ، وبعث بحرير وذهب وأربعة غلمان من أبناء ملوكهم ، ثم أجاز الوفد فأحسن جوائزهم ، فقدموا على قتيبة ، فقبِل الجزية ، وختم الغلمان وردّهم ، ووطئ التراب .

وفي هذه الغزاة ، وصل الخبر إلى قتيبة بموت الوليد بن عبدالملك وتولي سليمان ابن عبدالملك مكانه ، فعاد قتيبة أدراجه ، فقتل في فرغانة .

فتح عبدالرحمن بن مسلم الباهلي

١ــ كان عبدالرحمن من أقوى أعوان أخيه وأخلصهم ومن أبرز قادته الذين عاونوه في تحمّل أعباء واجباته قائداً فاتحاً وإدارياً .

وقد شهد عبدالرحمن تحت لواء أخيه قتيبة غزواته كافة قائداً مرؤوساً تحت إمرة قتيبة تارة ، وقائداً مستقلاً تارة أخرى .

ففي سنة ثمان وثمانين الهجرية (٧٠٦ م) ، سار قتيبة إلى (ارميِثْن) بالقرب من بخارى فصالحه أهلها .

وانصرف قتيبة إلى (مرو) ، وفي طريق عودته زحف إليه الترك ومعهم الصُّغد وأهل فَرْغَانة في مائتي ألف بقيادة ملك الترك (كوربغانيون) ابن أخت ملك الصِّين ، فهدّدوا السّاقة التي كانت بقيادة عبدالرحمن . وكان بين الساقة وقتيبة الذي كان على رأس (القسم الأكبر) من الجيش ميل واحد ، فلما

قربوا من السّاقة ، أرسل عبدالرحمن رسولاً إلى قتيبة يخبره بزحف الترك ، ولكن الترك هاجموا السّاقة في أثناء ذلك وقاتلوه .

وأتى الرسول قتيبة ، فرجع بالناس ، وانتهى إلى السّاقة وهي مشتبكة بالقتال ، وقد كاد الترك يسحقونها سحقاً ، فلما رأى الناس قتيبة طابت أنفسهم فصبروا وقاتلوا إلى الظهر ، حتى انهزم الترك .

٢- وفي سنة تسعين الهجرية (٧٠٨ م) وسنة إحدى وتسعين الهجرية (٧٠٩ م) ، كان لعبدالرحمن نشاط مرموق في القضاء على انتقاض (نِيـْزَك) ملك طخارستان ، واستعادة السيطرة على هذه البلاد ، وقتل (نيزك) في آخر المطاف .

وفي هذه السنة أيضاً ، أي سنة إحدى وتسعين الهجريّة ، سيّر قتيبة أخاه عبدالرحمن إلى الصُّغد وملكها طرخون ، فقبض عبدالرحمن من طرخون ما كان صالحه عليه قتيبة ورجع إلى (مرو) .

٣- وفي سنة ثلاث وتسعين الهجرية (٧١١ م) ، صالح قتيبة ملك (خُوارِزْم) على أن يعينه على (خام جرد) أحد ملوك منطقة من مناطق خوارزم ، وكان يعادي ملك خوارزم ويسبّب له المشاكل ويغازيه .

وبعث قتيبة عبدالرحمن إلى بلاد الملك (خام جرد) في خوارزم ، فقاتل عبدالرحمن (خام جرد) وقتله وغلب على أرضه .

٤- وفي سنة ثلاث وتسعين الهجرية (٧١١ م) أيضاً ، دعا قتيبة أخاه عبدالرحمن بعد صلح خوارزم ، وقال له : « سِرْ في الفرسان والرماة ، وقدّم الأثقال إلى مرو » ، فوجّه عبدالرحمن الأثقال إلى مرو ، ومضى يتبع الأثقال يريد مرو أيضاً ، فأمضى اليوم كله ، فلما أمسى كتب إليه قتيبة : « إذا أصبحت فوجّه الأثقال إلى مرو ، وسِرْ بالفرسان والرماة نحو الصُّغد ، واكتم الأخبار ، فإنّي بالأثر » .

وبلغ قتيبة (الصُّغد) بعد عبدالرحمن بثلاث ليالٍ أو أربع ، وبعد قتال عنيف وحصار طويل ، صالحهم قتيبة ودخل (سمرقند) .

فتح صالح بن مُسْلِم الباهِلِيّ

١ــ كان صالح السّاعد الأيمن لأخيه قتيبة ، شهد معه معاركه التي خاضها كافة في الفتوح .

ففي سنة ست وثمانين الهجرية (٧٠٥ م) ، انصرف قتيبة إلى (مرو) بعد استعادة طخارستان ، فاستخلف على الجند أخاه صالحاً ، ففتح صالح بعد رجوع قتيبة إلى (مرو) مساحات شاسعة من إقليم (فَرْغانة) : (كاشان) و (أورشت) و (أَخْسِيْكَث) بما وراء النهر .

٢ــ وفي سنة إحدى وتسعين الهجرية (٧٠٩ م) ، سار قتيبة إلى (شُوْمان) لتأديب ملكها الذي طرد عامل المسلمين من شومان ، فلما أتاه أرسل أخاه صالحاً إلى ملكها ، وكان صالح صديقاً للملك ، فأمره بالطّاعة وضمن له رضا قتيبة إن رجع إلى الصلح ، ولكن الملك أبى وقال : « تخوِّفني من قتيبة، وأنا أمنع الملوك حصنا ؟ ؟» ، فأتاه قتيبة وقد تحصّن ببلده ، فوضع عليه المجانيق ورمى الحصن فهشمه .

وخاف الملك أن يظهر عليه قتيبة ، فجمع ما في الحصن من مال وجوهر ، ورمى به في بئر بالقاعة لا تدرك ، ثمّ فتح باب القلعة وخرج إلى المسلمين فقاتلهم حتى قُتِل .

٣ــ وفي سنة ثلاث وتسعين الهجرية (٧١١ م) قصد قتيبة الصُّغد بعد أن صالح خُوارِزْمشاه وقبض صلح خُوارِزْم ، فأمّد أهلَ الشّاش وفَرْغانة أهل الصُّغد ، وأرسلوا إليهم : « أرسلوا مَن يشغلهم ، حتى نبيِّت عسكرهم » ، وانتخبوا من أولاد الملوك وأهل النجدة من أبناء المرازبة والأساورة والأبطال ، وأمروهم أن

يأتوا عسكر قتيبة ويبيّتوه ، لأنه مشغول عنهم بحصار سَمَرْقَنْد .

وبلغ قتيبة الخبر ، فانتخب من عسكره أربعمائة رجل ، وقيل : ستمائة رجل من أهل النجدة والشّجاعة ، وأعلمهم الخبر ، وأمرهم بالمسير إلى عدوّهم . وسار هؤلاء الرجال المنتخَبون وعليهم أخوه صالح ونزلوا على فرسخين من معسكر أعدائهم على طريق القوم .

وأرسل صالح عيونه ، فأخبروه أنّ العدو سيصل إليهم ليلا .

وفرّق صالح خيله ثلاث فرق : جعل كمينين في موضعين ، وأقام هو وبعض فرسانه على قارعة الطريق .

وطرقهم العدو ليلاً وهم لا يعلمون بمكان صالح ، وهم آمنون في أنفسهم من أن يلقاهم أحد دون معسكر قتيبة ، فلم يعلموا بصالح حتى غشوه .

وشدّ العدو على فرسان صالح ، حتى إذا اختلفت الرماح بينهم ، خرج الكمينان اللّذان جعلهما صالح في موضعين مختلفين حسب الخطّة المرسومة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً .

واستطاع فرسان صالح أن يتغلّبوا على عدوّهم ، فلم يفلت منهم إلاّ الشريد ، وأسروا بعض الأسرى ، وغنموا خيلهم وسلاحهم .

وعلم الصُّغد باندحار القوّة التي جاءت مدداً لهم ، فأثّر ذلك في معنوياتهم تأثيراً سيئاً وفتّ في عضدهم ، مما اضطرهم الى الصلح .

ودخل المسلمون سمرقند صلحاً ، وكان لصالح في فتح هذه المدينة أثر كبير .

عبرة الفتح واستعادة الفتح

كثيراً ما قرأنا في كتب المؤرخين الأجانب وبحوثهم ، أنّ أسباب انتصار الفاتحين في الفتح واستعادة الفتح هو : « لعدم وجود جيش منظّم قوي يستطيع صدّ الفتح الإسلاميّ ويحمي البلاد المفتوحة ، ولأنّ الحرب السّاسانيّة البيزنطيّة

قد استنزفت قوى الدواتين ، وأنّ مصاولة الفاتحين اقتصر على السكّان المحليين بطاقاتهم المحدودة » ، كما يردِّد قسم من المستشرقين المغرضين ويردّد أعداء العرب والمسلمين من المؤرخين الأجانب .

ومن المؤسف حقاً ، أنّ قسماً من المؤرخين العرب والمسلمين ، نقلوا نقلاً حرفياً بكل أمانة ، مزاعم أولئك الأعداء والمغرضين إلى المدارس والمعاهد العربية والإسلامية والجامعات ، فسمّموا بها أفكار التلاميذ العرب والمسلمين والطلاّب والقرّاء بمزاعم باطلة لا يقرِّها المنطق ولا يصدِّقها العقلُ وتناقض وقائع التاريخ .

والهدف من هذه المزاعم ، هو التهوين من شأن الفتح الإسلامي الذي يعتبره المسلمون من أول مفاخرهم ، والتهوين من شأن الفاتحين باعتبار أنّ الفتح كان سهلاً يستطيع النهوض به غيرهم ، والتهوين من أثر الإسلام عقيدة بدّلت العقول والنفوس من حال إلى حال .

وبمجرد قراءة فتح بلاد ما وراء النهر وحدها ، نجد مثالاً حيّاً عملياً ينطبق على فتوح البلاد الأخرى ، يوضِّح ما عاناه المسلمون في الفتح واستعادة الفتح ، فقد لاقى المسلمون مقاومة عنيفة جداً ، ولم يحقِّقوا النصر إلاّ بالتضحيات الجسام.

لقد قاومت البلاد المفتوحة بضراوة وعنف شديدين ، ولعلّ من أسباب تلك المقاومة : مناعة البلاد الطبيعية والاصطناعية ، وتفوّق المقاومين من أهل البلاد على الفاتحين عَدَداً وعُدَداً ، والدفاع عن النّفس والعقيدة والتقاليد ، ودفاع الحكّام عن سلطتهم وسلطانهم .

كما أنّ طول خطوط مواصلات المسلمين ، وتغلغلهم بعيداً عن قواعدهم الرئيسة والأماميّة والمتقدِّمة ، ساعد أعداءهم على مقاومتهم بشدّة وعنف .

لقد كانت كلّ العوامل العسكرية المتميِّزة إلى جانب أعداء المسلمين ، ولكنّ المسلمين كانوا متفوِّقين على أعدائهم بالعقيدة الراسخة ، فكانت انتصاراتهم انتصارات عقيدة بلا مراء .

وفي الوقت الذي كان غزو الإسكندر المقدوني والفُرس والرُّوم والتتار والاستعمار الحديث سحابة صيف ، لأنه ليس فتحاً بل استعباداً ، بقي الفتح الإسلامي فتحاً مستداماً في أيام قوّته وأيام ضعفه أيضاً ، وسيبقى واضح المعالم بارز الأثر في البلاد المفتوحة ما بقي التاريخ والبشَر في الأرض ، لانه فتح مبادئ لافتح سيوف ، والمبادئ تبقى والقوّة تزول .

إنّ الفتح الإسلامي ، واستعادة الفتح ، لم يكن نزهة للترفيه كما يصوّره المغرضون والحاقدون والجهلة ، وكما يردده المستشرقون والمستغربون ، بل كان فتح عقيدة راسخة منشئة بنّاءة ذاد عنها حماة قادرون من قادة الفتح وجنوده وقادة الفكر وجنوده معاً .

تلك هي العبرة الأولى ، تفضح ادعاءات أعداء العرب والمسلمين ومَن سار على نهجهم من العرب والمسلمين عمداً أو جهلا .

والعبرة الثانية ، هي أنّ المسلمين لا يُكرهون غيرهم على اعتناق الإسلام، فقد بقيت (الخاتون) مثلاً على دينها خمسين سنة تحكم في ظلّ الفتح الإسلامي ، ومن الواضح أنّ المسلمين كانوا يستطيعون إكراهها على اعتناق الإسلام ، وكانت تستجيب للوعد والوعيد ، ولكنهم لم يفعلوا ، ولن يفعلوا : (لا إكراه في الدِّين ، قد تَبَيَّنَ الرُّشْدُ من الغَيِّ) .

وقد اعتنق ابن الخاتون الإسلام من بعدها ، وقاتل مع المسلمين ، وسمّى ابنه : قتيبة ، ولم يذكر أحدُ أنه أُجبر على اعتناق الدين الجديد .

وكان بإمكان المسلمين الفاتحين إكراه الأُمم المغلوبة على أمرها لاعتناق الدين الإسلاميّ ، ولكنهم لم يفعلوا . وأكبر دليل على تسامح المسلمين وتطبيقهم مبدأ : حريّة العقيدة ، هو بقاء كثير من الأديان الغابرة التي كانت قبل الإسلام موجودة حتى اليوم في بلاد المسلمين المفتوحة وبين مجتمع الأغلبيّة من المسلمين الفاتحين .

وإذا صحّ افتراء المغرضين المتهافت ، أنّ الإسلام انتشر بالسيف في البلاد المفتوحة ، فكيف إذاً انتشر هذا الدين في البلاد غير المفتوحة في الشرق والغرب ؟! مع العلم أنّ تَعداد المسلمين في البلاد غير المفتوحة ، هي أكبر من تعدادهم في البلاد المفتوحة ، كما تدل على ذلك أحدث الاحصائيات .

وكيف أصبح التتار مثلاً مسلمين بعد أن اكتسحوا البلاد الإسلامية ، وكانوا هم الغالبين ، وكان المسلمون هم المغلوبين ؟ ! .

وحين انتصر الإسبان في الأندلس على المسلمين ، أجبروا المسلمين على التنصّر بالقسر والضغط والشدّة ومحاكم التفتيش ، كما يشهد على ذلك كلّ المؤرخين الأسبان والأجانب ، ولا نقول كما يشهد المؤرخون العرب والمسلمون !

ولو كان المسلمون يُكرهون أحداً على الإسلام ، لما بقي الإسبان النصارى في الأندلس يعيشون مع المسلمين بضعة قرون ، ثم استطاعوا استعادة الأندلس من المسلمين بعد أن غيّر المسلمون ما بأنفسهم ، فلم يبقوا أهلاً للسيادة كما كان أسلافهم الفاتحون .

إنّ المسلمين يعرضون الإسلام على غير المسلمين بالحكمة والموعظة الحسنة والحسنى والقدوة والتشجيع وبناء المساجد ، كما فعل قتيبة بن مُسلْم مع أهـل بُخارى مثلاً ، وكما فعل غيره من المسلمين .

إنّ المسلمين حملوا الإسلام إلى الأمم الأخرى بالفتح .

ولكنهم لم يحملوا الناس على الإسلام بهذا الفتح .

والعبرة الثالثة ، أنّ الفتح واستعادة الفتح يقوى ويشتدّ ويعلو مَدُّه حين تشمل الوحدة المسلمين : يقاتلون تحت قيادة موحّدة واحدة ، لتحقيق هدف موحّد واحد ، هو إعلاء كلمة الله ، ونشر المُثُل العليا بين الناس .

وأنّ البلاد المفتوحة تنتقض وتضطرب ويسودها الفوضى والفتن ، حين يختلف المسلمون وتتفرّق صفوفهم ، فيقاتلون تحت قيادات شتّى ، لتحقيق أهداف شتّى.

إنّ سيوفهم بالوحدة ، تكون لهم على أعدائهم .
وسيوفهم بالفُرقة ، تكون عليهم لا على أعدائهم .

وقد توقّف الفتح واستعادة الفتح أيام تفرّق المسلمين ، وكانت خسائرهم بالأرواح في اقتتالهم الداخليّ ، أضعاف خسائرهم بالأرواح في قتال أعدائهم للفتح واستعادة الفتح .

وإحصاء الخسائر في معارك الفتن الداخليّة والاضطرابات المحلية ، التي سجّاها المؤرخون القُدامى ، خير دليل .

تلك هي مجمل عبرة فتح بلاد ما وراء النهر واستعادة فتحها ، وهي تنطبق على سائر الفتوح واستعادة الفتوح شرقاً وغرباً .

فما أحرانا أن نستوعب هذه العبرة استيعاباً (عمليّاً) لا (نظريّاً) ، ونأخذ منها الدروس لحاضرنا ومستقبلنا عرباً ومسلمين .

ولا أريد أن أشقّ على أحد ولا أن أكلّف أحداً فوق ما يطيق .

إنّ الذي أرجوه من إخوتي المؤرخين العرب والمسلمين ، هو أن يعودوا إلى مصادرنا التاريخيّة المعتمدة ، قبل أن ينقلوا عن الأجانب ، فلا يفهم القضايا العربية الإسلامية كالعربيّ المسلم ، فإذا استوثق مما سطّره الأجنبيّ فهماً وحقائق ، فلا بأس من نقله ونشره ، وإذا كان الفهم سقيماً والحقائق مشوّشة جرّاء سوء الفهم أو جرّاء إشاعة الكذب والدس ، فلا أقلّ من فضحها بالحقائق النّاصعة والفهم السليم ، وإلاّ فالسكوت عنها وهذا أضعف الإيمان .

إنّ للمغرضين من الأجانب أهدافاً مفضوحة في تشويش التاريخ العربيّ الإسلامي تسوّغ لهم قلب الحقائق رأساً على عقب .

فما هو المسوّغ لنقل تلك الافتراءات والأكاذيب عن أولئك المغرضين بالنسبة للمؤرخ العربي المسلم ؟ !

أخشى ألاّ يكون المسوّغ غير الجهل المطبق ، أو تلويث عقول الناقلين ! !

النَّبات في المعجمات العربيّة

الشيخ محمد حسن آل ياسين
(عضو المجمع)

(القسم الرابع)

(حرف الزاي)

النّبات	
الأَرْزُ :	شَجَرُ الصَّنَوْبَرَ ، وقيل : هو ذَكَرُه الذي لا يُثْمِر ، وهو شجر يطول طولاً شَديداً ويغلظ . ويستخرَجُ من أعْجاز الأَرْز وعُروقِه الزِّفْتُ ، ويستَصْبَح بخَشَبه كما يستصبح بالشّمع ، وأكثر ما يستعمل هذا الزِّفت في تزفيت المَراكب ، لأن القارَ لا يقاوِم ماءَ البحر ؛ ينتثر ، والزِّفت يقاومه . فأمّا الزِّفْتُ الذي يقع في الأدوية فليس منْ هذا ، ذاك شيء يخرج من الأرض . وقد ظَنّ بعضهم ان القَطِرانَ هو عصير ثمر الصَّنَوْبر ، وانما هو اسْمُ لَوْزِه وان شجرته سُمِّيتْ صنوبراً به . وقيل : الأَرْزُ هو العَرْعَر . وعَرَّف بعضهم الأَرزةَ بأنها شَجَرَةُ الأَرْزَنِ .

الأُرْزُ	:	نبات معروف ينبت بأرض العرب ، وهو عندهم ضَرْبٌ من البُرِّ ، وهو أنواع : مصري وفارسي وهندي ، وأجوده المصري ، ويقال لما يُسْحَل من قِشْره : السُّحَالة . ويسمّى هذا النبات الأرُزّ والأُرُزّ والأُرُز والرُّزّ والرُّنْز أيضاً .
التُّوزُ	:	شَجرٌ .
الجَرَازُ	:	نباتٌ يظهر مثل القَرْعَةِ ، لا ورق له ، ثم يعظم حتى يكون كانسانٍ قاعدٍ ، ثم يدقُّ رأْسُه ويتفرّق وينوّر نَوْراً كالدُّفْلى ، تبهج من حُسْنه الجبال وهي منابته ، ولا يُرْعى ولا ينتَفَع فيه ، وهو رِخْوٌ مثل الدُّبّاء يُرْمى بالحجر فيغيب فيه .
حَبَا جُعَيْزان	:	نبتٌ ، وقد سبق ذكره في حرف الراء باسم (حَبا جُعَيْران) .
الجِلَّوْزُ	:	نبتٌ له حَبٌّ الى الطُّول ما هو ، ويؤكَل مُخُّه ، شبه الفُسْتُق . وقيل : هو ضَرْبٌ من البُنْدُق أو البُنْدُق نفسه . وقيل : هو حَبُّ الصَّنَوْبَر الكِبَارُ .
الجُمْزَانُ	:	ضَرْبٌ من التَمْر .
الجُمَّيْزُ	:	ضَرْبانِ : ضَرْبٌ منه هو شجرٌ عظام يحمل حملاً كالتّين في الخلقة ، ويعظُم عظمَ الفِرْصاد ، وورقته أصغر من ورقة التّين ، وتينُها صغــار أصفر وأسود ، ويسمّى التينَ الذَّكَر ، والأصفر

منه حلو ، والأسود يُدْمي الفمَ ، وليس لتينها علاقة ، وهو لاصقٌ بالعُود .

وضَرْبٌ آخَرُ منه هو تين حلو رطبٌ له معاليق طوال ، ويزبب ، ويقال له : تين الجُمَّيْز .

الجَوْزُ : ثَمَرٌ معروف ، وهو الذي يؤْكَل ، وشَجَرُه كثير بأرض العرب من بلاد اليمن ، ورائحة ورقه طيبة ، يُحْمَل ويُرَبّى ، وبالسّروات شجرُ جَوْزٍ لا يُرَبّى وقيل : هو الضَّبِرُ ، وخَشَبُه موصوف بالصَّلابة والقوَّة . ويسمّى الجَوْزُ الخَسْفَ بلُغَة اهل الشّحر .

جَوْزُ القَيْءِ : ثَمَرٌ يشبه الخَرْبَقَ الأبيض ، وهو من الأدوية .

جَوْزُ ماثِلٍ : مُخَدِّر ، عليه شَوْك صغار غلاظ ، وحَبُّه كحبّ الأُتْرُجّ ، وهو من الأدوية.

جَوْزُ بُوّى : هو في مقدار العَفْص ، سَهْلُ المَكْسَرِ ، رَقيقُ القِشْر ، طَيِّبُ الرائحة ، حادٌ ، وأجْوَدُه الأحمرُ الأسودُ القِشْرِ الرَّزِينُ . وهو من الأدوية.

الجَوْزَةُ : ضَرْبٌ من العِنَب ليس بعَظِيم الحَبِّ ، ولكنّه يصفرُ جداً اذا أيْنَعَ .

الحَوْفَزَانُ : نَبْتٌ .

الحِلِّزُ : ضَرْبٌ من الحُبُوب يُزْرَعُ بالشّام .
وقيل : هو ضَرْبٌ من الشّجَر صِغارٌ .

الحَمْزَةُ : بَقْلَةٌ حِرِّيفَةٌ في طَعْمِها لَذْعٌ لِلّسان .

الحَوْزَةُ	:	عِنَبٌ ليس بعَظيم الحَبِّ . وأظنُّه تصحيف (الجَوْزَة) التي تقدَّم ذكرُها .
الخُبّازى	:	نَبْتٌ معروفٌ ، من ذُكور البَقْل ، أصْغَرُ شَجَراً ووَرَقاً من الخطميِّ ، ويَنْضَمُّ ورقُهُ باللّيْل ، وهو بَقْلَةٌ عَريضَةُ الوَرَق ، لها ثَمَرَةٌ مُسْتَديرةٌ ، وعَدَّه بعضُهم نوعاً من المُلُوخِيّة ، والملوخيّة هو البُستانيُّ والخُبّازى هو البَرِّيُّ .
الخِرْبِزُ	:	البِطِّيْخُ .
الخَرَزَةُ	:	نباتٌ من النَّجِيْلِ ، تَرْتَفِعُ قَدْرَ الذِّراع ، خَضْراءُ ترتَفِع خيْطاناً من أصْلٍ واحِدٍ ، لا وَرَقَ لها ، لكنّها منظومةٌ من اعلاها الى أسفلها حَبّاً مُدَوَّراً أخْضَرَ في غير عِلاقة ، كأنّه خَرَزٌ منظومٌ في سِلْك . وهي تَقْتُلُ الابلَ ، ومَنابِتُها مَنابِتُ الحَمْض .
الخازِباز	:	بَقْلَتان : الدَّرْماءُ والكَحْلاءُ . وقيل : هو ثَمَرُ العُنْصُلَة .
الرُّزُّ	:	هو الأُرْزُ المارُّ الذكر .
الرِّزِيْزُ	:	نَبْتٌ يُصْبَغُ به .
الرُّنْزُ	:	لغةٌ في الأُرْزِ المتقدم الذكر .
السُّهْرِيْزُ	:	نَوْعٌ من التَّمْرِ معروفٌ ، يوجَد بالبصرة كثيراً أُخِذَ اسْمُه من حُمْرَةِ اللّون . ويقال له

السَّوَاديُّ والقُطَيْعاءُ ايضاً. ويجوز كسر السين منه .

الشِّيْنِيزُ : الحَبَّةُ السَّوْداءُ المعروفة ، ويقال له الشُّوْنِيز والشِّهنيز ايضاً .

الشُّهْرِيزُ : لُغَةٌ في التَّمْرِ السِّهْرِيز المارّ الذكر .

الشِّيْزى : شَجَرٌ خَشَبُه كأنّه خَشَبُ الجَوْز ، تُتَّخَذ منه الجِفانُ والقِصاعُ والبَكَر . وقيل : هو شجر الجَوْز . وقيل : هو الآبَنُوْسُ والساسَم .

العَجْوزُ : شَجَرٌ معروف .

العَجُوْزُ : ضَرْبٌ من التَّمْر .

العَرَزُ : ضَرْبٌ من أصغر الثُمام وأدَقٌّ شَجَرِه ، لـه وَرَقٌ صغار متفرِّق . وما كان من شجر الثُّمام من ضَرْبه فهو ذو أماصِيْخَ ، أمْصُوْخةٌ في جَوْف أمْصُوخة ، تنقلِعُ العُلا من السُّفَل انقِلاعَ العِفاص من رأسِ المُكْحُلة .
وقيل : هو الغَرَزُ بالغَيْن المعجمة ، وقيل : هو غيره .

العَفْزُ : الجَوْزُ الذي يُؤْكَلُ . ويُقال له العَفَازُ ايضاً .

العِلْهِزُ : نباتٌ ببلاد بني سُلَيْم ، له أصْلٌ كأصْلِ البَرْدِيّ .

العَنْقَزُ : المَرْزَنْجُوْشُ ، ويسمّى في اليَمَن : السَّفْسَفَ وقيل : ان العَنْقَزَ هو أصْلُ القَصَب الغَضّ . ويسمى العُنْقُزانَ ايضاً . ونصّ بعضهم على

ضم العين والقاف في العنقز بمعنى القَصَب ، واحتمل بعضهم أن يكون ذلك تصحيف العُنْقُر — بالراء المهملة — .

الغَرَزُ : الأسَلُ الذي تُتّخَذ منه الغَرابيلُ ، لا وَرَقَ له ، وقيل : له وَرَقٌ .
وقيل : هو ضَرْبٌ من الثُّمام أصغر منه ، ينبُت على شُطوطِ الأنهارِ وفي سهولة الأرض ، لا ورق له ، انما هي أنابيبُ مُرَكّبٌ بعضُها في بعض ، كل أُنبُوبةٍ منها أُمْصُوخة ، وهو من الحَمْضِ ، ويُعَدُّ من وَخيم المَرْعى ، وذلك انّ الناقة التي ترعاه تُنْحَر فيُوجَد الغَرَزُ في كَرِشِها مُتَمَيِّزاً عن الماء لا يَتَفَشّى ، ولا يُورِث المالَ قوّةً .

التّغاريزُ : الطّراثيثُ . وقيل : هي أطراف الطُّرْثُوث .
وقيل : هو نبتٌ غيرُه .

القَشْنِيزَةُ : عُشْبَةٌ ذاتُ جعْثِنَةٍ واسعة ، تُخَطِّر خِطَرَةً كثيرةً ، وتُورِقُ وَرَقاً كوَرَق الهِنْدِباء الصِّغار ، وهي خضراءُ حلوةٌ كثيرة اللّبَن ، يأْكُلُها الناسُ ، ويحبُّها الغَنَمُ جِدّاً .

القُعْفُوزُ : نبتٌ .

اللّوْزُ : ثَمَرٌ معروفٌ ، من المِزْج أي الذي لا يوصَل الى أكْلِه الاّ بكَسْرٍ ، وهو في بلاد العرب كثير ، ويسمّى القُمْرُوصَ ايضاً ، وهو على نَوْعَين : حُلْوٍ ومُرّ. ولكلٍّ من حُلوه ومُرّه فوائد طبية مجرّبة.

الماحُوزُ : نبتٌ طيِّب الرِّيح ، له وَرْدٌ أبيض ، يُشْبِه المَرْوَ الدِّقاقَ الوَرَقِ ، ويقال له : المَرْو الماحُوزيّ .

المازَّةُ : حِنْطَةٌ لا يكاد يُعْجَنُ دَقيقُها لرَخاوَتِه .

المَوْزُ : ثَمَرٌ معروف . وتنبُت المَوْزَةُ نباتَ البَرْديِّ ، ولها ورقة طويلة عَريضة تكونُ ثلاثةَ أذْرُع في ذِراعَيْنِ ، وترتفعُ قامَةً ، ولا تزال فِراخُها تنبُت حولها، كلٌ واحدٍ منها أصغر من صاحبه ، فاذا أجْرَتْ قُطِعَتِ الأُمُّ من أصْلِها وَطَلَعَ فَرْخُها الذي كانَ لَحِقَ بها فَيَصِير أمّاً ، وتبقى البَواقي فِراخاً . وقِنْوُه يَحْمِل من الثّلاثين الى خمسمائة مَوْزَةٍ .

الوَتْزُ : ضَرْبٌ من الشّجَر .

ما يتعلّق بالنبات:

الآرِزَةُ : الشّجرةُ الثابتة في الأرض ، وقد أرَزَتِ الشجرةُ : اذا ثبتتْ .

التّارِزَةُ : الحَشَفَةُ اليابِسَة ، وتَمْـرَةٌ تارِزَةٌ : أي حَشَفَةٌ يابسة .

التّيّازُ : الزَّرّاعُ .

الجُرْزَةُ : الحُزْمَة من القَتِّ ونحوه .

جِزَازُ الزَّرْعِ : حَصادُه وعَصْفُه . وجِزَازُ النّخْلِ : صَرْمُ التّمْرِ وقَطْعُه . وجَزَّ التّمْرُ : يَبِسَ . وأجَزَّ

النّخْلُ والبُرُّ : أي حانَ له أنْ يُجزَّ . واستَجزَّ البُرُّ : أي استَحْصَدَ .

المِجزُّ : ما يُجَزُّ به .

الجَمْزُ : ما يَبْقى في أصْل الطّلْع من الفُحّال .

الجُمْزَةُ : بُرْعُومُ النّبْت الذي فيه الحبّة .
وهي ايضاً : الكُتْلة من التّمْر دون الفِدْرَة .

المُحْتَجِزَةُ : النّخْلة التي تكون عُذُوقُها في قَلْبها .

حَزِيْزُ الحَمْضِ : عُقْدَتُه . وقيل : حَزِيْزُه ما نَبَتَ منه في غليظِ الأرض .

رُمّانَةٌ حامِزَةٌ : فيها حُموضَة .

تَمْرٌ خازٌّ : فيه شَيْءٌ من الحُموضة .

الخَزِيْزُ : العَوْسَجُ الجافُّ جدّاً ، ويُسمّى الرّطْبُ منه ضَرِيعاً .

خَنِزَ الطّعامُ : فسد وأنْتَنَ ، وكذلك التّمْرُ والجَوْزُ .

المَرَزَّةُ : الموضعُ الذي يُجْمَع فيه الأُرْزُ ؛ كالكُدْسِ للقَمْحِ .

الرِّكْزَةُ : الفَسِيلةُ التي تُجْتَثُّ من الجِذْع فتُغْرَس .

المُرْتَكِزُ : من يابس الحَشِيش ، وذلك أنْ تَرى ساقاً وقد طارَ عنها وَرَقُها وأغصانُها .

المِشْلَوْزُ : المِشْمِشَةُ الحُلوةُ المُخِّ ، أُخِذَ من المشمش واللّوْز .

الشِّيْزُ : خَشَبٌ أسود تُتّخَذ منه الأمشاطُ ونحوُها ، وقيل : هو من الدُّلْب .

أعْجَازُ النّخْلِ	:	أُصُولُها التي تَلي الأرضَ ، وكذلك أعجاز الشّجَر .
العِفازَةُ	:	جَوْزَةُ القُطْن .
العَوْزُ	:	الحَبُّ من العِنَب ، يقال خرطتُ العُنقودَ خَرْطاً: اذا أخَذْتَ ما عليه من العَوْز وهو الحَبُّ من العِنَب بجميع أصابعك حتّى تُنْقِيَه من عَوْزِه.
الغُرُوْزُ	:	الأغصانُ تُغْرَزُ في قُضْبان الكَرْم للوَصْل .
التّغارِيزُ	:	ما حُوِّل من فَسِيل النخل وغيره .
أغَزَّتِ الشّجرةُ	:	كَثُرَ شَوْكُها واشْتَدَّ والتفَّ .
شَجَرَةٌ مُتَقَعْفِزَةٌ	:	أي مُتَكَبِّبَة .
القُمْزَةُ	:	لغةٌ في الجُمْزَة وهي الكُتْلة من التَمْر ، والبُرْعُوم الذي فيه الحَبّة .
قَوَّزَ النَبْتُ	:	كَثُرَ .
الكِرْبِزُ	:	القِثّاءُ الكِبارُ .
الكُمْزَةُ	:	لغةٌ في الجُمْزَةِ والقُمْزَة وهي الكُتْلة من التّمْر .
كَنَازُ التّمرِ	:	أوَانُ كَنْزِه في الجِلال ، وهو أنْ يُلْقى جِرَابٌ أسْفلَ الجُلّة ويُكْنَزَ قَوِيّاً حتّى يَدْخُلَ بعضُه في بعضٍ ، ثم جِرَابٌ بعد جِرَابٍ ، حتّى تَمْتَلِئَ الجُلّةُ مَكْنُوزَةً ، ثم تُخاطَ بالشُّرُط ، وربّما اسْتُعْمِل الكَنَازُ في البُرِّ . ويُقال له الكِنَازُ ايضاً .

شَجَرٌ مُتَلاحِزٌ : أي مُتَضايِقٌ دَخَلَ بعضُه في بعضٍ .
المُزُّ من الرُّمّانِ : ما كانَ طَعْمُه بين حَلاوةٍ وحُموضَة .
النِّبْزُ : قِشْرُ النخلةِ الأعلى وهو السَّعَفُ .
اهْتَزَّ النَّباتُ : تَحَرَّك وطال .
الوَخْز : ما أرْطَبَ من البُسْر .

(حرف السين)

النّبات :

الآسُ : شَجَرٌ معروف ، وهو بأرْضِ العرب كثير ، يَنبُتُ في السَّهْل والجَبَل ، طيِّب الرِّيح ، وورَقُه عَطِرٌ ، وخُضْرَته دائمة أبداً ، يسمو حتى يكون شجراً عظاماً ، وله بَرَمَةٌ بيضاءُ طيبة الريح ، وثَمَرَةٌ تَسْوَدُّ اذا أينعتْ وتَحلُو وفيها مع ذلك عُلَيْقمةٌ ، وتُسَمّى الفَطْسَ .
وقيل : الآسُ هو الرَّنْدُ .

البِرْسُ : القُطْنُ ، وشَجَرُه بأرض العرب كثير ، وهو ممّا يُزْدَرَعُ ازدِراعاً ، ويقال بضم الباء أيضاً .
وقيل : البرسُ شَبيهٌ بالقطن . وقيل : هو قطن البَرْديِّ خاصَّة .

البَسُّ : شَجَرٌ .
البَسْبَسُ : شَجرٌ تُتَّخَذ منه الرِّحالُ .
وقيل : هو السَّيْسَبُ المذكور في حرف الباء .
البَسْباسَةُ : شجرةٌ من أحرار النَّبْت ، يأكلها الناسُ والماشيةُ ،

طيبة الطّعم والريح ، تَذْكُرُ بها ريحَ الجزَر وطَعمَه اذا أكَلْتَها ، ومنبتُها الحزُون .

البَسْبَاسَةُ : أوراقٌ صُفْرٌ طيبة الريح تُجلَب من الهند . ويقال : إنها قُشُورُ جوْز بُوّى . وهذه هي التي يستعملُها الأطبّاءُ ويُريدونها اذا أطلَقوا ، وهي غير البسباسة المتقدم ذكرُها .

البَقْسُ : شجرٌ كالآس ورَقاً وحبّاً ، مَنابِتُه بلاد الرُّوم ، تُتّخَذ منه المغالِقُ والأبْزابُ لمَتانته وصلابته . وقيل : هو شَجَرُ الشِّمْشاذ نفسه . ويقال في جملة فوائده انّ نشارَتَه معجونةً بالعَسَل تُقَوّي الشّعَرَ وتُغَزِّرُه اذا لُطِخَ به .

بَلْبُوسُ : بَصَلُ الزَّنْدِ ، يُشْبِه ورقُه ورَقَ السّذاب .

البَلَسُ : ثَمَرٌ كالتِّين يكثُر باليَمَن . وقيل : هو التِّينُ نفسُه . وقيل : هو التِّين اذا أدْرَكَ . وقيل : البَلَسُ هو الثّمَرُ ؛ والشجرُ التينُ .

البُلُسُ : العَدَسُ المأكول . ويقال له البُلْسُنُ أيضاً .

البَلَسَانُ : شجرٌ صغارٌ كشجر الحِنّاء ، كثيرُ الوَرَق ، يَضْرِبُ الى البياض ، شَبيهٌ بالسّذاب في الرّائحة ، قيل : انّه لا ينبُتُ الاّ بعَيْنِ شَمْسٍ ظاهرَ القاهرة ، واستُنْبِتَ في وادي الحِجاز ، وأجْوَدُ عُوْدِه الأمْلَسُ الأسْمَرُ الحادُّ الطيِّبُ الرائحة . وذكروا له منافع طيبة كثيرة ، وله حَبٌّ يُجْعَل في الدّواء ، ولِحَبِّه دُهْنٌ حارٌّ يُتَنافَسُ فيه .

الآبِنُوْسُ : هو السَّاسَم . وقيل : هو غيره .

بَنَاقِيسُ الطُّرْثُوثِ: شيءٌ صغيرٌ ينبُتُ مَعَه أوَّلَ ما يُرى .

التُّرْمُسُ : شجرةٌ لها حَبٌّ قيل هو الباقِلاَّءُ المصريُّ وهو الجِرْجِرُ ، أو هو شبيهٌ بالباقِلي . وحبُّها مضلَّعٌ مُحَزَّزٌ مُفَرْطَحُ الشَّكْلِ مُرُّ الطعْم مَنْقُور الوَسَط ، والبَرِّيُّ منه أصْفَرُ وهو أقْوى ، وأجْوَدُه الأبْيَضُ الكُبَارُ الرَّزِيْنُ . والتُّرْمُسُ الى الدَّواء أقْرَبُ منه الى الغِذاء . ويُسَمّى البَسِيْلَةَ أيضاً .

لِحْيَةُ التَّيْسِ : نبتٌ مرَّ ذكرُه في حرف الباء باسم ذَنَب الخَيْل .

الجَاوَرْسُ : حَبٌّ معروفٌ يؤكَل ، مِثْلُ الدُّخْن . وهو ثلاثةُ أصناف أجْوَدُها الأصْفَرُ الرَّزِيْنُ ، ويُشَبَّه بالأرُزِّ في قُوَّته ويكون أقْوى قَبْضاً من الدُّخْن .

الجِلْداسيُّ : ضَرْبٌ من التِّيْن وهو أجْوَدُه ، يَغْرِسُونه غَرْساً ، وهو تِيْنٌ أسْوَدُ وليس بالحالِك ، فيه طُول ، واذا بَلَغَ انقَلَعَ بأذْنابه ، وبُطُونُه بِيْضٌ ، وهو أحْلى تِيْنِ الدُّنْيا، واذا امْتَلأ (تَمَلَّأ) منه الآكِلُ أسْكَرَه ، وقَلَّ مَنْ يُقْدِم على أكْلِه على الرِّيْق لشِدَّة حَلاوتِه .

الجُلُسَّانُ : ضَرْبٌ من الرَّيْحان . أو هو الوَرْدُ الأبْيَضُ . وقيل : الجُلُسَّانُ قُبَّةٌ يُنْثَرُ عليها الوَرْدُ والرَّيْحان .

الجَمَامِيسُ	:	جنسٌ من الكَمْأة .
الجَيْسُوَانُ	:	قيل : هو من أفْخَر النّخْل ، وله بُسْرٌ جَيِّدٌ . وقيل : هو من رَدِيء تَمْر الحِجاز ، وسُمِّي بذلك لِطُول شَمارِيخِه .
ابو حَلْسا	:	يراجع (خَسُّ الحمار) الآتي .
الخَسُّ	:	بَقْلٌ معروفٌ ، من احرار البُقول ، عَرِيضُ الوَرَق ، لَيِّنٌ ، وأجْوَدُه البُسْتانيُّ الطّريُّ الأصْفَرُ العَرِيض . يقال : انّ البَرِّيَّ منه في قُوّةِ الخَشْخاش الأسْوَد ، وانّ البُسْتانيَّ منه باردٌ رطبٌ ، وانّ أغْذاه المطبوخ .
خَسُّ الحِمَار	:	هو السِّنْجَار ، ويُقال له أيضاً : فَيلُوسُ وابو حَلْسا . وهو كوَرَقِ الخَسِّ الرَّقيقِ ، كثير العَدَد ، الى السّوَاد ، وأوراقُه لاصقةٌ بالأصْلِ ، ولَوْنُ أصْلِه الى الحُمْرَةِ ، يصبُغُ اليَدَ والأرضَ .
الخُنْسُ	:	نَوعٌ من التّمْر بالمدينة ، صغارُ الحَبِّ ، لاطِئةُ الأقْماع ، سُمِّيَ الخُنْسَ تَشْبيهاً له بالأنف .
الدُّقْسَةُ	:	حَبٌّ كالجاوَرْس .
الرِّيْبَاسُ ريواس	:	نبتٌ له عَساليجُ غَضَّةٌ الى الخُضْرَة ، عِراضُ الوَرَق ، طعمُها حامض شديد الحموضة مع قَبْضٍ ، ينبُتُ في الجِبالِ ذَوَاتِ الثُّلوج والبلادِ البارِدةِ من غير زَرْعٍ . وله منافع طبية متعدّدة .
النّرْجِسُ	:	(يراجَع تركيب ن ر ج س) .

السَّلِيسَةُ : عُشْبَةٌ قريبةُ الشَّبَه بالنَّصيِّ ، الاّ أنَّ لها حَبّاً كحَبِّ السُّلْت ، واذا جَفَّتْ كانَ لها سَفاً يَتَطايَرُ اذا حُرِّكتْ كالسِّهام يَرْتَزُّ في العُيُون والمنَاخِر ، وكثيراً مّا تُعْمي السائمَةَ ، ومَنابِتُها السُّهولُ .

السُّوْسُ : حَشِيشةٌ تُشْبِه القَتَّ ، ذاتُ لَبَنٍ ، وهي رِبْعِيّةٌ مَجّاجة ، تَسْمَن عليها الماشِيَةُ .

السُّوْسُ : شَجرٌ معروف ، في عُروقِه حَلاوةٌ شديدة ، وفي فُروعِه مَرارَةٌ ، ينبتُ وَرَقاً في غير أَفْنَان ، وهو شجرٌ تُغَمّى به البُيُوتُ ، ويدخُل عصيرُه في الأدوية ، وهو ببلاد العرب كثير . ويُقال له المَتْكُ أيضاً .

السَّوَاسُ : شجرٌ ، من العِضَاه ، وهو من أفْضَل ما اتُّخِذ منه زَنْدٌ ، لأنّه يكون وارياً وقَلَّ ما يصلد ، وهو شَبيه بالمَرْخ ، وله شَوْكٌ وسَنِفَةٌ كسَنِفَة المَرْخ، ولا وَرَقَ له ، يَطُول في السّماء ويُسْتَظَل تَحْتَه ، ويُتّخَذُ منه السِّلالُ ، ومنبته القِفاف والجِبال ، وقد تأكُلُ الابلُ والغنمُ أطرافَ عِيدانه الدقيقة .

الشَّحْسُ : شجرٌ من شجرِ جِبال عُمَانَ ، وهو مِثْلُ العُتْم الاّ أنّه أطْوَلُ منه ، ولا تُتّخَذ منه القِسيُّ ليُبْسِه وصَلابته فانَّ الحديد يَكِلُّ عنه ، ولو صُنِعَتْ منه القِسِيُّ لم تُؤاتِ النَّزْعَ . ويُقال له زَيْتُونُ الجَبَل .

الشِّرْسُ : ما صَغُرَ من شَجَر الشَّوْك ، وهو مِثْلُ الشُّبْرُم والحاجِ والشُّكاعى والقَتَاد . ويُقال الشَّرَسُ — بالتّحريك — أيضاً .

وقيل : الشِّرْسُ عِضَاهُ الجَبَل ، وله شَوكٌ أصْفَرُ .

وقيل : الشِّرْسُ حملُ نبتِ ماءٍ .

وقيل : الشِّرْسُ اسْمٌ لما رَقَّ شَوْكُه وكانَ نَباتُه في الهُجُول والصَّحارى ولا ينبُتُ في قِيعان الأودية .

الشَّرِيسُ : نَبْتٌ بَشِعُ الطّعْم .

الشَّسُّ : لغةٌ في الشَّثِّ المذكور في حرف الثاء .

الضِّغْسُ : الكَرَوْيا ، يمانيةٌ ، وتُسَمّى التِّقْدَةَ كما مرَّ في حرف الدال .

الضَّغَابِيسُ : أغصانٌ شِبهُ العَراجِين تنبُت بالغَوْر في أُصُول الثُّمام والشَّوْك ، طوالٌ حُمرٌ رَخْصَة ، تَفَقّعُ من تحت الأرض فيخضَرُّ ما ظَهَرَ منها ، وما في الأرض منها خَيِّرٌ من ذلك ؛ يأكُلُه الناسُ . وتَخْرُج ساقاً ساقاً ، ليس لها وَرَقٌ ولا شُعَبٌ ، وما في الأرض منها حُلْوٌ ، وما خرج منها حامِضٌ

وقيل : هي نباتٌ كالهِلْيَوْن ينبُت في أصل الثُّمام ، يُسْلَق بالخَلِّ والزَّيت ويُؤْكَل .

وقيل : هي الهِلْيَوْنُ نفسُه ، وهو نباتٌ ضعيفٌ ،

فاذا جَفَّ خَمَتَّه (حَتَتْه) الرِّيحُ فَطَيَّرَتْه .
وقيل : هي شِبهُ صِغار القِثّاءِ أو القِثّاءُ الصَّغيرُ نفسُه ، تُؤْكَل . ويُقال لها الشَّعارِيرُ أيضاً .

العَبْسُ : نباتٌ . ويقال انه الذي يُسَمِّيه المصرِيُّون : البُرْنُوفَ .

العَدَسُ : حَبٌّ معروف . ويُسَمّى البُلُسَ والعَلَسَ والبُلْسُنَ ايضاً .

العَرُوْسِيُّ : ضَرْبٌ من النَّخْل ، ويُقال له العَرُوْسُ أيضاً .

العَسَطُوْسُ : شجرٌ يُشْبِه الخَيْزُرانَ ، أوهو الخيزُرانُ نفسُه .
وقيل : هي شجرةٌ تكونُ بالجزِيرة ، ليِّنَة الأغصان . ويقال بفَتْح السِّين بلا تشديدٍ أيضاً .

العَضْرَسُ : عُشْبٌ أشْهَبُ الى الخُضْرَة ؛ الى السَّواد أقرب ، يَحتَمِل النَّدى احْتِمالاً شَديداً ، ونَوْرُه قانيءُ الحُمْرَةِ . وهو من ذُكُور النَّبت .
وقيل: هو نَباتٌ فيه رَخاوَةٌ تَسْوَدُّ منه جَحافِلُ الدَّوابِّ اذا أكَلَتْه ، وهو أشدُّ البَقْل كلِّه رُطوبةً .

العِضْرِسُ : قيل : هو شجر الخطميِّ . وقيل : هو شجرةٌ لها زَهرةٌ حمراء .

العَقَسُ : شُجيرةٌ تنبُتُ في المَرْخ والأراك والثُّمَام تَلْتَوي . وتُسمّى العَرْقَسَ والعَشَقَ أيضاً .

العَلَسُ : العَدَسُ .

العَلَسُ : حَبٌّ يؤْكَل . ولعلّه المتقدم الذكر أو الآتي .

العَلَسُ : ضَرْبٌ من البُرِّ جَيِّدٌ ، حنطتُه سَمْراءُ عَسِرَةَ الاستِنْقاء جداً ؛ لا تُنَقّى الاّ بالمَناحِيز ، وهي طيِّبة الخبز ، وتُشبِه القُرَشِيّةَ في الطّحين ، يَجِيءُ دَقيقُها خَشِناً ، سُنبلُها لِطافٌ ، وهي مع ذلك قليلةُ الرَّيْع ، وتكونُ مقترنةَ الحَبِّ كلُّ حَبّتَيْن منه في كِمام . وهو طعامُ أهل صَنْعاء .

العَلَسِيُّ : شجرةُ المَقِر ، وهو نباتُ الصَّبِر ، وله نَوْرٌ حَسَن مثلُ نَوْرِ السُّوسَنِ الأخضر ، ونباتُه نباتُ السّوسن الأخضر أيضاً الاّ أنّه أعْظمُ وَرَقاً وأغْلظُ .
وقيل : هي شجرةٌ تُنبِت عُرجُوناً كهيئة عُرجُون النّخْل .

الغَضَسُ : نبتٌ .
وقيل : هو الحَبّة التي تُسمّى الكَرَوْيا ، وهي التّقْرِدَةُ ، يَمانِيةٌ .

الغَمِيْسُ : ضَرْبٌ من النّبْت .

الفِرْسُ : نَبتٌ ، قيل : هو المسمّى بالشّرّس ، وقيل : هو القَصْقاص (القَضْقاض) ، وقيل : هو الحَبَنُ ، وقيل : هو الشّرْشرُ ، وقيل : هو البَرْوَقُ .

الفَرَاسُ : تَمْرٌ أسودُ ، وليس بالشّهرِيز .

الفَسْفَاسُ : من البُقُول ، وهو نبتٌ أخضر خَبيثُ الرِّيح ، له زَهرةٌ بيضاء ، ينبُتُ في مَسايل الماء .

الفَقُّوسُ : البِطِّيخ الشاميُّ في لُغَة أهل مصر ، وأهلُ اليَمَن يُسَمُّونَه الحَبْحَبَ .

فَيْلُوْسُ : هو الذي يُقال له السِّنْجَار وخَسُّ الحِمار كما مرّ .

القَرْسُ : شَجرٌ .

القَسْقَاسُ : نبتٌ أخضر ، خَبيثُ الرائحة ، ينبُتُ في مَسِيل الماء ، له زَهرةٌ بيضاءُ .

وقيل : هو بقلة تُشْبه الكَرَفْسَ .

أقول : لعله (الفسفاس) المارُّ الذكر وقد طرأ التصحيف على أحدهما .

قُسْطَنَاسُ : شَجَرٌ .

القُلْقَاسُ : أصْلُ نباتٍ يُؤْكَل مطبوخاً ، ويُتَداوى به .

القَنَسُ : نباتٌ طيِّب الرائحة ، منه بُسْتانيٌّ ، ومنه نَوْعٌ كلُّ ورقةٍ منه من شِبْرٍ الى ذِراعٍ . ينفَرِش على الأرض كالنَّمّام ، وأنْفَعُه أصلُه ، وأجْوَدُه الأخضر الغضُّ ، وله فوائد طبية كثيرة .

الكَبِيْسُ : ضَربٌ من التّمر ، وهو ثَمَرُ النّخلة التي يُقال لها أُمُّ جِرْذانَ ، وانّما يُقال له الكَبِيسُ اذا جَفَّ ، فاذا كان رطباً فهو أُمُّ جِرذان .

الكُنْدُسُ	:	عُروقُ نباتٍ داخِلُه أصفرُ وخارِجُه أسْوَد ، وله منافع طبية .
الكَرَفْسُ	:	بَقْلٌ معروف ،من احرار البُقُول ، عظيم المنافِع . ويُسَمّى التَراجِيْلَ بلُغَة أهل السّواد .
اللّبَسَةُ	:	بقلــةٌ .
اللُّسّانُ	:	عُشْبَةٌ من الجَنْبَة ، لها وَرَقٌ مُتَفَرِّشٌ خَشِنٌ كأنّه المَساحِلُ ، كخُشُونة لسان الثّوْر وليستْ به ، يسمو من وسطها قَضِيبٌ كالذِّراع طُولاً ، في رأسِه نَوْرَةٌ كَحْلاءُ . ويُقال انها دَواء من أوجاع اللِّسان ألْسِنة الناس وألْسِنة الابل من داءٍ يُسمّى الحارِشَ ، وهو بُثُورٌ تظْهر بالألْسِنة مثلَ حَبِّ الرُّمّان .
اللّغْوَسُ	:	عُشْبَةٌ من المَرْعى ، وهو عُشْبٌ لَيِّنٌ رَطْبٌ ، يُؤْكَلُ سَريعاً .
مَرْسَيْنُ	:	شجرةُ الآس ، بلغَة أهل مصر . وذكرها بعضهم في النُّون .
الإمْلِيْسُ	:	الرُّمّان الحُلْوُ الطيِّب الذي لا عَجَمَ له ، انّما هو ماءٌ في قِشْرٍ ، وقيل : هو أطْيَبُه وأحْلاه . ويُسَمّى الإمْلِيْسِيَّ أيضاً .
المَيْسُ	:	شجرٌ عِظامٌ من أجْوَد الشجر وأصْلبِه ، يُشَبّهُ في نَباته ووَرَقِه بالغَرَب ، واذا كان شابّاً فهو أبيضُ الجَوْفِ ، فاذا تقادَمَ اسْوَدَّ فصار

		كالآبَنُوس ، ويغلُظ حتّى تُتّخَذَ منه المَوائدُ الواسعة ، وتُتّخَذ منه الرِّحالُ والزُّنُدُ أيضاً ، وهو رِيفيٌّ يُغْرَس غَرْساً وليس ببَرِّيٍّ . وعُمَانُ مَعْدِنُ المَيْس .
المَيْسُ	:	ضَرْبٌ من الكُرُوم ينهَضُ على ساقٍ بعض النُّهُوض ثم يتَفَرَّع ، وله ثَمَرَةٌ في خِلْقَة الإجّاصة الصَّغيرة ، وإليه يُنْسَب الزَّبيبُ الذي يُسَمّى المَيْسَ . ومَعْدنُه أرْضُ سَرُوجَ من أرض الجزيرة ؛ وربّما يكون بالطائف . وقيل : ان الكَرْمَ الذي يُعَدُّ المَيْسُ ضَرْباً منه هو شجرٌ تُخْرَطُ منه المَوائدُ وليس بشجر العِنَب ، وهو المتقدِّم الذكر .
النَّرْجسُ	:	من الرَّياحين . ويُسَمّى القَهْدَ والفَغْوَ أيضاً .
النَّرْسِيَانُ	:	من أجْوَد التّمْر بالكوفة .
النَّوَاسيُّ	:	ضَرْبٌ من العِنب أبيض ، عَظيمُ العَناقيد مُتَشَلْشِلُها (متسلسلُها) ، وعَناقيدُه طوالٌ كأنّها أذنابُ الثّعالب ، وهو مُدَحْرَجُ الحَبِّ كثيرُ الماء حُلوٌ ، جَيِّدُ الزَّبيب . ينبُتُ بالسَّرَاة ، وقد ينبُت بغيرِها .
الهَبَسُ	:	اسْمُ الخِيريِّ ، ويُسَمّى المَنْثُورَ والنَّمّامَ أيضاً .

الهَدَسُ : شجرُ الآس في لُغة أهل اليَمَن .

الهَرَاسُ : شجرٌ شائكٌ ، من ذكور البَقْل ، يُشْبِه القُطْبَ شَوْكُه كأنّه حَسَكٌ أو أنْيَابٌ ، وثَمَرُه كالنّبِق ، وهو من أحرار البُقُول .

الوَرْسُ : نباتٌ كالسِّمْسِم ، أصفرُ ، ليس ببَرّيٍّ ولا يكون شيءٌ منه بَرِّيّاً ، فاذا جَفَّ عند إدْراكِه تفتّقَتْ خرَائطُه وأكِمّتُه ، فتُنْفَض فينتَفِض منها الوَرْسُ ، ولا يُوجَد الاّ باليَمَن وما جاوَرَها ، تُتّخَذ منه الغُمْرَةُ للوَجْه . يُزْرَعُ سنةً فيُقيم عشر سنين أو عشرين سنةً ولا يتعطّل. وجَيِّدُه أو أجودُه يُسَمّى البادِرةَ وهو الحديث النبات ، والآخَرُ يُقال له العتيقةُ لعتق شجرِه والحَبَشيُّ لسَرادٍ فيه وهو آخِرُ الوَرْس . والحَبَشيُّ يخرج صبغُه أصفرَ خالِصَ الصُّفْرة ، والبادِرةُ في صبغها حُمرةٌ .
ويُقال للوَرْسِ الحُصُّ أيضاً .

الوَعْسُ : شجرٌ تُعْمَلُ منه البَرابِطُ والأعوادُ التي يُضْرَب بها.

ما يتعلّق بالنبات :

الآسُ : من أسماء البَلَح .

البَخْسُ : هو الزَّرْع الذي لم يُسْقَ بماءِ عِدٍّ ؛ انما سَقَاه ماءُ السّماء .

البِرْكاسُ : القِطعةُ المجتَمِعَة من وَرَق الشجر .

البَنَاقِيْسُ : ما طلع من مُسْتَدير البطِّيخ .

البَهْسُ	:	المُقْلُ ما دامَ رَطباً ، والشين لغةٌ فيه .
الجُعْسُوسُ	:	النّخلُ في لغة هُذَيلٍ . وقيل: هي الجعَاميسُ
الجَلْسُ	:	الغَليظ من الشجر .
الجُلَّسانُ	:	نِثارُ الوَرْد في المَجْلس ، يُنْتَفُ وَرَقُ الوَرْد ويُنْثَرُ على مَنْ في المجلِسِ .
نباتٌ جامِسٌ	:	ذَهَبتْ غضوضَتُه ورطوبَتُه فولّى وجَساً .
الجُمْسَةُ	:	البُسْرَةُ اذا أرْطَبَ كلُّها وهي صُلْبةٌ لم تنهضِمْ بَعْدُ ، وتُسمّى مَكْرَةً أيضاً كما مرَّ .
الجُمْسَةُ	:	القِطعة اليابسة من التّمْر .
الجامُوسُ	:	الكَمْأةُ .
جَنَسَتِ الرُّطَبَةُ	:	اذا نَضِجَ كلُّها .
كَلأٌ حابِسٌ	:	اذا كانَ غامِراً لا تَتَجاوَزُه راعِيَةٌ لاخْضِرارِه، أي انّه كثيرٌ يَحْبِسُ المالَ .
الحُبَاسُ	:	الطِّين يُجْمَع حول النخلة كالحَوْض وتُسقى فيه الماء .
الحاسّةُ	:	الآفة التي تُصيب الزرعَ والكلأ فتحرقه ، يُقال : نباتٌ محسُوسٌ ، أي أصابه بَرْدٌ فأحْرَقَه . وقيل : الحاسّةُ الريحُ تَحْثي الترابَ في الغُدُر فتملأها منه فيَيْبَس الثّرى ، أو جَرادٌ يأكل النباتَ .
أحْلَسَ النّباتُ	:	غَطّى الأرضَ بكثرته وطُولِه، ومثلُه اسْتَحْلَسَ وعُشْبٌ مُسْتَحْلِسٌ : تَرى له طرائقَ بعضها تحت بعضٍ من تَراكُبِه وسَوادِه .

الحائسُ : يَبِيْسُ النّبت اذا كَثُرَ .

تَمْرٌ خَنْدَرِيْسٌ : قديمٌ ، وكذلك حِنطةٌ خَنْدَريسٌ .

الخُرْسُ : كلُّ قَضِيبٍ رطبٍ أو يابسٍ .

الخَلْسُ : الكَلأُ اليابِسُ ينبُتُ في أصلِه الرطبُ فيختلط به ، وكذلك الخَلِيْسُ . وأخْلَسَ الحلي : خرجتْ فيه خُضرةٌ طريّة . وأخْلَسَ النّبْتُ : اخْتَلَطَ رطبُه بيابِسِه . واذا كان العُشْبُ ؛ منه الرطبُ الأخضرُ ومنه الأصفر الهائجُ ؛ فهو خَلِيْسٌ ومُخْلِسٌ ، وخصَّ بعضُهم بــه الطّريفةَ والصِّلِّيانَ والهَلْتى والسّحم .

التّخْمِيْسُ : من مصطلحات سَقْي الأرْض ، ويُرادُ بــه السّقْيَةُ التي بعد التّرْبيع .

خَنَسَتِ النّخلُ : أي تأخّرَتْ عن قَبول التّلقيح فلم يُؤثّرْ فيها .

الخُنَاسُ : داءٌ يُصِيبُ الزّرْعَ فيتجَعْثَن منه فلا يَطُول .

الخِيْسُ : مَنْبِتُ الطّرْفاء وانواع الشجر . وقيل : هــو المُجْتَمِعُ من كل شجرٍ أو المُلْتَفُّ من القَصَب والاشاء والنخل ، وقيل : لا يكون خِيْساً حتى تكون فيه حَلْفاءُ . وقيل : هو كلُّ شجرٍ ملتفّ ليس له شَوْكٌ . وقيل : الخِيْسُ : الأجَمَةُ .

الدِّبْسُ : عَسَلُ التّمْر وعُصَارتُه من غير طَبْخٍ ؛ أي ما يَسِيل منه ، ويُسَمِّيه أهلُ المَدينة الصَّقْرَ كما مرَّ في حرف الراء .

الدَّحْسُ	:	امْتِلاءُ أكِمَّةِ السُّنْبُلِ من الحَبِّ ، وقد دَحَسَ السُّنبلُ وأدْحَسَ .
الدَّخِيْسُ	:	المُلْتَفُّ من الكَلإِ الكثيرُ، ويُقال له الدَّيْخَسُ أيضاً . وقد يكون الدَّيْخَسُ في اليَبِيس .
دَرَسَ الطّعَامَ	:	داسَه ، يمانِيَةٌ . والدِّرَاسُ هو الدِّيَاسُ بلُغَة أهْلِ الشام .
الدَّعْسُ	:	القُطْنُ .
حِنْطَةٌ دُكَاسٌ	:	كثيرةٌ . ودُكَاسُ التَمْرِ : مُلْتَفُّه .
الدَّلَسُ	:	النبات الذي يُورِقُ في آخِرِ الصَّيْف .
الأدْلاسُ	:	بقايا النبت والبَقْل . وأدْلاسُ الأرْض : بَقايا عُشْبِها . وأدْلَسَ النَّصِيُّ : ظَهَرَ واخْضَرَّ .
الدَّهْسُ	:	النبتُ لم يغلبْ عليه لونُ الخُضْرَة . وادهاسَّ النبتُ : اذا صار أدْهَسَ اللَّوْنِ ، والدُّهْسَةُ لَوْنٌ يَعْلُوه أدنى سَوَاد .
الدّائسُ	:	الذي يَدُوسُ الطّعامَ ويَدُقُّه ليُخْرِجَ الحَبَّ منه .
الدَّوائسُ	:	البَقَرُ التي تَدُوْسُ الكُدْسَ .
المَدَاسَةُ	:	موضِعُ دَوْسِ الطّعام .
المِدْوَاسُ	:	ما يُدَاسُ به الطّعامُ ، أو هو الكُدْسُ يُجَرُّ عليه جَرّاً . ويُقال له المِدْوَسُ أيضاً .
الدِّيَاسُ	:	هو الدِّرَاسُ ؛ وهو اسْمُ عَمَلِ دَوْسِ الزَّرْع .
رَأسٌ من الثُّوْم	:	أي سِنٌّ منه ، ويُسمّى الفَصَّ أيضاً .

ارْتَبَسَ العُنقودُ : اكْتَنَزَ ، وعُنْقُودٌ رَبِيْسٌ ومُرْتَبِسٌ : معناه انْهِضامُ (انْضِمامُ) حَبَّه وتَداخُلُ بعضِه في بعضٍ .

الرّاكِسُ : الثّورُ الذي يكون في وَسَط البَيْدَرحين يُداسُ ؛ والثِّيرانُ حَرالَيْه تَدُوْرُ ؛ وهو يرتكِسُ مكانَه .

السّدِيْسُ : ضَرْبٌ من المكاييل يُكال به التّمرُ .

السُّدُوْسُ : عُصارةُ شجرةِ العِظْلِم اذا جُمِّدَتْ فجفّتْ : ويُقال لها النِّيْلَجُ والنِّيْلَنْجُ ايضاً .

سَلِسَتِ النّخلةُ : اذا ذَهَبَ كَرَبُها ، ويُقال لما سَقَط منها : السّلَسُ .

أسْلَسَتِ النّخلةُ : تَناثَرَ بُسْرُها ، فهي مُسْلِسٌ :

ساسَ الجِذْعُ : أرِضَ ؛ أي أكَلَتْه الأرَضَةُ . وساسَ الطّعامُ : وَقَعَ فيه السُّوسُ .

الضِّرْسُ : الشِّيحُ والرِّمْثُ ونحوهما اذا أُكِلَتْ جُذُولُها .

الضَّغَابِيْسُ : صِغارُ القِثّاء .

ضابسَ النبتُ : هاجَ ، وقيل : هو أوّلُ هَيْجِه ، نَجْدِيّةٌ .

العَدَبّسَةُ : الكُتْلَةُ من التّمْر .

العُدَامِسُ : يَبِيْسُ الكَلإِ الكثيرُ المُتَراكِبُ .

العِرِّيْسُ : الشجرُ المُلْتَفُّ ، ويُقال له العِرِّيْسَةَ أيضاً .

العَكِيْسُ : القَضيبُ من الحَبَلَةَ يُعْكَسُ تحت الأرض الى موضعٍ آخَر .

العَكِيْسَةُ : شجرةُ العِنَب التي تمسُّ الأرضَ في قُضْبانها ، وهي أغْلَظُ من الشُّكر .

كَلأٌ عُكامِسٌ : كَثُرَ يَبِيسُه بالموضع وتَراكَمَ .
العَلَسُ : حَبَّةٌ سَوداءُ اذا أجْدَبُوا طَحَنُوها وأكَلُوها .
كَلأٌ مُعْلَنْكِسٌ : بمعنى عُكامِس المتقدم الذكر .
أعْيَسَ الزَّرْعُ : اذا لم يكن فيه رطبٌ .
الغَرْسُ : غَرْسُكَ الشجرَ .
الشّجرُ الذي يُغْرَسُ .
القَضِيبُ الذي يُنْزَعُ من الحَبَّة ثم يُغْرَس .
الحَبَّةُ النّابتةُ اذا نُزِعَ نباتُها ثم غُرِسَ ،
ويُقال له الغُرْسَةُ ايضاً .

الغِرَاسُ : ما يُغْرَسُ من الشجر .
زَمَنُ الغَرْس .
ما كَثُرَ من العُرْفُطِ .
الغِرَاسَةُ : فَسِيلُ النّخْل.
المَغْرِسُ : موضعُ الغَرْس .
الغَرِيْسَةُ : النّخلةُ أوّلَ ما تَنْبُتُ ، أو النَّواةُ حين تطلُعُ .
الفَسِيلةُ ساعةَ تُوضَعُ في الأرض حتى تَعْلَقَ .
شجرُ العِنَب أوّلَ ما يُغْرَسُ .
الغَسِيْسُ : البُسْرُ يُرْطِبُ من حَوْل ثُفْرُوقِه فيَدَأ من ذلك المكان ، وهو أرْدَأُ الرُّطَب ، واذا كانَ كذلك لم يكن له في القِنْو ثَباتٌ . وقيل : الغَسِيْسُ والمُغَسِّسُ والمَغْسُوسُ : هو البُسْرُ الذي يُرْطِبُ ثم يتغيّر طَعْمُه . وقيل : هو الذي لا حلاوة له وهو أخْبَثُ البُسْر .

المَغْسُوْسَةُ : نخلةٌ تُرْطِب ولا حَلاوةَ لها .
الغَمِيْسُ : هو الغَمِيْرُ من النّبات ، وهو أنْ يَيْبَسَ البَقْلُ ثم يُصِيْبَه المَطَرُ فينبُتَ في أُصُول اليابِسِ نبتٌ آخَرُ أخْضَرُ جَديدٌ ، فذاك الأخْضَرُ هو الغَمِيرُ والغَمِيْسُ .
الغَمِيْسَةُ : الأجَمَةُ من القَصْبَاء . وقيل الغَمِيْسُ : الأجَمَةُ ممّا كانتْ .
أشَاءٌ مُغَوَّسٌ : أي شُذِّبَ سُلاّؤه عنه .
فُحِسَ السُّنْبُلُ : فُرِكَ حتّى يَقَعَ عنه قِشْرُه .
فُرْدِسَ الكَرْمُ : سُنِّدَ على العَرِيش .
الفِرْدَوْسُ : الرَّوضَةُ .
البُسْتانُ الذي يَجْمَعُ كلّ مايكون في البَسَاتِين.
البُسْتانُ الذي فيه الكُرُومُ .أوخُضْرَةُ الأعْنَاب.
الفِسْفِسَةُ : لُغةٌ في الفِصْفِصَة وهي الرَّطْبَةُ ، والصَّادُ أعْرَبُ .
الفَطْسُ : حَبُّ الآس .
تَمْرَةٌ فَطْسَاءُ : صغيرةُ الحَبِّ لاطئةُ الأقْماع .
القَوْسُ : البَقيّة تبقى في أسفل الجُلّة من التّمر . وقيل : هو الكُتْلَةُ من التّمر .
نخلةٌ كَبُوْسٌ : هي التي يكون حملُها في سَعَفِها .
الكِبَاسَةُ : العِذْقُ الكبيرُ التامُّ بشَماريخه وبُسْرِه ، وهو من التّمر بمنزلة العُنقود من العِنَب .

الكُدْسُ : الحَبُّ المحصودُ المجموعُ .
شَجَرٌ مُتَكادِسٌ : أي مُلْتَفٌّ مُجتمِعٌ مُتَراكِبٌ ، وكذلك النَّخلُ.
عُشْبٌ مُتَكاوِسٌ : اذا كَثُرَ وكَثُفَ وطالَ وتَراكَبَ . وتَكاوَسَ النخلُ والشجرُ كذلك .
وتَكاوَسَ النبتُ : الْتَفَّ وسَقَطَ بعضُه على بعضٍ .
لِبَاسُ النَّوْرِ : أكِمَّتُه .
اللَّحْسُ : ما يظهر من رؤوس البَقْلِ فيراه المالُ فيطمع فيه فيلحسه اذا لم يقدِرْ أنْ يأكلَ منه شيئاً .
اللُّسَاسُ : أوَّلُ البَقْلِ والعُشْبِ ما دامَ صَغيراً لا تستمكِنُ منه الرَّاعِيَةُ .
ألَسَّ الغَمِيْرُ : خَرَجَ زَهرُه .
نَباتٌ ألْعَسُ : أي كثيرٌ كثيفٌ .
اللَّغْوَسُ : عُشْبٌ رقيقٌ لم يَشْتَدَّ بَعْدُ ولم يلتفَّ ، وهو — كما عبَّر بعضُهم — الرقيقُ الخَفيفُ من النبات ؛ أو الناعِمُ الرَّيَّان منه .
كَلأٌ مَسُوْسٌ : نامٍ في الرَّاعِيَة ناجِعٌ فيها .
امْتَعَسَ العَرْفَجُ : امتلأتْ اجوافُه من حُجَنِه .
غُصْنٌ مَيَّاسٌ : مائلٌ .
المَيْسُ : الخَشَبَة الطَّويلة التي بين الثَّوْرَيْن .
ناسَ الغُصْنُ : اذا هَبَّتْ به الريحُ فهزَّتْه ، وكذلك تَنَوَّسَ.
المُنَوِّسُ من التَّمْر : ما اسْوَدَّ طَرَفُه .

الهَيْنَسُ	:	الفَدّانُ ، أو أداةُ الفَدّانِ كُلّها ، عُمانيّةٌ أو يمانِيَة .
الوادِسُ	:	النباتُ الكثير الذي غطّى وجهَ الأرض ولمّا تتشعّبْ شُعَبُه بَعْدُ الاّ أنّه في ذلك كثير ملتفٌ ، وكذلك الوَدَسُ والوِدَاسُ والوَدِيْسُ .
الوَدِيْسُ	:	النّباتُ الجافُّ .
المُوْدِسُ	:	الذي اخْضَرَّ بعد ذَهاب فَرْعِه .
وَرَسَ النّبتُ	:	اخْضَرَّ . ووَرَسَ الشّجَرُ : أوْرَقَ ، وكذلك أوْرَسَ .
الوَرْسُ	:	شيءٌ أصفرُ مثل اللّطْخ يخرجُ على الرِّمْثِ بين آخرِ الصَّيف وأوّل الشِّتاء ، واذا أصابَ الثوبَ لَوَّنَه . وقد يكون لغير الرِّمث كالعَرْعَر وما شاكله ولا سِيّما بالحَبَشَة ، لكنّه دون وَرْسِ الرِّمْثِ في القُوَّة والخاصيّة . ويُوجَد في العَرعَرِ بين لِحائه والصَّميم اذا جَفَّ، فاذا فُرِكَ انْفَرَكَ ولا خَيْرَ فيه ، ولكنْ يُغَشُّ به الوَرْسُ . وأمّا الرِّمْثُ فاذا كان آخرُ الصَّيْف وانتهى مُنْتَهاه اصْفَرَّ صُفْرَةً شديدةً حتّى يَصْفَرَّ ما لا بَسَه ؛ ويُغَشُّ به الوَرْسُ — المذكور في النّبات — أيضاً . وأوْرَسَ الرِّمْثُ : أي اصْفَرَّ وَرَقُه بعد الإدْراك فصار عليه مثلُ المُلاء الصُّفْر ، ورِمْثٌ وَرِيْسٌ : ذو وَرْسٍ .

أَوْمَسَ العِنَبُ : اذا لانَ للنُّضج .

اليَبِيسُ : ما يبسَ من العُشْب والبُقُول التي تَتَناثَرُ اذا يبستْ ، ومثلُه الجَفِيفُ والقَفِيف ، ولا يُقال لما يَبِسَ من الحَليِّ والصِّلِّيانِ والحَلَمَةِ يَبِيسٌ . واليَبَسُ مِن الكَلإ : الكَثِيرُ اليابِسُ . ويبيسُ البُهْمَى : العُرْقُوبُ والصِّفَارُ .

(حرف الشين)

النَّبات :

البَقْشُ : شَجَرٌ . ولعلّه (البَقْس) المذكور في حرف السين .

البِيْشُ : نبـاتٌ كالزَّنْجَبيل رَطْباً ويابساً . وأصْلَحُه العَرَبيُّ . وربَّما نَبَتَ فيه سَمٌّ قتّال لكل حيوان ، وأشَدُّ مَضَرَّتِه بالدِّماغ ، ويَعْرِض عنه وَرَمُ الشَّفَتَيْن واللِّسانِ وجُحُوظُ العَيْنَيْن ودُوَارٌ وغَشْيٌ ، ويُقاوِمُه دَواءُ المِسْك ، ويُداوى مَنْ سُقِيَ منه بالقَيْءِ بسَمْن البَقَر وبزر السَّلْجَم .

بِيْشُ مُوسى : حَشِيشةٌ تنبُتُ مع البِيش ، وهو أعظَمُ تِرْياق البِيْش ، وهو تِرْياقٌ لكُلِّ سَمٍّ .

الجُرَشيُّ : ضَرْبٌ من العِنَب هو أطْيَبُ العِنَب كلِّه ، أبْيَضُ الى الخُضْرَة ، رَقِيقٌ ، صَغِيرُ الحَبّة ، وهو أسْرَعُ العِنَب إدْراكاً . وقيل :

إنّ عَناقيدَه طوالٌ وحَبّه متفرّقٌ ، ويُقال انّ العُنقُودَ منه يكون ذِراعاً . وقد يُزَبّبُ .

الجُرَشِيّةُ : ضَرْبٌ من الشّعير أو البُرّ .

الجيْشُ : نباتٌ طويل، له قُضْبانٌ خُضْر طوال ، وله سَنِفَة كثيرة طوال مَمْلُوءة حَبّاً صغاراً — والسّنِفة هي الخَرائط الطوال — . وهو من الأعشاب.

الحَبَشِيُّ : ضَرْبٌ من الشّعير أسْوَدُ الحَبِّ والسُّنْبل ، سُنْبلُه حَرْفان ، وهو حَرِشٌ لا يُؤْكَلُ لخُشُونَتِه ؛ ولكنّه يصلُح للعَلَف .

الحَبَشِيُّ : ضَرْبٌ من العِنَب .

الحَرْشاءُ : نبتٌ سُهْليٌّ كالصَّفْراء والغَبْراء ؛ وهي أعشابٌ معروفة تستطيبُها الرّاعيةُ . وتنبُتُ الحَرْشاءُ متسطِّحةً لا أفْنَانَ لها ، يلزم ورقُها الأرْضَ ولا يَمْتَدُّ حِبالاً ، غير أنه يرتفعُ لها من وسطها قصبة طويلة في رأسِها حَبّتُها ، ولو لحَس الانسانُ منها ورقةً لزقَتْ بلسانِه . وعرَّفَها بعضُهم : بأنّها ضَرْبٌ من السُّطّاح ، أخْضَرُ ، فيه خُشُونَةٌ .

وقيل : الحَرْشاءُ ضَرْبٌ من النّبات؛ وهو خَرْدَل البَرّ .

الحاشا : نباتٌ تجرسه النّحْلُ ، له زَهرٌ أبْيَضُ الى الحُمْرَة ؛ مُسْتَديرٌ ، وقُضُبٌ دقاقٌ ، وورَقُه صغارٌ رِقاقٌ .

الخُرنْباشُ	:	المَرْماحُوزُ ، وهو نباتٌ مثلُ المَرْوِ الدقاق الوَرَق ، ووَرْدُه أبْيَضُ ، وهو أجْوَدُ أصناف المَرْو ، ويُعَدُّ من رَياحين البَرِّ ، طيِّبُ الرِّيح ، يُوضَع في أضْعافِ الثياب لطِيب رِيحِه .
الخَشْخاشُ	:	نبت ثَمَرَتُه جِراءٌ ، وهو أصْناف أربعة : بُسْتانيٌّ ومَنْثُورٌ ومُقَرَّنٌ وزَبَديٌّ ، فالبُستانيُّ هو الابيض ، والمَنْثُور هو البَرِّيُّ المصريُّ ، والمُقَرَّنُ هو الذي ثَمَرَتُه معقفةٌ كقَرْن الثور. والكُلُّ مُنَوِّمٌ مخدِّر ، وقِشْرُه أشَدُّ تَنْويماً من بَزْرِه .
الخَوْشانُ	:	نبتٌ مثلُ البَقْلة التي تُسَمّى القَطَفَ أو هي نفسُها ، وهو كالسَّرْمَقِ الاّ انّه ألْطَفُ وَرَقاً ، وفيه حُموضةٌ ، والنّاسُ يأكُلُونَه .
ذاتُ الرِّيْش	:	نباتٌ من الحَمْض ، كالقَيْصُوم وَرَقاً ووَرْداً ، ينبُتُ خِيْطاناً من أصْلٍ واحدٍ ، وهو كثيرُ الماء جدّاً ، يَسيل من أفواه الابل سَيْلاً ، والناس أيضاً يأكُلُونه .
العَقْشُ	:	بقلةٌ تنبُت في الثُمَام والمَرْخ ، تتلَوّى كالعَصْبَة على فَرْع الثُمام ، ولها ثَمَرَةٌ خَمْريّةٌ الى الحُمْرَة ما هيَ . ويُقال لها العَقَشُ أيضاً .
العكرِشُ	:	نباتٌ من الحَمْض ، يُشْبِه الثِّيْلَ ، خَشِنٌ أشَدُّ خُشُونَةً من الثِّيْل ، تأكُلُه الأرانبُ . وقيل : هو الثِّيْلُ نفسُه . وقيـــل : هو نوعٌ

من الحَرْشَف . وعَرَّفه بعضُهم بأنه نبات مُنْبَسِط على وجه الأرْض ، له زَهرٌ دقيق وَبزرٌ كالجاوَرْس وطَعمٌ كالبَقْل . وقيل : هو آفةٌ للنّخل ينبت في أصْلِه فيُهْلِكُه .

ومَنابتُ العِكْرِش نُزُوزُ الأرضين الرقيقة والسِّبَاخُ ، وفي أطراف وَرَقِه شَوْكٌ اذا تَوَطّأه الانسانُ بقَدَمَيْه شاكهما حتّى أدماهما .

العُكّاشُ : اللّوّاءُ الذي يَلْتَوي على الشجر وينتَشِر عايه .

العَكِشَةُ : شجرةٌ تَلَوّى بالشجر ، وهي طيِّبة ، دقيقة ، لا وَرَقَ لها ، تُؤْكَل .

الفَشُّ : الخَرُّوبُ ، ويُقال له الفَشُوش أيضاً . والفَشْفَشَةُ : الخَرُّوبَةُ .

الفَشْفاشُ : عُشْبَةٌ نحو البَسْبَاس .

القُرَشِيّةُ : من أجناس البُرِّ ، وهي صُلْبَةٌ في الطّحن ، خَشِنَةُ الدّقيق ، وسَفاها أسْوَدُ ، وسُنبلتها عظيمة .

الكَرِشُ : من نبات السّهْل والقِيعان ، من أنْجَعِ المَراتع للمال تَسْمَن عليه الابلُ والخَيْلُ ، ينبُتُ في الشتاء ويهيج في الصَّيْف .

الكَرِشُ : شُجيرةٌ من الجَنْبَة ، تنبُت في أرُوْم ، وترتَفِع نحو ذِراع ، ولها وَرَقَةٌ مُدَوَّرةٌ حَرْشاء خضراء شديدة الخُضْرة ، وهي مَرْعىً من الخُلّة ، من

ذُكور النّبت ، ومنابتها السُّهول . وانّما قيل لها الكَرِش لأنَّ وَرَقَها يُشْبِه خَمْلَ الكَرِش ؛ فيها تَعْيين ، كأنّها مَنْقُوشة .

الكَرِشَةُ : من عُشْب الرَّبيع ، وهي نبتةٌ لاصِقَةٌ بالأرض بُطَيْحاءُ الوَرَق ، مُعَرَّضةٌ غُبَيْراء ، لا تكاد تنبُت الاّ في السّهْل ، ولا تَنْفَع في شَيْءٍ .

الكِشْمِشُ : ضَرْبٌ من العِنَب صِغار لا عَجَمَ له ، وعَناقيدُه بيضٌ أمثال أذناب الثّعالب ، ويكون أصفر وأحمر وأسود ، ألْيَنُ من العِنَب وأقلُّ قَبْضاً وأسهل خُروجاً ، وهو كثير بالسَّراة .

اللّشُّ : الماشُ .
السُّمّاقُ .

المَرْدَقُوشُ : نبتٌ اذا انتهتْ نبتَتُه مُنْتَهاها عَلَتْها حُمرةٌ ، وهو الذي يقال له المَرْزَجُوشُ والمَرْزَنْجُوشُ ، وكلُّ ذلك معرَّب ، وعربيَّتُه السَّمْسَقُ ، ويُقال له : العَنْقَزُ أيضاً .
وقيل : المَرْدَقُوشُ هو الزَّعْفَرانُ .

المَرْدَقُوشُ : طيبٌ تجعله المرأةُ في مُشْطِها ، يضرِبُ الى الحُمْرَة والسّواد .

المَرْزَجُوشُ : هو المَرْدقوش المتقدم الذكر ، والمَرْزَنْجوشُ لُغَةٌ فيه .

المِشمِشُ : ثَمَرٌ معروف ، وهو ضَرْبٌ من الفاكهة يؤْكَل .

وأهلُ الكوفة يقولون : المَشْمَش . وأهل الشّام يُسَمُّونَ الإجّاصَ مِشْمِشاً .

الماشُ : حَبٌّ مُدَوَّرٌ أصغر من الحِمّص ، أسمر اللّوْن يميل الى الخُضْرة ، يُزْرَعُ زَرْعاً ، وله فَوائد طبية .

النّبْشُ : شجرٌ يُشْبِه وَرَقُه وَرَقَ الصَّنَوْبَر الاّ أنّه أصغر منه وأشَدُّ اجْتِماعاً ، له خَشَبٌ أحمر كأنّه التّجِيع ، صُلْبٌ يُكِلُّ الحديدَ ، أرْزَنُ من النّبع والآبَنُوس ، تُعْمَلُ منه المَخاصِرُ للنّجائب (للجَنائب) وعَكاكِيزُ وعِصِيٌّ ، ولا تُعْمَلُ منه القِسِيُّ لثقله ، ولا ثَمَرَ له ، ومَنابِتُه الجِبال مع الضُّبّار .

النّفّاشُ : نوعٌ من اللّيْمُون أكْبَرُ ما يكون ، ويُقال له النّفّاجُ أيضاً .

الوَحْشِيُّ : جنس من التِّين ينبُت في الجِبال وشَواحِطِ الأوْدِية ، يكونُ من كلّ لونٍ أسْوَدَ وأحمر وأبيض ، وهو أصغر التِّين ، صادق الحَلاوة ، واذا أُكِلَ جَنِيّاً أحْرَقَ الفَمَ ، ويُزَبّب .

ما يتعلّق بالنبات :

تَبَرْقَشَ النّبْتُ : تَلَوَّنَ .

ابْرَنْقَشَتِ العِضاهُ : حَسُنَتْ

البَهْشُ : رَديءُ المُقْل. وقيل: ما قد أُكِلَ قِرْفُه . وقيل: هو المُقْلُ ما دام رَطْباً ، فاذا يَبِسَ فَخَشْلٌ ، ويُسَمّى نَواه المُلْجَ .

الجِعْشُ	:	أصْلُ النّبات ، وقيل : هو أصْلُ الصِّلِّيان خاصة .
الحَبَشِيّةُ	:	البُهْمى اذا كَثُرَتْ والْتَفّتْ كأنّها تَضْرِبُ الى السّواد .
حَشَّ الشّجَرُ	:	جَفَّ . وحَشَّ الوَدِيُّ من النّخل : يَبِسَ .
الحشُّ	:	البُسْتان ، وحاؤه مثلّثة . والحشُّ — بفتح الحاء وضمِّها — : جماعة النّخلِ أي النخلُ المجتمع ، وكذلك الحشائشُ .
الحَشُّ	:	النّخْلُ الناقِصُ (النافِضُ) القَصِير الذي ليس بمَسْقيّ ولا مَعْمُورٍ .
الحَشِيْشُ	:	ما يَبِسَ من النّبت الرَّقيق كلّه ، أو هو يَبِيْس العُشْب والكَلإ ، ولا يُقال للرُّطْب حَشِيْشٌ . وقيل : إنَّ الحَشِيشَ اذا أُطْلِقَ عُنِيَ به الخَلى خاصةً ، وهو أجْوَدُ عَلفٍ تصلح الخيلُ عليه ، وهو من خَيْر مَراعي النّعَم ، الاّ أنه اذا حالتْ عليه السّنَةُ تغيّر لونُه واسْوَدَّ بعد صُفْرَته واجْتَوَتْه النعمُ والخيلُ .وأحَشَّ الكَلأُ : أمْكَنَ لأن يُحَشَّ ويُجْمَعَ .
الحِشَاشُ	:	الجُوالِقُ فيه الحَشِيش . والمِحَشُّ والمَحَشُّ : كِساءٌ من صُوف يُوضَع فيه الحَشِيش . والمِحَشّةُ : ما يُجْعَل فيه الحَشِيش .
المحَشُّ	:	مِنْجَل ساذج يُحَشُّ به الحَشِيش. والحُشّاشُ : الذي يُقْطَع به الحَشِيش .

اسْتَحَشَّ الغُصْنُ	:	طالَ .
الحائشُ	:	جماعةُ كل شجرٍ من الطَّرْفاء والنَّخْل وغيرهما .
الخادِشَةُ	:	أطرافُ السَّفا من سُنْبُل البُرِّ أو الشَّعير أو البُهْمى وهو شَوْكُه .
خَرَّشَ الزَّرْعُ	:	خَرَجَ أوَّلُ طَرَفِه من السُّنبل .
أرْبَشَ الشَّجرُ	:	أوْرَق ، وقيل : أخرَجَ ثَمَرَه كأنَّه حِمَّصٌ . وأرْبَشَ الأرْطى : اذا أوْرَقَ وتَفَطَّرَ .
رُفِشَ البُرُّ	:	جُرِفَ . والمِرْفَشَةُ :آلَةُ الرَّفْشِ وهي المِجْرَفَةُ من الخَشَب يُجْرَف بها الطَّعامُ . والرَّفَّاشُ : هائلُ الطَّعام بالمِجْرَفَة الى يَدِ الكَيَّال .
الرَّمْشُ	:	الطَّاقَةُ من الحَماحِم وهو الرَّيحان ونحوه .
أرْمَشَ الشَّجرُ	:	أوْرَقَ وتفطَّرَ ؛ كأرْبَشَ ، وقيل : أخْرَجَ ثَمَرَه كالحِمَّص .
كَلأٌ رَيْشٌ	:	كثيرُ الوَرَق ، ومثلُه رَيِّشٌ .
الشَّغْوْشُ	:	رديءُ الحِنْطة ، مُعَرَّب .
الشِّيْشُ	:	التَّمْرُ الذي لا يَشْتدُّ نَواه ، ومثلُه الشِّيْشاءُ ، لُغَةٌ في الشِّيْص والشِّيصاء أو هو مُعَرَّب . وهو من الآفات والعُيوب .
العَرْشُ	:	الاصلُ يكون فيه أربع نخلات أو خمسٌ . واذا نبتَتْ رَواكيبُ أربع أو خمسٌ على جِذْع النخلة فهو العَرِيش .
العَرْشُ	:	ما عُرِّشَ للكَرْم من عِيدانٍ تُجْعَل كهيئة

		السَّقْف فتُجْعَل عليها قُضْبانُ الكَرْم ، وهو العَرِيْشُ أيضاً . وعَرش الكَرْمَ وأعْرَشَه : رَفَعَ دَوالِيَه على الخشب . وعَرَّشَه : عَطَفَ العِيدانَ التي تُرْسَلُ عليها قُضبانُ الكَرْم . واعْتَرَشَ العِنَبُ : اذا عَلا على العَرْشِ والعَرِيش.
العَرِيْشُ	:	المظلّةُ التي تُسَوّى من جَرِيد النَّخْل ويُطْرَحُ فوقها الثُّمامُ .
العَشّةُ	:	الشجرةُ الدَّقيقة القُضبان . وقيل : هي المُفْتَرِقة القُضبان التي لا تُواري ما وراءها .
العَشّةُ	:	النّخْلةُ الصَّغيرة الرأسِ القليلةُ السّعَف . وقد عَشّتِ النخلةُ وعَشّشَتْ : قَلَّ سَعَفُها ودَقَّ أسفلُها ، وذلك من الآفات ، واسْمُ الداء العَشَشُ .
عَشّشَ الكَلأُ	:	يَبِسَ ، فهو عَشٌ .
زَرْعٌ مُعَطّشٌ	:	لم يُسْقَ .
العَقْشُ	:	أطرافُ قُضْبانِ الكَرْمِ .
العَقَشُ	:	ثَمرُ الأراك ، ويُقال له الكَباث والجَهاد والحَثَر والجَهاض والعثلة .
شَجَرَةٌ عَكِشَةٌ	:	كثيرةُ الفُروع مُتَشَجِّنَةٌ . والعَكِشُ من النّبات : الكثيرُ المُلْتَفُّ .
العَوْكَشَةُ	:	أداةٌ للحَرّاثين تُذَرّى بها الأكداسُ المَدُوسَةُ ، وتُسَمّى الحِفْراةَ أيضاً .

العُمْشُوْشُ : العُنقود اذا أُكِلَ بعضُ ما عليه وتُرِكَ بعضُه ، ويقال له العُمْشُوق أيضاً .

عَنْكَشَ العُشْبُ : هاجَ وكَثُرَ والْتَفَّ .

العَيْشُ : الزَّرْعُ ؛ حِجازيّة .
الطّعامُ ؛ يمانيَة .

الغَرْشُ : حملُ شجرٍ أي ثَمَرُه ، يمانية .

الفَرْشُ : مرحلةٌ من مراحل نُمُوِّ النخلة وذلك عندما تَصِير ثلاثَ خُوصات ، وكذلك الزَّرْعُ اذا صارتْ له ثلاثُ ورقاتٍ وأَرْبَع .

الفَرْشُ : الصِّغار من الشجر ، ويُسَمّى الدِّقَّ أيضاً .

الفَرْشُ : الدّارَةُ من الطّلْح. وفَرْشُ العِضَاهِ : جماعَتُها.

فَرَشَ النّباتُ : انْبَسَط على وَجْه الأرض في أوّلِ نشوئه ونهوضه ، ومثلُه فَرَّشَ ، ويُسَمّى ذلك النبات: الفَرِيشَ . وأفْرَشَ الشجرُ : أغْصَنَ ، وفَرَّشَ : مِثلُ فَرَّخَ .

الفَرَاشُ : أوّلُ ما يُبْنى من الثّمِيلة ، يحفرون خندقاً على الرّكِيب — وهو حائطُ النخلِ — ويُسَمّون الحَفْرَ السّامَةَ ، ثم يَبْنُون الجَدْرَ . فأولُ ما يُبْنى به الفَرَاشُ ، وهي حِجارة عظامٌ أمثال الأرْحَاء ، ثم بالحَفَضِ وهي حِجارةٌ صِغارٌ .

الفَشُّ : حَمْلُ اليَنْبُوت .

قَشَّ النباتُ : يَبِسَ .

القَشُّ	:	رديءُ التَّمْر والنَّخل ، يمانية ، (عمانيــة) . ويُعَدُّ من جملة الآفات والعيوب .
القِشْقِشَةُ	:	ثَمَرَةُ أمّ غَيْلانَ .
القَوَاشَةُ	:	ما يبقى في الكَرْم بعد قَطْعِه .
المُكَرَّشَةُ	:	ما تَعَقّفَ بَزْرُه من انواع البطِّيخ .
الكُشُّ	:	الحِرْقُ الذي يُلْقَحُ به النّخْلُ .
المُشَاشُ	:	الطِّينة التي غُرِسَ فيها النّخْلُ .
أمَشَّ السَّلَمُ	:	خَرَجَ مايخرج من أطرافه ناعِماً رَخْصاً كالمُشَاش.
الأُنْبُوْشُ	:	أصْلُ البَقْل المَنْبُوش ، وأنابِيْشُ العُنْصُلِ : أُصُولُه تحت الأرْض . وقيل : الأُنبوش هو الشجرُ المُقْتَلَعُ بأصلــه وعُروقه . وقيل : هو ما قَلَعْتَه مع أصْلِه من صغار الشجر.
الأُنْبُوْشُ	:	البُسْرُ المَطْعُونُ فيه بالشّوك حتى ينضج ويُرْطِب.
النّتَشُ	:	هو النّبات أوّل ما ينبُتُ من أسْفَل وفَوْقَ . وانْتَشَ الحَبُّ : اذا ابتَلَّ فضَرَبَ نَتَشَه في الأرض . وأنتَشَ النّبات : أخْرَجَ رأسَه من الأرض قبل أنْ يُعْرِقَ .
نَشَّ الرُّطَبُ	:	يَبِسَ .
النّقْشُ	:	أنْ يُضْرَبَ العِذْقُ بشَوْكٍ حتى يُرْطِب . ونُقِشَ العِذْقُ : اذا ظهر فيه نُكَتٌ مــن الإرطاب .

أُتْرُجَّةٌ هَشَّةٌ : رِخْوَةُ المَكْسَرِ .
الهَشِيْشَةُ : الوَرَقَةُ المَخْبُوطة .
أَوْباشُ النباتِ : ضُروبُه المُتَفَرِّقة ، أو أنْ يكون قليلاً مُتَفَرِّقاً ٥

(حرف الصاد)

النَّبات :

الإجّاصُ : ثَمَرٌ معروف ، من الفاكهة ، وهو أنواع ، وأجْوَدُه الأرْمَنيُّ الحُلو الكبير ، وهو من نبات بلاد العَرَب ، ويقال له الإنْجاصُ أيضاً ، ويُطلق الشاميُّون الإجّاصَ على المِشْمِش والكُمَّثْرى .

البَرِيْصُ : نبتٌ يُشْبِه السُّعْدَ ، ينبُتُ في مَجاري الماء ٥
البِلَنْصاةُ : بقلةٌ ، وسَمّاها بعضُهم : البَانْصاءَ .
الجَمْصُ : ضَرْبٌ من النَّبت .
الحُصُ : الزَّعْفَرانُ .
وقيل : هو الوَرْسُ يُصْبَغُ به .

الحِمَّصُ : حَبٌّ معروف ، من القَطانيِّ ، وهو أبيض وأحمر وأسود وكِرْسِنيٌّ ، ويكون بَرِّيّاً وبُسْتانياً ، والبَرِّيُّ أحَرُّ وأشَدُّ تسخيناً وغِذاءً ، والبُستانيُّ أجْوَدُ ، والأسود أقوى وأبلغُ في أفعاله . ولـه منافع طبية كثيرة .

الحَمَصِيْصُ : بقلةٌ طيِّبة الطَّعْم ، جَعْدَةَ الورق ، حمراء الاصل ، من احرار البقول ، رَمْليّة تنبُتُ في

رَمْل عالج وجِبال الدَّهناء ، حامِضَة دُون الحُمّاض في الحُموضة ، وثَمَرَتُها كثمرة الحُمّاض ، تُجْعَل في الأقِط ، ويأكُلُها الناسُ والابلُ والغنمُ . ويُسَمِّيها أهل الجبل وخراسان : التُّرْفَ ، وقد تُسَمّى الثّوْلَ أيضاً . وقيل : الحَمَصِيصُ عُشْبَةٌ تَطُول طُولاً شَديداً ، ولها وَرَقَة عَريضة وزَهرة حمراء ، فاذا دنا يُبْسُها ابيضَّت الزهرة ، والناس يأكلونها

الخَرْبَصِيصَةُ : نَباتٌ له حَبٌّ يُتّخذ منه طَعامٌ ، فيُؤْكَل .

الخَلَصُ : شَجرٌ ينبُتُ كالكَرْم يتعلّق بالشجر فيَعْلُو ، وله وَرَقٌ أغبر رقاق مُدَوَّرَةٌ واسعة ، وله وَرْدٌ كورد المَرْو ، وأُصُولُه مُشْرَبَةٌ ، وهو طيِّبُ الرِّيح ، وحَبُّه كنَحْوِ حَبِّ عِنَب الثّعلَب ؛ يجتَمِع الثّلاثُ والأرْبَعُ معاً ، وهو أحْمَرُ كخَرَز العَقِيق ، لا يُؤْكَل ولكنّه مَرْعىً .

الدَّوْفَصُ : البَصَلُ ، وقيل : البَصَلُ الأمْلَسُ الأبيض .

الدَّمَيْصُ : شَجرٌ .

الرَّمِيْصُ : بَقْلٌ أحْمَرُ .

العُرَقُصاءُ : هو الحَنْدَقُوقى أو الذُّرَقُ ، وهو نَباتٌ يكون بالبادية ، له ساقٌ كساقِ الرّازِيانَج ، وجُمّتُه وافرةٌ مُتَكاثفة . ويُقال له العُرْقُصُ والعُرَيقِصاءُ أيضاً . وذكروا انه نافع جداً في جميع انواع الوَباء .

العَفْص : اسمٌ معروف يُسَمّى به الشجرُ والثمرُ ، وهو الذي يُتّخَذُ منه الحِبْرُ .
وقيل : هو شَجَرَةٌ من البَلُّوط تحمل سنةً بَلُّوطاً وسَنَةً عَفْصاً . ويقال انّه دواء ناجع للأعضاء الرِّخوة الضَّعيفة ، واذا نُقِعَ في الخَلِّ سَوَّدَ الشَّعَرَ .

العُلَّيْص : نَبْتٌ يُؤْتَدَم به ويُتّخَذُ منه المَرَقُ .

الغَصْغَصُ : ضَرْبٌ من النّبات .

الفِصْفِصُ : القَتُّ . وقيل : هو الرّطْبُ منه .

القُرّاصُ : نبتٌ ينبُتُ في السُّهولة والقِيعان والأوْدِية والجَدَد ، وزَهرُه أصفر ، وهو حارٌّ حامضٌ ، يقرُصُ اذا أُكِلَ منه شَيْءٌ .
وقيل : هو البابُونَجُ ؛ وهو نَوْرُ الأُقْحُوانِ الأصفر اذا يَبِسَ .
وقيل : القُرّاصُ ضَرْبانِ : أحدُهما العَقّار — وقد مرَّ ذكره في حرف الراء — والآخَرُ : نبتٌ كالجِرْجير ، يَطُول ويسمو ، وله زَهرٌ تجرُسُه النّحْلُ منه مالَوْنُه أصفر ومنه ما نَوْرُه الى السّواد ، وله حَراوَة كَحَراوة الجرجير ، وحَبٌّ صغار حُمرٌ ، والسّوّامُ تُحِبُّه وتَحْبَط عنه كثيراً لحَراوته حتى تَنْقَدَّ بُطونُها ، وقد تأكُلُ الابلُ منه الأَكْلَةَ الواحدةَ فتَحْبَط منه ، والنّاسُ يَحْذَرونه ما دام غَضّاً ، فاذا وَلّى ذَهَبَ ذلك عنه .

وقيل : القُرّاصُ هو الوَرْسُ .
وقيل : هو عُشْبَةٌ صفراء ، وزَهرتُها كذلك ، لا يأكُلُها شَيْءٌ من المال الآهُرِيْقَ فَمَهُ ماءً ، وهو من ذُكُور النّبت ، ومَنابته القِيعانُ .

القُرَّيْص : عُشْبٌ ، وكأنّه القُرّاص المتقدِّم الذكر ، من لغة العامة .

القَصَاصُ : شجر باليَمَن يجرُسه النَّحلُ ، وهو ضرب من الحَمْض ، ومنه العَسَلُ الذي يُسَمّى عَسَلَ قَصَاصٍ .

القَصِيْصَةُ : شجرةٌ رَقْطاء تنبُتُ أبداً في أصْل الكَمْأة ، وبها وبالإجْرِدِ يُسْتَدلُ عليها ، ويُتّخَذ منها غِسْلٌ للرأس كالخِطْمِيِّ .

القَصْقاصُ : ضَرْبٌ من الحَمْض ، وهو نبات دقيق ضعيف أصفر اللّون ، وهو أُشْنانُ الشّام . ويُسَمّى القَضْقاضَ — بالضاد المعجمة — ايضاً .

القُعْمُوصُ : ضَرْبٌ من الكَمْأة .

الكَحْصُ : نباتٌ له حَبٌّ أسود يُشَبّهُ بعَيْن الجَراد .

الكَرِيْصُ : بَقْلَةٌ يُحَمّضُ بها الأقِطُ .

الكِرْمُوْصُ : التّينُ .

المُصَاصُ : نباتٌ رَمْليٌّ ، ينبُتُ خِيْطاناً دقاقاً غير أنّ لها لِيْناً ومَتَانَةً ، ونَباتُه نحو نَبات الإذْخِر ، وله قُشُورٌ كثيرة يابسة .

وقيل : هو الثُّدّاءُ ، أو يَبِيسُه خاصةً .
وقيل : هو نبتٌ يُشْبِه الثُّدّاءَ ؛ أدقّ منه ، ونَباتُهما نبات الكُرّاثِ الاّ انّه يخرج من أصْلٍ واحدٍ وَرَقٌ كثير ، فترى الأصْلَ منه قد أخذَ قطعةً من الأرض ، وورقُه صُلبٌ مَتِينٌ ، تُتّخَذُ منهما جَميعاً الحِبالُ . وللمُصَاص زَهرةٌ ، وهو مَرْعىً .
وقيل: الثُّدّاءُ والمُصَاصُ والعَيْشُومُ شَيءٌ واحدٌ.
ويَبِيسُ المُصَاص ثَقُوبٌ جَيِّد ، ويُقال له المُصّاخ . ولِلِينه ومَتَانَتِه يُخْرَز به ، فيُؤْخَذ ويُدَقُّ على الفَرازِيم حتّى يَلِيْنَ . ويعظمُ المُصَاصُ حتّى تُفْتَلَ من لِحائه الأرْشِيةُ ، وحِبَالُه جِيَادٌ .

المُصّانُ : قَصَبُ السُّكّر .

النَّمَصُ : ضَرْبٌ من الأسَل لَيِّنٌ ، تُعْمَلُ منه الأطباقُ والغُلُفُ ، وهو قَليلُ النُّجُوع في السائمة تَسْلَح عنه الإبِلُ . وضبطه بعضُهم بكسر النُّون وسكون الميم .

الهَقْصُ : ثَمَرُ نَباتٍ يُؤْكَل ، وقيل : هو الهَقَصُ بالتّحريك .

ما يتعلّق بالنبات :

الأصِيصُ : ما تَكَسّرَ من الآنِيَة وهو نصفُ الجَرّة أو الخابِيَة تُزْرَعُ فيه الرَّياحِينُ .

البَصِيْصُ : لَمَعَانُ حَبٍّ الرُّمّانة .

البَصْبَاصُ : ما يَبْقى من الطّرِيفة على عُوْدٍ كأنّه أذنابُ اليَرابيع .

بَصَّص النَّبْتُ : انْشَقَتْ عيونُه وتَفتّحَ للايراق . ويُقال للوَرَق حين يَنْفَتِـــحُ : بَصَّصَ أيضاً . وبَصَّصَت البَرَاعِيمُ : تَفَتّحَتْ أَكِمَّةُ الرِّياض .

البُوْصُ : ثَمَرُ نَبات .

جَصَّصَ الكَرْمُ : اذا هَمَّ العُنْقُودُ أنْ يخرجَ ودَنا خُروجُ الحُجْنَة وعَظُمَت الزَّمَعَةُ .

جَصَّصَ النَّبْتُ : اذا بدا أوّلَ ما يخرج ، مِثْلُ بَصَّصَ .

الحُرْقُوصُ : نَواةُ البُسْرَةِ الخَضْراء .

الحُصَاصَةُ : ما يبقى في الكَرْم بَعْدَ قِطافِه . ولعله تصحيف (الخُصَاصَة) الآتية .

انْحَصَّ وَرَقُ الشّجَرِ : تَناثَرَ ، مِثْلُ انْحَتَّ .

الحَفَصُ : عَجَمُ النَّبِقِ والزُّعْرُورِ ونحوهما .

الخُرْصُ : فَرْعُ النّخْل أي جَرِيدتُه ؛ والغُصْنُ ، أو كلُّ قَضيب رطب أو يابس ، ويُقال بفتح الخاء وبكسرها أيضاً .

الخُصَاصَةُ : ما يَبْقى في الكَرْم من بَعْد قِطافه ؛ العُنَيْقِيْدُ الصَّغيرُ ها هُنا وها هُنا . وقيل : اذا لم يَرْوَ الغُصْنُ من الكَرْم وخَرَجَ منه الحَبُّ مُتَفَرِّقاً ضَعيفاً فهو الخُصَاصَةُ .

الخُلُوصُ : رُبٌّ يُتَّخَذُ من تَمْرٍ .

الخُنَّاصَةُ : مرحلةٌ من مراحل نُمُوٍّ النَّخْلة ، وهي التي لم تَفُتِ اليَدَ ، ويُقال لها الخِنَّوْصَةُ والخُوْصَة أيضاً .

الخُوْصُ : وَرَقُ النَّخْلِ والمُقْل والدَّوْم والنَّارَجيل والخَزَم والكاذِيِّ والفُوْفَل والغَضَف وما أشْبَهَ ذلك مِمَّا نَباتُه نباتُ النَّخْل ، لا يُقال فيها وَرَقٌ ولكنْ خُوصٌ ، وهو اسْمٌ لرَطْبِه ويابِسِه . وقيل : الخُوْصُ يابِسُه والسَّعَفُ رَطْبُه .

الخُوْصَةُ : ما كانَ من وَرَقٍ ليس بعَريضٍ .

وقيل : الخُوْصَة من الجَنْبَة ما نَبَتَ على أُرُوْمَةٍ أو من نبات الصَّيْف خاصةً .

وقيل : الخُوْصَةُ : ما ينبُتُ في أصْلٍ حِينَ يُصيبُه المَطَرُ ، والبَقْلُ ينبُتُ في حَبٍّ .

وقيل : اذا ظَهَرَ أخْضَرُ العَرْفَج على أبْيَضِهِ فتلك الخُوْصَة .

وذَكَروا انَّ للأرْطى والألاء والعَرْفَج والسَّبَط والثُّمام خُوصاً . وخُوصة الأرْطى مِثْلُ هُدْبِ الأثْل ، وخُوصة الألاء على خِلْقَة آذان الغَنَم ، وخُوصة العَرْفج كأنَّها ورَقُ الحِنَّاء ، وخُوصة السَّبَط على خِلْقَة الحَلْفاء .

أمَّا البُقُول التي يَتَناثَرُ وَرَقُها وَقْتَ الهَيْج

فلا خُوصة لها . ويُتّخَذُ من الخُوص الحِبَالُ ، وتُسَمّى تلك الحِبَالُ الشّرِيْطَ .

أخْوَصَ الرِّمْثُ : تَفَطّرَ بورَقٍ ، وكذلك العَرْفَجُ ، وعَمّ بعضُهم به الشّجَرَ فقال : اذا نبتتْ للشّجَر بَعْدَ الايراق أغْصَان رطبة دقاق ناعمة فقد أخْوَصَ الشّجَرُ ، وتلك الأفنان خُوصة ، وحينئذٍ ترى الشجرَ قد اشْتَدّتْ خَصَاصُه وخَفِيَتْ عِيدانُه القَديمة . وأخْوَصَتِ الخُوصةُ : بَدَتْ . وخَوّصَتِ الفَسِيلةُ : انْفَتَحَتْ سعفاتُها .

الخَيْصى : نُبَذٌ من العُشب .

نَباتٌ رَخْصٌ : هَشٌّ لَيِّنٌ .

ارْتَعَصَتِ الشجرةُ : اهْتَزّتْ .

الشّبَصُ : الخُشُونة ودُخُول شَوْكِ الشجربعضِه في بعضٍ ، وقد تَشَبّصَ الشّجَرُ ، يَمانِيَةٌ .

الشِّيْصُ : تَمْرٌ لايَشْتَدُّ نَواه وقد لايكون له نَوىً أصْلاً ، وهو أرْدَأُ التّمْر ، وذلك من الآفات والعيوب ، وانّما يُشَيِّص اذا لم يُلْقَحْ . وأهل المدينة يُسَمُّونَ الشِّيْصَ السّخْلَ ،ويُقال له الصِّيْصُ أيضاً . وأشاصَ النخلُ وشَيّصَ : اذا فَسَدَ وصار حملُه الشِّيْص . والشِّيْصاءُ مثلُه .

الصِّيْصُ : هو الشِّيْص المتقدم الذكر ، ومثلُه الصِّيْصاءُ . وقد صاصَتِ النخلة وأصاصتْ وصَيّصَتْ .

الصِّيْصَةُ	:	الوَتِدُ الذي يُقلَعُ به التَّمرُ ، ويُقال له الصِّيْصِيَةُ أيضاً .
الصِّيْصَاءُ	:	حَبُّ الحَنْظَل الذي ليس في جَوْفِه لُبٌّ ، وكذلك حَبُّ البِطِّيخ والقِثّاءِ وما أشْبَهَهُما .
العُنْصُوَةُ	:	القطعة من الكَلإ والقَليلُ المُتَفَرِّقُ من النَّبْت ، وتُفْتَح العين وتُكْسَر أيضاً ، ويُقال له العِنْصِيَةُ والعِنْصَاة .
العِيْصُ	:	جماعةُ الشجر ذي الشَّوك ، أو الشجر الكثير المُلْتَفُّ النابت بعضُه في أُصول بعضٍ ، يكون من الأراك ومن السِّدْر والسَّلَم والعَوْسَج والنَّبْع ومن العِضاه كلِّها . وقيل : هو مَنْبِتُ خيار الشجر . وقيل : هو السِّدْرُ الملتفُّ الأُصُول خاصةً . وقيل : بل هو أُصول الشجرِ .
الفَرْصُ	:	نَوى المُقْل .
الفَصُّ	:	السِّنُّ من أسنان الثُّوم ، ويُسَمّى الرأسَ ايضاً كما مرَّ في حرف السين .
الفِصْفِصَةُ	:	الرَّطبة من عَلَف الدَّوابّ ، وقيل : هو رَطْبُ القَتِّ ، فاذا جَفَّ فهو قَضْبٌ .
الفُقَيْصُ	:	حَديدةٌ كحَلْقَة في أداة الحَرّاث تَجْمَع بين عِيدانٍ مُتَبايِنةٍ مُهَيّأة مُتَقابلة .
الفَقُّوْصُ	:	البِطِّيخةُ قبل أنْ تَنْضَج ؛ في لُغَة أهل مِصْرَ .
القَفَصُ	:	أداةٌ للزَّرْع ، وهي خَشَبَتانِ مَحْنُوَّتانِ ،

		بين أحنائهما شَبَكَةٌ ، يُنْقَل فيها البُرُّ الى الكُدْس .
القَفِيْصُ	:	حَديدةٌ من أداة الحَرّاث ؛ هي عِيَانُ الفَدّانِ وحَلْقَتُه . ويُقال لها القَفَصُ والقَفِيْصَةُ أيضاً.
اللاّمِصُ	:	حافِظُ الكَرْم .
ألْمَصَ الكَرْمُ	:	اذا لانَ عِنَبُه .
ألْمَصَ الشّجرُ	:	أمْكَنَ أنْ يُلْمَصَ أي يُرْعى .
المُصِيْصُ	:	أنْ يُفْسِدَ النخلةَ التلقيحُ ويُجَزِّرَها .
المَوْصُ	:	التِّبنُ .
النّبْصُ	:	القليلُ من البَقْل اذا طَلَعَ ، وقيل : هو النّبَصُ بالتحريك .
النّدْصُ	:	خُروج النّواة من التّمْرَة أو التّمْرة من النّواة .
النّمَصُ	:	أوّلُ ما يَبْدُو من النبات فأمْكَنَكَ جَزُّه . وقيل : هو أوّلُ ما ينبُت فيملأُ فَمَ الآكِلِ . وأنْمَصَ البَقْلُ : أي ارتفعَ قليلاً حتى يمكن أنْ يُنْتَف بالأظفار .
النّمِيْصُ	:	النبتُ الذي نَمَصَتْه الماشِيَة بأفْواهِها أي نَتَفَتْه. وقيل : هو الذي قد أُكِلَ ثُمَّ نَبَتَ ، وأنْمَصَ النّبْتُ . طَلَعَ بَعْدَ أنْ أكَلَتْه الماشيةُ .
يَصَّصَ النّبْتُ	:	تَفَتّحَ بالنّوْر .

• • •

العراق ودوره في تحقيق الشعر

الدكتور نوري حمودي القيسي

كلية الآداب — جامعة بغداد

رئيس معهد البحوث والدراسات العربية

عندما يكون التحدي حالة من حالات الطمس ، والتجاوز ظاهرة من ظواهر انهاء الشخصية تتوثب في دواخل النفس أحاسيس المجابهة لايقاف حالة التحدي ، وتتنازع أسباب البقاء لتوقف سيطرة التجاوز ، وقد استطاع الانسان عبر تجاربه الطويلة ، وحياته الحافلة باصناف التطور أن يُدرك هذه الحقيقة ، ويعالج الأسباب التي توجهها اليه فطرته اولاً وتجربته ثانياً وعلمه في المراحل المتقدمة ، ليدفع عنه وضعاً شعر بخطره ، ووقف على نتائجه ، وكانت الكتابة والتدوين اوّل وسائله لتحديد معالم حياته ، وتوضيح اساليب علاقاته ، وتأكيد وجوده ، لأن الأثر والكتابة علامات ثابتة ، ومآثر شاخصة يقرأ فيها واقع الانسان ، وتستبان في سطورها اشكال حركته ، وانماط سلوكه ، واحداث صراعه ، واذا كان انسان العراق من اوائل المواكب البشرية التي اهتدت الى الكتابة فقدّم ملحمة كلكامش ، ودوّن الشرائع ، واستخدم العقود التجارية ، وصنع الأختام الاسطوانية بعد استعماله لألواح الطين الرقيقة بسبب توفر الغرين على ضفاف نهريه وتيسرها لكل الراغبين في الكتابة لرخصها . وظلّت الأمم مدينة لهذا الانسان الذي مهد للبشر وسائل الاستخدام الموفقة لتدوين مفردات حياتها ، وترك لها الخيار في استنباط الأساليب المرجّحة

في هذا التعامل ، وليس غريباً ان نرى عراق الحضارة يستعيد هذه المكانة في ظل الفكر الإسلامي ، وفي رحاب الرسالة الانسانية التي حملها الرسول الكريم بعد أن اتجهت اليه الأنظار ليكون علامة مضيئة من علامات الهداية ، ومركز اشعاع من مراكز المعرفة . وهنا كان التدوين حلقة جديدة من حلقات المعرفة ، ووجهاً من وجوه تسجيل الانتاج الفكري ، وتيسير نقله ، وتهيئته الوسائل الكفيلة بضبطه لأن الكتابة ترتبط بفكرة الخلود والبقاء ، وقد حرص العرب على الكتابة، واستخدمت من أجل ذلك اساليبُ شتى ، فكانوا يجعلون الكتاب ـــ كما يقول الجاحظ [1] ـــ حفراً في الصخور ، ونقشاً في الحجارة ، وخِلْفةً مركبة في البنيان فربما كان الكتاب هو الناتيء ، وربما كان الكتاب هو الحفر إذا كان تاريخاً لأمر جسيم أو عهداً لأمر عظيم ، أو موعظة يُرتجى نفعها ، أو احياء شرف يريدون تخليد ذكره كما كتبوا على قُبةِ غُمْدان ، وعلى باب القيروان ، وعلى باب سمرقند ، وعلى عمود مأرب ، وعلى رُكن المشقّر ، وعلى الأبلق الفرد ، وعلى باب الرُّها ، يعمدون الى الأماكن المشهورة والمواضع المذكورة ، فيضعون الخطّ في أبعد المواضع من الدُّثور ، وامنعها من الدروس وأجدر بأن يراها مَنْ مَرّ بها ، ولا تُنسى على وجه الدهر .

وتجمع المصادر على أن أوّل من صَنّف وبَوّب هو ابو بكر ابن ابي شيبة بالكوفة فكان من أوائل من عرفوا بتكثير الأبواب وجودة التأليف وحسن التصنيف وذكر الذهبي ان سعيد ابن أبي عروبة هو أوّل من صنف الأبواب بالبصرة وهذا يعني ان التبويب يمثل مرحلة متقدمة من مراحل التأليف عند العرب ، وان هذه المرحلة كانت تعتمد التنسيق والترتيب ، وانها تتميز عن مرحلة التصنيف ، وان بدايته كانت مبكرة وان ابا بكر ابن ابي شيبة تفرد بتكثير الأبواب ، اما في تدوين أخبار السيرة النبوية فقد كان اول كتاب شامل وصل الينا هو سيرة الرسول

(١) الجاحظ . الحيوان ٦٨/١ .

صلّى الله عليه وسلّم لمحمد بن اسحاق المتوفى في حدود سنة (١٥٠) للهجرة برواية ابن هشام التي اختصر روايتها واضاف اليها . ومن الطبيعي ان التدوين والتأليف لا يمكن ان يقوم لهما وجود ، ولا يتحقق لهما ذكر أو بداية إلا اذا كانت المواد التي تستخدم للكتابة متوفرة ومنتشرة ، تُسهّل لمن أراد استخدامها ، وتيسر لمن رغب في التأليف ليتمكن من تحقيق رغبته ، وتجميع ما يروم جمعه كتاباً أو سيرة أو ديوان شعر ، وتؤكد الأخبار والروايات والنصوص أن الصحف كانت شائعة ، وان تداولها كان معروفاً ، وأسواقها منتشرة ، وتجّارها المتخصصين بها . والقائمين عليها كانوا يمثلون طبقة تعرف بالوراقين وقال ابن سلاّم « وكان لأهل البصرة في العربية قُدمَةٌ ، وبالنحو ولغات العَرب والغريب عناية » (٢)

ان اهتمام الرواة برواية الشعر وحرصهم على حفظه وتدوينه ونقله كان قد عُرف في مطلع القرن الثاني للهجرة في البصرة والكوفة ، وقد اهتمت به طبقة خاصة متميزة اتخذت من الشعر موضوعاً تدرسه ، ومادة اساسية لحفظ ديوان العرب وأخبارهم ، تأخذه عن طريق الرواية أو الاسناد ، وتتابع أصوله في مجالس العلم وحلقات الدرس ، وتلم بوجوه رواياته ، وتفسير غريبه ، وشرح معانيه ، والوقوف على أسباب الاستشهاد به ، والظروف التي احاطت به ، وكثيراً ما كان حرصهم يدفعهم الى الرحلة الى البادية لمشافهة الأعراب والأخذ عنهم ، والاستماع الى من يَفِدُ منهم الى الحواضر ، توثيقاً لرواية ، وتعزيزاً لخبر ما وتأكيداً لنسبة. وقد ذكر ثعلب ان ابا عمرو الشيباني دخل البادية ومعه دَسْتيجتان من حبر فما خرج حتى افناهما بكتب سماعه عن العرب (٣) . وقد اكثر الجاحظ من هذه الأحاديث التي نثرها في كتبه وأشار فيها الى سماعه والتقاطه من افواه اصحاب الأخبار ما حفظه في كتبه وهي قناة واسعة من قنوات الرواية التي عرفها القرن الثاني الهجري .

---

(٢) ابن سلام . طبقات فحول الشعراء ١٢/١ .
(٣) الانباري . نزهة الالباء ٦٣ .

وكان ابو عمرو ابن العلاء المتوفى في حدود سنة ١٥٤ هـ وحماد الرواية المتوفى سنة ١٥٦ خلف الأحمر المتوفى في حدود سنة ١٨٠ والمفضل الضبى المتوفى في حدود سنة ١٦٨ من أوائل الرواة الذين مهدوا الطريق أمام حركة احياء الشعر عن طريق التدوين وتوثيقه من خلال الضبط الصحيح والرواية الموثقة ، وقد أجمع كثير من الرواة الأوائل على تقديم هذه الطبقة والاعتراف بجمعها اشعار العرب ، اما الطبقة الثانية فهم تلامذة هذه الطبقة الأولى . وهم الاصمعي المتوفى في حدود ٢١٦ وابو عبيدة معمر بن المثنى المتوفى في حدود سنة ٢١٠ وابو عمرو الشيباني المتوفى في حدود سنة ٢١٣ وابن الاعرابي المتوفى سنة ٢٣١ ومحمد بن حبيب المتوفى سنة ٢٤٥ وابن السكيت المتوفى في سنة ٢٤٤ وابو حاتم السجستاني المتوفى سنة ٢٤٨ وابو زيد الانصاري واخذ عن هؤلاء السكري المتوفى سنة ٢٧٥ وثعلب والمبرد والأخفش والتوزي والرياشي والطوسي واليزيدي والزجاج والصولي وابن دريد .

وليس مصادفة ان تكون هذه الطبقات الثلاث من العلماء الأجلاء الذين عرفتهم العربية في تاريخها الحافل من ابناء العراق ، وليس غريباً ان تكون هذه الطبقات من البصرة وبغداد والكوفة لأننا نعرف أن هذه الطبقة من الرواة قد اخذت التراث الشعري وأخبار العرب وأنسابها عن المدونات القليلة والروايات الموثقة والقبائل التي حملت تأريخها وأيامها ومجدها الحضاري والفكري وان هذه الطبقة وهي الرائدة في استيعاب الموروث الحضاري للامة كانت تشعر بعوامل التحدي شاخصة وهي تقف أمام مجابهة قائمة تمثلت في النزعات الفارسية والفئات الدخيلة الأخرى التي سكنت العراق وعاشت فوق ربوعه أو اتصلت بابنائه عن طريق الوسائل الكثيرة التي عرفتها اسباب الاختلاط . وان هذه الطبقة كانت تؤمن بان شخصيتها القومية ، وقدرتها في بنائها تقوم على أساس الحفاظ على تراثها ، والحرص على تاريخها ، والاندفاع لتدوين هذا التراث الذي يمثل ديوان العرب وتاريخهم . وان هذه الطبقة كانت تؤمن بان الوفاء لهذه الامة يكمن في الوفاء

للغتها وإنه امانة يتناقلها الخلف عن السلف ، فحملوا أمانة الرسالة ، والتزموا بقيم العطاء النبيلة التي عاشت في وجدان الأمة ، فانصرفوا باخلاص يجمعون ما تفرق منه ، واندفعوا الى كل مجلس يبتغون منه حديثاً ما أو مدوّن يلتمسون اخباراً واشعاراً ، أو بادية تُتَناقَل فيها رواياتٌ لم يقفوا عليها . يجمعون ما يقع في حوزتهم ، ويختارون ما تصحّ روايته ، ويعرضون ما يشكّون في صحته على بساط البحث والتحري والدقة والتحقيق ، لتخليصه من اسباب الشك ، ووضعه في مواضع الصحة والتوثيق ، وقد وُهبوا مقدرة فائقة في التمييز ، وعلماً متمكناً في معرفة الشعر وفي مقولة ابن سلاّم في خلف الأحمر اشارة واضحة الى هذه المعرفة وهذا التمييز حيث قال : اجتمع اصحابنا أنه كان افرسَ الناس ببيت شعر ، واصدقَه لساناً ، كنّا لانبالى اذا اخذنا عنه خبرا ؛ او انشدنا شعرا أن لانسمعه من صاحبه [٤] ؛ ثم قال : وكان الاصمعي وابو عبيدة من اهل العلم ؛ واعلم من وَرَدَ علينا من غير اهل اهل البصرة المُفضّل بن محمد الضبي الكوفي [٥] فهؤلاء العلماء اتخذوا من الشعر مداراً لاهتمامهم ، وموضوعاً لعلمهم ، ومادة لدراستهم . وقد اجمع مؤرخو الأدب على تسميتهم بأهل العلم لفضلهم وتميزهم وحسن معرفتهم وسلامة أحكامهم وصدق تجربتهم وفضل نقدهم . وقد أهلتهم هذه المنزلة الى أن ينفرد كل واحد منهم بمعرفة فريدة انتهى منها الى تثبيت رأيه فيما وصل الى علمه من صحة الرواية ، ووثوق السند ، وخلوصها من النحل والزيادة . حتى استقرت في نفسه مجموعة دواوين الشعراء أو مختارات من اشعارهم ، فراحوا يقرأونها على تلامذتهم ويروونها في حلقات دروسهم ويتناولون بعضها بالشرح والتفسير ، ويقفون عند غريبها شارحين بعض الفاظها ، وكانت حصيلة هذا الجهد اوّل كتابين في العربية من كتب الاختيارات هما كتاب المفضليات الذي اختاره المفضل

---

(٤) ابن سلام . طبقات فحول الشعراء ١/٢٣ .
(٥) ابن سلام . طبقات فحول الشعراء ١/٢٣ .

رأس علماء الكوفة في عصره ولم نعلم أن أحداً عمد الى اختيار قصائد أخرى من الشعر فجمعها قبله والقصائد الطوال التي جمعها حماد الراوية . ويبقى هذان الكتابان موضع عناية الشراح واللغويين ، وموئل اهتمامهم ، وصورة اعجابهم فينصرفون الى شرحها وتفسيرها واعراب ابياتها وبيان بلاغتها . وحفظت لنا كتب الفهارس اسماء خمسة من الأعلام الذين تولوا شرح المفضليات وهم :

١ـ ابو محمد القاسم بن محمد بن بشار الانباري المتوفى سنة ٣٠٥ للهجرة
٢ـ ابو جعفر محمد بن النحاس المتوفى سنة ٣٣٨
٣ـ ابو علي احمد بن محمد المرزوقي المتوفى سنة ٤٢١ .
٤ـ ابو زكريا يحيى بن علي ابن الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٥٠٢ .
٥ـ ابو الفضل احمد بن محمد بن احمد الميداني المتوفى سنة ٥١٨ .

اما القصائد السبع الطوال فعلى الرغم من اختلاف الرواة في عددها واسماء شعرائها فانّ هذه القصائد ظلت تحتفظ بأهميتها وأصالتها وصحة روايتها كما حظيت المفضليات باعتناء وشرّاح اللغة والنحويين والبلاغيين فإن هذه القصائد نالت الاهتمام نفسه فقد شرحها . .

١ـ ابو محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري المتوفى سنة ٣٠٥ .
٢ـ ابو جعفر محمد بن النحاس المتوفى سنة ٣٣٨ .
٣ـ الزوزني المتوفى سنة ٤٨٦
٤ ابو زكريا يحيى بن علي ابن الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٥٠٢ .

ووقفت عليها كتب الأدب واستشهدت ببعض قصائدها وابياتها امهات المصادر القديمة ، وفي هذا الاهتمام تتوضح اهمية هذين الاختيارين اللذين وضعا قاعدة اولية لكل كتب الاختيار ورسما منهجاً متميزاً لجمع الشعر وروايته ، ومهدا لحركة واسعة لمرحلة الجمع ، واذا اضفنا الى هذين الكتابين كتاب الاصمعيات للاصمعي والاختيارين للاخفش اتضحت امامنا حركة الجمع التي شهد العراق أول بـــداية

اها وتوطئة لحركة الاحياء الشعري التي تمت في القرن الثالث الهجري فحفظت ذخيرة العرب من الضياع ، وحققت اول بادرة في ميدان لم يطرق من قبل . ووضعت بين ايدي الباحثين أشعار النوابغ والفحول والمقلّين والمغمورين من الشعراء الذين بقي شعرهم يتردد في مواطن الاستشهاد ويُتمثل به في ترسيخ القيم النبيلة والخصال الحميدة ، ويُعتمد في تنشئة الأجيال وتقويم حياتها وتوجيه تربيتها ، ان حركة الاحياء هذه كانت ردّ فعل واضح لما تعرض له أدب الامة من ضياع في زحمة الحياة الجديدة التي بدأ المجتمع العربي يخوضها ، وفي ظل الاتساع الشامل لتطورها ، وفي رحاب السماحة الكريمة التي استوعبت كل الراغبين من ابناء الأمم غير العربية للعيش في فناء الشريعة الاسلامية وفي إطار التسامح الديني الذي اصبح صورة من صور الحياة المألوفة ، وطابَعاً عاماً تطبع به اساليب التعامل . في هذا الوضع الجديد .

كان الغيارى من الرواد في هذا البلد الناهض يشعرون ببوادر الخطر وهي تتسرب الى اللغة ، وعلامات الهُجنة والعُجمة تقتطع اجزاء من فكر الامة ، وتجتريء قطعاً من تراثها ، ومستوقد الشرر يُلهب الفاظاً ويُفسدُ اذواقاً ويُطمسَ معالمَ . كان هؤلاء يختارون القصائد التي تحمل طابع التربية والتأديب الذي يحمل النفس على الاتصاف بالخُلق الرفيع والتمثل بالشجاعة الكريمة ، والتحلي بالمثل العربية الأصيلة الى جانب كونها من روائع الشعر وبدائعه .

واذا كانت عناية المفضل وحماد قد انصرفت الى الاختيار فإن اهتمام ابي عمرو ابن العلاء قد تجسد في عنايته بالشعر الجاهلي وحفظه والاعتناء به بمجاميعه التي كان يأخذها شفاهاً ويُقيّدها أو يسمعها من الأعراب فيُلحقها بما يقف عليه أو يشرحها أو يفسرها أو يستشهد بها عندما يجد نفسه بحاجة الى حل المشكل من المعاني أو الغريب من العبارات ، أو المعظل من الألفاظ وقد تجلّى هذا الاهتمام بما نقله الجاحظ عن الاصمعي وهو يتحدث عن مجلس ابي عمرو ابن العلاء فقال : جلست الى ابي عمرو ابن العلاء عشر حجج ما سمعته يحتج

ببيت اسلامي [٦] . أما خلف الأحمر فقد قال عنه ابو زيد الانصاري : أتيت بغداد حين قام المهدي محمد ، فوافاها العلماء من كل بلدة بانواع العلوم ، فلم أرَ رجلاً أفرس ببيت شعر من خلف [٧] . وقال عنه ابو حاتم نقلاً عن الأصمعي : كأنما جُعل علم لغة العرب بين جوانح خلف [٨] . وقال ابو عبيدة : خلف الأحمر معلم الأصمعي ومعلم أهل البصرة [٩] . وتجمع المصادر على أن ابا عبيدة معمر بن المثنى قد جمع أشعار القبائل في كتاب واحد أو كتب عدة [١٠] وجمع الاصمعي بعض اشعار القبائل ودواوين الشعراء وكان يستقي أخبارها من رواة الطبقة الأولى ، ويعد ابو عمرو الشيباني من مشاهير الرواة الذين اهتموا بجمع دواوين القبائل فقد صنع شعر نيّف وثمانين قبيلة وكان كلما عمل منها قبيلة وأخرجها الى الناس كتب مصحفاً وجعله في مسجد الكوفة حتى كتب نيّفاً وثمانين مصحفاً بخطه [١١] .

واخذ ابن الاعرابي عن المفضل الضبي وعن ابي عمرو الشيباني وينقل ابن النديم عن ابي العباس ثعلب قوله . شاهدت مجلس ابن الاعرابي وكان يحضره زُهاء مائة انسانٍ ، وكان يُسأل ويُقرأ عليه . فيُجيب من غير كتاب . قال : ولزمته بضع عشرةً سنة ما رأيتُ بيده كتاباً قط . وقال : قد أملى علي الناس ما يُحمل على أجمال : لم يُرَ في علم الشعر اغزَر منه [١٢] .

واخذ محمد بن حبيب عن ابي عمرو الشيباني الذي عمل قطعة من اشعار

(٦) الجاحظ . البيان والتبيين ٣٢١/١ .
(٧) ابن النديم الفهرست /٦٠ .
(٨) الزبيدي . طبقات النحويين واللغويين /١٧٩ .
(٩) ابن الانباري : نزهة الألباء /٧٠ .
(١٠) ياقوت : ارشاد الاريب ١٦١/١٩ .
(١١) ابن النديم . الفهرست /٧٥ .
(١٢) ابن النديم . الفهرست /٧٥ .

العرب (١٣) وافرد لهم صاحب الفهرست المقالة الرابعة من كتابه ضمنه اخبار العلماء واسماء ما صنفوه من الكتب ويحتوي على الشعر والشعراء وقال في مقدمته : غرضنا في هذه المقالة أن نبيّن عن ذكر صناع اشعار القدماء واسماء الرواة عنهم ولدواوينهم واسماء اشعار القبائل ومن جمعهاوألفها (١٤) وعند متابعتنا للاسماء التي يوردها ابن النديم نجدها قائمة باسماء الرواة التي عرضنا لها وهم علماء الطبقة الاولى والثانية من رواة البصرة والكوفة وبغداد ثم يذكر قائمة باسماء الشعراء الذين عمل ابو سعيد السكري اشعارَهم ويذكر اكثر من خمسة واربعين شاعراً واشعار ست وعشرين قبيلة (١٥) . ويحفل هذا الباب الذي صنعه ابن النديم باعلام الرواية من الرواة الاوائل الذين شاركوا في جمع هذه الدواوين بحركة احياء كانت الاولى من نوعها في مرحلة بناء الشخصية العربية واكتمال الوسائل التي هيأت لانضاج الحركة الفكرية والثقافية التي شهدها القرن الثالث والرابع والخامس للهجرة (١٦) وقد عرف السكري كما عرف غيره من الرواة بثقته في الرواية ، حتى قيل عنه كان اذا جمع جمعاً فهو الغاية في الاستيعاب والكثرة (١٧) ، وعرفوه بأنه الراوية الثقة المكثر (١٨) .

ولا أغالي اذا قلت ان الشعر الجاهلي والاسلامي الذي وصل الينا كان عن طريق علماء البصرة والكوفة وبغداد وان هؤلاء العلماء قدموا خدمة جليلة للغة العرب ، وحفظوا لنا تراث الامة الشعري الذي ظل معيناً لتاريخ الامة ، ومؤملاً يُرجع اليه في دراسة حياتهم واعتماد اخبارهم والاستشهاد على تصحيح فكر وتصويب رأي

---

(١٣) ابن النديم . الفهرست /١١٩ .
(١٤) ابن النديم . الهرست /١٧٧ .
(١٥) ابن النديم . الفهرست /١٨٠ .
(١٦) تنظر قوائم اسماء الشعراء الاخرين في الفهرست / ١٧٨ – ١٨٠ .
(١٧) ياقوت . ارشاد الاريب ٩٤/٨ .
(١٨) نفس المصدر .

وتثبيت فكرة . واذا كانت البصرة والكوفة معقلين من معاقل الأعلام الذين وقفوا بوجه التحدي الذي استهدف شخصية الأمة وكان لهذين المركزين العلميين اهميتهما في صيانة قواعد اللغة والتصدي لكل العناصر الغريبة التي حاولت افساد فصيحها ، وتشويه نصاعتها واسقاط دورها ، وكان لعلمائهما الافذاذ نصيبهما في ترسيخ اصولها وتنقيتها مما علق بها وفاءً لدورها التاريخي باعتبارها لغة القرآن ، ووسيلة التعبير الأساسية ، واداة التوفيق بين العرب الذين امتلكوا زمام المبادرة في نشر الرسالة وتوطيد دعائم الدولة العربية كان لزاماً على ابنائها الغيارى ان يقفوا وقفتهم الكريمة لردّ دواعي التداعي ، واسقاط حجج الدعاة ممن حاول ايقاف مسيرتها ، وتعويق نهضتها فكان علماء العراق ومنذ اكثر من ربع قرن تقريباً يقفون نفس الوقفة، وينطلقون من عين المسببات ويتحركون في ذات الدائرة القومية التي بدأت ليعلنوا لأبناء العروبة بانّ ابناء هذا القطر العربي العريق يضطلعون بالدور الذي اضطلع به اجدادهم من الرواة الاوائل ، ويتحملون عبء ما تحمل به الاصمعي وابو عمرو ومحمد بن حبيب وابو زيد والسكري وثعلب ويرفعون عن كاهل الشعر العربي اثقالاً ظل ينوء بها سنين طويلة ، محققين بذلك هدفاً قومياً من اهداف النهوض والاحياء ، ورسالة ثقافية مشهودة ، تعيد للفكر العربي أصالته ، وتمسح عن وجه المعرفة شوائب الزيف وبقايا التشويه ، واحقاد التشكيك ، فانصرفوا الى فهارس المخطوطات ودور الكتب وخزائن التراث منقبين عن دواوين الشعر ومجاميعه ، ومستوفين من تحليله ودراسته اسباب التقويم الحقيقية ، ممهدين للباحثين مادة جديدة ، يُقرأ في ظلها الشعرُ قراءة جديدة ، وتدرس الآراء التي قيلت بشأنه دراسة جادّة ، ويُعاد النظر في الأحكام السريعة التي طبعته ، اعادة تعيد لهذا الأدب نصاعته ، وتعطيه دوره البناء في التعبير عن شخصية الأمة وذات إنسانها الذي أغنى الحضارة بابداعه ، واضاف الى التراث الانساني ما جعله اكثر عطاء واعظم شأناً في كل جانب من جوانب الحياة .

إن جهود العراقيين المعاصرين في جمع الشعر لم تقف عند حدّ الجمع

والتحقيق ، ولم تنته عند حدود الشعر الذي يجمع وانما امتدت الى وضع المدرسة العراقية في التحقيق موضع التجربة من حيث التخريج الدقيق والمتابعة الشاملة والتثبت من الرواية ، وتنظيم المصادر تنظيماً زمنياً ، وتنسيق الابيات على وفق الأعداد الواردة في المصادر وتقديم دراسة تحليلية للاتجاهات الجديدة عند الشعراء ، والوقوف عند الوجوه المتشابهة لاهتمامات الشعراء ، وتحديد الخصائص التي عرفوا بها ، وهي محاولات جديدة في هذا الميدان ، ولم تكن محاولتي هذه وفي هذا الجانب جديدة فقد سبق للاستاذ كوركيس عواد ان اشار الى ذلك في بحث عن مشاركة العراق في نشر التراث العربي نشره عام ١٩٦٩ وكانت حركة نشر الشعر في مراحلها الأولى ، واعدّ الاستاذ هلال ناجي بحثاً نشر في مجلة الاديب البيروتية في ايلول ١٩٧١ عن حركة نشر الشعر القديم والدراسات الشعرية في العراق واعاد نشره في كتابه (هوامش تراثية) الذي صدر عام ١٩٧٣ وقدم الدكتور علي جواد الطاهر صورة من بحثه عن نشر الشعر وتحقيقه في العراق الى مؤتمر المستشرقين التاسع والعشرين المنعقد في باريس تموز ١٩٧٣ واعاد نشره في مجلة المورد في المجلد الثالث العدد الثاني ١٩٧٤ ونشر السيد صباح نوري المرزوق دراسة مفصلة عن احياء التراث الشعري في العراق في العددين الثالث والرابع من المجلد الخامس من مجلة المورد ١٩٧٦ وقد حدد الباحث منهجه . وهي محاولات لها دلالتها في في التركيز على اهمية دور المحققين العراقيين في نشر التراث وقد لفتت هذه الظاهرة انظار كثير من الباحثين العرب الذين يتطلعون الى الكتاب العراقي تطلعاً خاصاً ، ويتابعون حركته متابعة متميزة حتى اصبح هذا الحديث موضع اهتمام كل المحققين والدارسين في الوطن العربي .

وتقدم هذه الدراسة حلقة جديدة من استكمال جهود العراقيين في نشر الشعر بعد أن مضى على آخر بحث كتب اكثر من ثماني سنوات كما تشير الى التواصل الثقافي الذي عُرف في العراق ، وتولت جمعه وروايته وتدوينه مدينتا البصرة والكوفة ثم ازدهر في بغداد . وقد ترتبت على حركة الاحياء هذه دراسات جديدة ،

ومحاولات جادّة في تقويم الاتجاهات الأدبية، وإظهار التيارات النقدية التي اوشكت أن تضيع في خضمّ المحاولات التي اقتصرت على نشر دواوين الشعر المعروفــة .

ان حركة الاحياء هذه عمدت الى المغمورين من الشعراء ، والمطموس من شعرهم وأخبارهم لأسباب كثيرة ، فحاولت جمعه وتحقيقه وتحليله ، لتقدم مادة جديدة الى دارسي الأدب والباحثين لاغناء العصور الأدبية بتيارات شعرية كان لها دورُها في الحياة الفكرية والاجتماعية ، وكانت لها خصائصها في معالجة الجوانب التي بهتت صورتها في بعض النماذج الشعرية المعروفة ، وان حركة الاحياء هذه توحي بعمق الحس العربي الأصيل وتؤكد قدرة الانسان في العراق على مواجهة تيار التحدّي ، ومجابهة محاولات طمس الشخصية العربية التي بدأت تأخذ دورها في الفكر والثقافة والحضارة ، وشهدت نشاطاً بتحقيق الشعر يعدل اضعاف المرات النشاط الذي شهدته طوال عصور مديدة ، واذا كان المحققون العراقيون قد نشروا خلال الفترة الأولى اكثر من ثلثمائة ديوان شعر وأسهم في التحقيق اكثر من ثمانين محققاً عراقياً ، فان الفترة الثانية شهدت تحقيق عدد أكبر من تلك الأعداد ونضوج المدرسة العراقية في التحقيق نضوجاً اكثر تكاملاً ، وأوفى دقة واشدّ حماسة بعد أن بدأ الباحثون يقفون على مجاميع جديدة ، ومخطوطات نادرة ، احتجنت من الشعر وفرة كثيرة مثل منتهى الطلب لابن ميمون وبعض كتب الحماسة والمجاميع الأدبية وكتب الأدب التي ظلت مطوية في بطون الخزائن ورفوف المكتبات القديمة .

وان حركة الاحياء هذه لم تقتصر على الدواوين المفردة أو جمع ما تفرق من ابيــات الشعراء وانما تجاوز ذلك الى نشر المجاميع الشعرية والتي جمعها القدامى أو اختاروها من شعر شعراء القبائل فقد نشر كتاب التمام في تفسير اشعار هذيل مما اغفله ابو سعيد السكري وحماسة الظرفاء والتذكرة السعدية وجيش التوشيح وكتاب

الزهرة (القسم الثاني) وربيع الأبرار ودمية القصر (القسم العراقي)باربعة اجزاء والروض النضر وانوار الربيع الى جانب الشروح اللغوية التي تناولت بعض الدواوين الشعرية أو تفسير بعض القصائد المشهورة .

إن اهتمام المحققين بجمع الشعر لم يؤد المهمة المطلوبة إذا لم تتوفر له المعنية التي آمنت بفكرة تحقيق التراث وتقديم الحوافز الكفيلة ببعثه واعتماد نشره نشرة علمية محققة تعيد اليه رونقه ، وتيسر تداوله وتقدمه الى ابناء العربية بأقل المبالغ وأيسرها . ولعلّ الباحثين والمحققين والمثقفين والدارسين من اعرف الناس بجهود العراق في هذا الباب حتى أصبح الكتاب العراقي التراثي منافساً لا يُجارى في معظم دور النشر ، وان معارض الكتاب العراقي التي تقام في ارجـــاء الوطن العربي تؤشر الحالة التي طغت على كل الحالات الأخرى في المنافسة والاقبال .

إن التواصل الثقافي الذي شدّ بين مراكز الاهتمام بجمع الشعر وعلى امتداد التاريخ توحي بنقاط الالتقاء التي تنطلق منها أسباب هذا التوصل ، وتوحي بالحرص الذي ظل يحمل الابناء على الحرص والوفاء لتراث الأجداد ، ايماناً بان هذا التواصل يؤكد حقيقة الاحساس بالوجدان الذاتي للامة ويعبر عن القيم النبيلة التي زخرت بها حياة المجتمع وعبرت عنها قصائد الشعراء .

* * *

ت	اسم المحقق	عنوان الديوان	مكان الطباعة وسنته
١	ابراهيم السامرائي	١ – شعر الاحوص :	النجف – ١٩٦٩
		٢ – ديوان القطامي (بالاشتراك)	بيروت – ١٩٦٢
		٣ – ديوان قيس بن الخطيم (بالاشتراك)	بغداد – ١٩٦٢
		٤ – شعر عروة بن حزام (بالاشتراك)	بغداد – ١٩٦١
٢	ابتسام مرهون الصفار	١ – مالك ومتمم ابنا نويرة	بغداد – ١٩٦٨
		٢ – شعر زياد الاعجم	بغداد – ١٩٧٨
٣	احمد مطلوب	١ – ديوان ابي حيان (بالاشتراك)	بغداد – ١٩٦٩
		٢ – ديوان القطامي (بالاشتراك)	بيروت – ١٩٦٠
		٣ – شعر عروة بن حزام (بالاشتراك)	بغداد – ١٩٦١
		٤ – ديوان قيس بن الخطيم (بالاشتراك)	بغداد –
٤	احمد النجدي	١ – شعر الحمدوني (المورد)	بغداد – ١٩٧٣
		٢ – شعر صاحب الزنج (المورد)	بغداد

٥ — احمد نصيف الجنابي	١ — شعر العكوك	النجف — ١٩٧١	
٦ — بهجت الحديثي	١ — ديوان امية بن ابي الصلت	بغداد — ١٩٧٥	
	٢ — ديوان ابي نؤاس(الصولي)	بغداد — ١٩٧٩	
٧ — جابر الخاقاني	١ — شعر ابن طباطبا العلوي		
	٢ — شعر المهلبي : مجلة المورد	بغداد — ١٩٧٥	
٨ — جبار تعبان جاسم	شعر تأبط شراً	النجف — ١٩٧٣	
٩ — جميل سعيد	١ — ديوان محمد بن عبدالملك الزيات	القاهرة —	
١٠— حاتم صالح الضامن	١ — شعر يزيد بن الطثرية	بغداد — ١٩٧٣	
	٢ — شعر الخليل بن احمد الفراهيـــدي	بغداد — ١٩٧٣	
	٣ — شعربكر بن النطاح	بغداد — ١٩٧٥	
	٤ — شعر الكميت بن معروف : مجلة المورد	بغداد — ١٩٧٥	
	٥ — شعر سويد بن كراع مجلة المورد	بغداد — ١٩٧٩	
	٦ — شعر قيس بن العدادية مجلة المورد	بغداد — ١٩٧٩	
	٧ — شعر المخبل السعدي مجلة المورد	بغداد — ١٩٧٣	
	٨ — ديوان معن بن اوس (بالاشتراك)	بغداد — ١٩٧٧	

٩ – شعر مزاحم العقيلي (بالاشتراك) القاهرة – ١٩٧٦

١٠– شعر نهشل بن حري بغداد – ١٩٧٥

١١– قصائد نادرة من منتهى الطلب (مجلة المورد) بغداد – ١٩٧٩

١٢– شاعران من فرسان القادسية (بالاشتراك) بغداد – ١٩٨١

١١– حبيب الحسني

١ – ديوان السري الرفاء بغداد – ١٩٨١

١٢– حكمت علي الاوسي

١ – شعر الغزال

١٣– حسين علي محفوظ

١ – ديوان ابن سينا طهران – ١٩٥٧

٢ – شعر بدر الدين يوسف بن لؤلؤ بغداد – ١٩٦٨

٣ – مختارات ديوان ابن الخيمي بغداد – ١٩٧٠

١٤– خليل العطية

٢ – ديوان ليلى الاخيلية (بالاشتراك) بغداد – ١٩٦٧

٢ – ديوان توبة بن الحميّر بغداد – ١٩٦٨

٣ – ديوان عمرو بن قميئة بغداد – ١٩٧٢

٤ – ديوان لقيط بن يعمر بغداد – ١٩٧٠

٥ – ديوان المزرد بغداد – ١٩٦٢

٦ – ديوان مسكين الدارمي (بالاشتراك) بغداد – ١٩٧٠

٧ – شعر نهار بن توسعة (مجلة المورد) – ١٩٧

١٥– خيرية محمد محفوظ ١ – ديوان كشاجم بغداد – ١٩٧٠

١٦– خضر الطائي ١ – ديوان العرجي بغداد – ١٩٥٦

١٧– خليل بنيان ١ – اشجع السلمي بيروت – ١٩٨١
حياته وشعره

١٨– داود سلوم ١ – شعر الكميت بن يزيد النجف – ١٩٦٩
٢ – شعر ابن مفرغ الحميري بغداد – ١٩٦٨
٣ – شعر نصيب بن رباح بغداد – ١٩٦٨

١٩– رزوق فرج ١ – شعر ابي سعد المخزومي بغداد – ١٩٧١

٢٠– رشيد الصفار ١ – ديوان المرتضى مصر – ١٩٥٨

٢١– رشيد العبيدي ١ – ديوان العرجي بغداد – ١٩٥٦

٢٢– زكي ذاكر العاني ١ – ديوان العكوك بغداد – ١٩٧١
٢ – شعر الحارثي بغداد – ١٩٨٠
٣ – شعر ربيعة الرقي دمشق – ١٩٨١

٢٣– زهير غازي زاهد ١ – شعر عبدالصمد بن المعذل النجف – ١٩٧٠
٢ – شعر ابن لنكك البصرة – ١٩٧٤

٢٤– سامي مكي العاني ١ – ديوان كعب بن مالك بغداد – ١٩٦٦
٢– شعر عبدالرحمن بن حسان بغداد – ١٩٧١

٢٥– سعيد الغانمي ١ – شعر ابي العيناء البصري بغداد – ١٩٧٧
(مجلة البلاغ) ع ٨ – ٩

٢٦– سلمان داود القره غولي ١ – شعر تأبط شرا النجف –١٩٧٣

٢٧– سليم النعيمي ١ شعر النجاشي
(مجلة المجمع العلمي العراقي)

٢٨– شاكر العاشور ٢ – ديوان سويد بن ابي كاهل، البصرة –١٩٧٢

	٢ـ ديوان عمارة بن عقيل	البصرة ـ١٩٧٣
	٣ـ ديوان ابن حازم	بغداد ـ١٩٧٧
	(مجلة المورد)	
٢٩ـ شاكر هادي شكر	١ـ ديوان السيد الحميري	بيروت
	٢ـ ديوان الشاب الظريف	النجف ـ١٩٦٧
	٣ـ ديوان حيص بيص	بغداد ـ
	(بالاشتراك)	
	٤ـ ديوان كاظم الازري	بغداد ـ ١٩٧٦
	(مجلة المورد)	
٣٠ـ صبيح رديف	١ـ شعر النامي	بغداد ـ ١٩٧٠
	٢ـ شعر السلامي	بغداد ـ ١٩٧١
	٣ شعر الخباز البلدي	بغداد ـ ١٩٧٢
٣١ـ صفاء خلوصي	١ـ ديوان المتنبي	بغداد ـ ١٩٦٩
	(شرح ابن جني)	
٣٢ـ صلاح الفرطوسي	١ـ شعر ابي عيينة	
	(رسالة ماجستير)	
٣٣ـ ضياء الدين الحيدري	١ـ شعر الاعور الشني	
	(مجلة البلاغ)	
٣٤ـ عاتكة الخزرجي	١ـ ديوان العباس بن الاحنف	القاهرة ـ ١٩٥٤
٣٥ـ د. عادل جاسم البياتي	١ـ شعر الربيع بن زياد العبْسي	
	(دراسة وتحقيق)	
	نشر مجلة كلية الاداب	ـ جامعة بغداد ـ
	العدد ١٤	لسنة ١٩٧١

٢- شعر الحارث بن ظالم المري
(دراسة وتحقيق)
نشر مجلة كلية الاداب - جامعة بغداد
العدد ١٥ لسنة ١٩٧٢
٣- شعر قيس بن زهير
نشر مجلة الآداب بالنجف (١٩٧٢)
بمساعدة جامعة بغداد
٤- شعر ربيعة بن مكدم (دراسة وتحقيق)
نشر مجلة كلية الاداب - جامعة بغداد
العدد ١٩ لسنة ١٩٧٥
٥- شعر افنون التغلبي
نشر مجلة كلية الاداب - جامعة بغداد
العدد ٢٠ لسنة ١٩٧٦
٦- شعر الاحناف (دراسة وتحليل)
نشر مجلة اداب المستنصرية
العدد ١٥ لسنة ١٩٨١
٧- شعر الربيع بن ضبيع الفزاري
نشر مجلة آداب المستنصرية
العدد ٧ لسنة ١٩٨٣

٣٦- عبدالله الجبوري ١- اشعار ابي الشيص النجف - ١٩٦٧
٢- ديوان ابي الهندي النجف - ١٩٦٩
٣- ديوان ديك الجن بيروت - ١٩٦٤
٤- ديوان ابن الدهان الموصلي بغداد - ١٩٦٨

٣٧ـ عبدالامير مهدي	١ـ ديوان ابن نباتة	بغداد	
٣٨ـ عبدالجبار المطلبي	١ـ شعر عبدالله بن معاوية	بغداد ـ ١٩٧٦	
٣٩ـ عبدالحميد راضي	١ـ شعر عبدالله بن معاوية	دمشق ـ ١٩٧٦	
٤٠ـ عبدالحسين المبارك	١ـ شعر عقيل بن علّفة	البصرة ـ ١٩٧٦	
٤١ـ عبدالعظيم عبدالمحسن	١ـ ديوان ابي دهبل	النجف ـ ١٩٧٢	
٤٢ـ عبدالصاحب الدجيلي	١ـ ديوان دعبل	النجف ـ ١٩٦٢	
٤٣ـ عبدالقادر عبدالجليل	١ـ شعر بشامة بن الغدير (مجلة المورد)		
٤٤ـ عبدالكريم الدجيلي	١ـ ديوان ابي الاسود الدؤلي	بغداد ـ ١٩٥٤	
٤٥ـ عدنان راغب العبيدي	١ـ ديوان محمود الوراق	بغداد ـ ١٩٦٩	
٤٦ـ علي جواد الطاهر	١ـ ديوان الخريمي (بالاشتراك)	بيروت ـ ١٩٧١	
	٢ـ ديوان الطغرائي (بالاشتراك)	بغداد ـ ١٩٧٦	
٤٧ـ قحطان رشيد التميمي	١ـ شعر مروان بن ابي حفصة		
٤٨ـ كامل مصطفى الشيبي	١ـ ديوان ابي بكر الشبلي	بغداد ـ ١٩٦٧	
	٢ـ ديوان الحلاج		
٤٩ـ ماجد السامرائي	١ـ شعر ثابت قطنة	بغداد ـ ١٩٧٠	
٥٠ـ ماجد العزي	١ـ ديوان اسحاق الموصلي	بغداد ـ ١٩٧٠	
٥١ـ محسن غياض	١ـ شعر اليزيديين	النجف ـ ١٩٧٣	
	٢ـ شعر الحسين بن مطير	بغداد ـ ١٩٧١	
	٣ـ شعر ابي هلال العسكري	بيروت	
٥٢ـ محمد بديع	١ـ ديوان الامير عبدالله بن المعتز	القاهرة	
٥٣ـ محمد جبار المعيبد	١ـ ديوان عدى بن زيد	بغداد ـ ١٩٦٥	

٢ـ ديوان ابن هرمة النجف ـ ١٩٦٩
٣ـ ديوان طهمان بغداد ـ ١٩٦٨
٤ـ شعر الجاحظ (مجلة المورد)
٥ـ ديوان الخريمي (بالاشتراك)

٥٤ـ محمد حسن آل ياسين ١ـ ديوان ابي الاسود الدؤلي بيروت ـ ١٩٧٤
٢ـ ديوان السموأل بغداد ـ ١٩٥٥
٣ـ ديوان الصاحب بن عباد بغداد
٤ـ شعر المثقب العبدي بغداد ـ ١٩٥٦

٥٥ـ محمد نايف الدليمي ١ـ ديوان ذي الاصبع العدواني (بالاشتراك)
٢ـ شعر ابن ميادة الموصل ـ ١٩٧٠
٣ـ شعر الحكم بن عبدل (مجلة المورد) ١٩٧٦
٤ـ شعر العجير السلولي (مجلة المور د)
٥ـ المختار من شعر ابن دانيال الموصل
٦ـ شعر موسى شهوات مجلة البلاغ ٦ـ٧ بغداد ـ ١٩٧٨
٧ـ شعر مطرود الخزاعي مجلة البلاغ بغداد ـ ١٩٧٧

٥٦ـ مزهر السوداني ١ـ شعر جحظة بغداد
٢ـ شعر الحماني البصرة ـ ١٩٧٤
٣ـ شعر الناشئ البصرة

٥٧ـ مهدي عبدالحسين النجم ١ـ شعر الفضل اللهبي مجلة البلاغ ع ٧ـ٩ ـ ١٩٧٦

٢ ـ شعر مالك الاشتر بغداد ـ ١٩٧٨
مجلة البلاغ ع ٧ ـ ٩
٣ـ شعر ابن المولى : بغداد ـ ١٩٨٠
مجلة البلاغ ٨ ـ ١٠

٥٨ـ ناصر حلاوي ١ـ شعر البعيث البصرة ـ ١٩٧٩
٢ ـ شعر العتابي البصرة ـ ١٩٦٥

٥٩ـ ناظم رشيد ١ ـ ديوان الملك الامجد
(مجلة المجمع العلمي العراقي)

٦٠ـ نوري حمودي القيسي ١ ـ شعر المرقش الاكبر مجلة العرب ١٩٧١
٢ ـ شعر المرقش الاصغر بغداد ـ ١٩٧٠
٣ ـ ديوان الاسود بن يعفر بغداد ـ ١٩٧٠
٤ ـ شعر زيد الخيل الطائي النجف ـ ١٩٦٨
٥ ـ شعر النمر بن تولب بغداد ـ ١٩٦٩
٦ شعر خفاف بن ندبة بغداد ـ ١٩٦٨
٧ ـ شعر ربيعة بن مقروم الطيي بغداد ـ ١٩٦٨
٨ ـ شعر القعقاع بن عمرو التميمي بغداد ـ ١٩٨١
٩ ـ شعر عاصم بن عمرو التميمي بغداد ـ ١٩٨١
١٠ـ شعر ابي نجيد (نافع بن الاسود) ـ ١٩٨٢
١١ـ شعر الاسود بن قطبة
١٢ـ شعر الراعي النميري

نشر شعر هؤلاء الشعراء في الجزء الاول من
(شعراء امويون) وطبع في ١٩٧٦ — مطبعة
جامعة الموصل .

١٣ـ شعر مالك بن الريب
١٤ـ شعر عبدالله بن الحر الجعفي
١٥ـ شعر السمهري العكلي
١٦ـ شعر جحدر بن معاوية المحرزي
١٧ـ شعر عبيد بن ايوب العنبري
١٨ـ شعر الخطيم المحرزي
١٩ـ شعر العديل بن الفرخ العجلي

(نشر شعر هؤلاء الشعراء في الجزء الثاني من
(شعراء امويون) وطبع في مطبعة جامعة الموصل
١٩٧٦ .

٢٠ـ شعر حارثة بن بدر الغداني
٢١ـ شعر كعب بن معدان الاشقري
٢٢ـ المرار بن سعيد الفقعسي
٢٣ـ شعر الشمردل اليربوعي

(نشر شعر هؤلاء الشعراء في الجزء الثالث
من (شعراء امويون) ضمن مطبوعات المجمع
العلمي العراقي ١٩٨٢

٢٤ـ شعر طريح الثقفي
٢٥ـ شعر محمد بن نمير الثقفي
٢٦ـ شعر محمد بن بشير

٢٧- شعر يزيد بن الحكم الثقفي
٢٨- شعر المغيرة بن حبناء
٢٩- شعر الوليد بن عقبة
٣٠- شعر عويف القوافي
٣١- شعر جبيهاء الاشجعي
٣٢- شعر شبيب بن البرصاء
٣٣- شعر معن بن اوس المزني بغداد - ١٩٧٧
٣٤ شعر مزاحم العقيلي القاهرة - ١٩٧٦
٣٥- شعر الاشهب بن رميلة القاهرة -١٩٨٢
٣٦- شعر ابي جلد اليشكري لم ينشر
٣٧- شعر الابيرد الرياحي لم ينشر
٣٨- اوراق من ديوان ابي بكر
محمد بن داود الاصفهاني بغداد - ١٩٧٤
٣٩- شعر ابي زبيد الطائي بغداد - ١٩٦٨
٤٠- ديوان جران العود النميري بغداد - ١٩٨٣
٤١- شعر الاغلب العجلي بغداد - ١٩٨١
٤٢- شعر عبدالله بن الحجاج لم ينشر
٤٣- النصف الثاني من كتاب الزهرة (بالاشتراك)

٦١- هاشم الطعان ١ - ديوان عمرو بن معد يكرب الزبيدي
بغداد - ١٩٧٠
٢ - ديوان الحارث بن حلزة بغداد - ١٩٦٩

٦٢- هاشم طه شلاش ١ - شعر قيس بن عاصم بغداد - ١٩٧
٢ - شعر ضمرة بن ضمرة (مجلة المورد) ١٩٨١

٦٣– هلال ناجي

١– جيش التوشيح : صنعه لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ)
مطبعة المنار – تونس – ١٩٦٧

٢– وسيلة الملهوف عند اهل المعروف : نظم شعبان بن محمد الآثاري (ت ٨٢٨ هـ) بغداد – مجلة المورد – العدد الاول – المجلد الثالث ١٩٧٤ .

٣– المختار من شعر شعراء الاندلس : صنفه علي بن المنجم بن سليمان المعروف بابن الصيرفي (ت ٥٤٢ هـ) طبع في مطبعة فضالة بالمحمدية في المغرب سنة ١٩٧٦

٤– اشعار النساء : صنعه محمد بن عمران المرزباني (ت ٣٨٤ هـ) حققه : الدكتور سامي مكي العاني وهلال ناجي دار الرسالة للطباعة – بغداد ١٩٧٦

٥– ديوان علي بن عبدالرحمن البلنوني الصقلي (من شعراء القرن الخامس الهجري) مطبعة الرسالة – بغداد ١٩٧٦

٦– ابزون العماني (ت ٤٣٠ هـ) حياته وشعره . مطبعة الارشاد – بغداد ١٩٧٧ (نشر ضمن مجموعة البحوث الملقاة في الندوة العلمية العالمية الثانية لمركز دراسات الخليج العربي في جامعة البصرة)

٧– ابو اليمن تاج الدين زيد بن الحسن الكندي البغدادي ، حياته وماتبقى من شعره (٥٢٠ – ٦١٣هـ)

تقـــديم وتحقيق : د . سامي مكي العاني وهلال ناجي ــ مطبعة المعارف ــ بغداد١٩٧٧

٨ ــ القلادة السمطية في توشيح الدريدية (وهو تخميس لمقصورة ابن دريد ، نظمه الحسن بن محمد الصاغاني (ت ٦٥٠ هـ) حققـــه وقدم له : د . سامي مكي العاني وهلال ناجي . مطبعة العاني ــ بغداد ١٩٧٧ .

٩ ــ بديعيات الآثاري : نظم زين الدين شعبان بن محمد القرشي الآثاري (ت ٨٢٨ هـ) حققها هلال ناجي مطبعة وزارة الاوقاف في بغداد ١٩٧٧

١٠ــ الاقرع بن معاذ القشيري . حياته وما تبقى من شعره (شاعر اسلامي) جمع وتحقيق هلال ناجي . مجلد المورد ــ العدد الثالث ــ من المجلد السابع ــ بغـــداد ١٩٧٨

١١ــ الاخيطل الاهوازي : حياته وما تبقى من شعره (من شعراء النصف الاول من القرن الثالث الهجـــري) جمع وتحقيق : هلال ناجي ــ البصـــرة ــ مجلة الخليج العربي ــ جامعة البصرة العدد ٩ سنة ١٩٧٨

١٢ــ الحسن بن اسد الفارقي (ت ٤٨٧ هـ) : حياته والصبابة من شعره . جمع وتحقيق : هلال ناجي . الرياض ــ مطابع اليمامة ــ ١٩٧٨ .

١٣ــ ابو هفان : حياته وشعره وبقايا كتابه « الاربعة في اخبار الشعراء » (ت ٢٥٧ هـ) . جمـــع وتحقيق

هلال ناجي. بغداد ـ مجلة المورد العدد ٣ المجلد ٨ سنة ١٩٧٩ والعـــدد ١ المجلد ٩ سنة ١٩٨٠ .

١٤ـ ديـــوان الراعي النميري (من شعراء الدولة الاموية) حققه : الدكتور نوري القيسي ، وهلال ناجي مطبعة المجمع العلمي العراقي ـ بغداد ١٩٨٠ .

١٥ـ المعشرات اللزومية : نظم مالك بن المرحل (٦٠٤ ـ ٦٩٩ هـ)
(قصائد في مدح الرسول الاعظم) :
حققها : هلال ناجي .
مجلة المورد ـ المجلد ٩ ـ العدد ٤ ـ ١٩٨١ م ـ (العدد الخاص بالقرن الخامس عشر الهجري)

١٦ـ شرح بانت سعاد : صنفه عبد اللطيف بن يوسف البغدادي(ت ٦٢٩ هـ) . حققه : هلال ناجي . مكتبة الفلاح ـ الكويت ـ ١٩٨١

١٧ـ ديوان الناشىء الاكبر عبدالله بن محمد الانباري (ت ٢٩٣هـ) جمعه وحققه :

هلال ناجي . نشر في مجلة المورد الاعداد ١ و ٢ و ٣ و ٤ من المجلد ١١ والعدد ١ من المجلد ١٢ .

١٨– ديوان الببغاء .

جمعه وحققه : هلال ناجي – وهو قيد الطبع بمجلة المجمع العلمي العراقي .

١٩– ديوان التنوخي الكبير .

جمعه وحققه : هلال ناجي . وهو قيد الطبع في مجلة المورد العراقية .

٦٤– يونس السامرائي

١– شعر سعيد بن حميد بغداد – ١٩٧١

٢– شعر ابي علي البصير (المورد) بغداد –١٩٧٣

٣– شعر ابن المعتز بغداد – ١٩٧٨

٤– شعر يزيد المهلبي بغداد – ١٩٨٠

٥- شعر آل وهب بغداد – ١٩٨٠

٦– علي بن هارون المنجم بغداد – ١٩٨٢

٦٥– يحيى الجبوري

١– ديوان العباس بن مرداس بغداد – ١٩٦٨

٢– شعر النعمان بن بشير بغداد – ١٩٦٨

٣– شعر عروة بن اذينة بيروت – ١٩٧٠

٤– شعر المتوكل الليثي بيروت – ١٩٧١

٥– شعر الحارث المخزومي النجف – ١٩٧٢

٦– شعر عبدة بن الطبيب بيروت – ١٩٧٢

٧– شعر عبدالله بن الزبير الاسدي بغداد – ١٩٧٤

٨ – شعر ابي حية النميري دمشق – ١٩٧٥
٩ – شعر هدية بن الخشرم دمشق – ١٩٧٦
١٠– شعر عمرو بن شأس النجف – ١٩٧٦
١١– شعر عمرو بن لجأ بغداد – ١٩٧٦
١٢– شعر عبدالله بن الزبعرى القاهرة – ١٩٧٨
١٣- ديوان الطغرائي بغداد – ١٩٧٦
(بالاشتراك)

●●●

ابو الفرج عبدالله بن الطيّب

الدكتور يوسف حبي
(عضو المجمع)
ورئيس تحرير مجلة بين النهرين

تقديم

يمثل ابو الفرج عبدالله بن الطيّب مرحلة مهمة من مراحل التقدم الحضاري في العراق في القرنين الرابع والخامس للهجرة ـ العاشر والحادي عشر للميلاد وفي بغداد بالذات . ولا عجب ، فبغداد يومذاك عاصمة الدولة العباسية المترامية الاطراف ، وأهم مركز ثقافي في الدنيا .

لم يقتصر نشاط ابن الطيب على فرع واحد من فروع المعرفة والعلم ، بل شمل أكثر من جانب ، على غرار موسوعيي تلك الأزمنة العظام، فهو طبيب وفيلسوف ، وفقيه ، وهو مؤلف ، ومترجم ، ومفسر .

نقسم بحثنا هذا الى اربعة اقسام ، يتناول الاول حياة ابن الطيّب بما تيسر لنا من تفاصيل ، والثاني نشاطه ومكانته من الناحية العلمية الفكرية بشكل خاص ،والثالث آثاره في الفلسفة والطب والفقه والتفاسير الكتابية وغيرها ونبحث في القسم الأخير قيمة عالمنا هذا من الناحيتين الأدبية والعلمية مقدمين في الختام نماذج بسيطة من كتاباته ، فنتعرّف هكذا على شخصية من علمائنا ومفكرينا المغمورين العظام .

أولا - حياته

هو ابو الفرج عبدالله بن الطيّب (١) العراقي البغدادي (٢) . وجاء في مخطوطة لندنية أنه ابن علي ابن ابي عيسى العبادي (٣) .

ولِدَ ، على الارجح ، ببغداد ، حوالي سنة ٩٨٠ م ، وعاش في عهد الخليفتين القادر بن اسحق بن المقتدر والقائم بن القادر ، ودرس على ابن زرعة وابن سوار الخمار (٤) ، فأصبح طبيباً ، وأستاذاً في البيمارستان العضدي الذي أسسه عضد الدولة بن بويه في صفر من سنة ٣٧٢ هـ في الجانب الغربي من بغداد ؛ وجمع فيه الاطباء والخدم والوكلاء والادوية وكل مايحتاج اليه (٥) .

كان مقرباً من جلال الدولة (٦) ، كما كان « متميزاً في النصارى ببغداد » (٧). ونظراً لعلمه ومنزلته عينهُ جاثليق كنيسة المشرق (البطريرك النسطوري » يوحنا بن نازوك (١٠١٢–١٠٢٢) كاتباً له ، بمثابة كاتم اسرار ، وبقي كذلك في عهد ايليا الاول الطبرهاني (١٠٢٨–١٠٤٩) (٨) .

يبدو جليا ان ابن الطيب كان يتقن اليونانية والسريانية علاوة على العربية . فقد وضع بعض كتبه بالسريانية ، ومعظمها بالعربية ، وكان مطلعاً على كتب الاوائل وأقاويلهم (٩) ، ومنهم فلاسفة اليونان وعلماؤهم .

لابن الطيب جملة تلاميذ ، يذكر ابن ابي اصيبعة أشهرهم ، وهم : ابو الحسن ابن بطلان ، وابن بذرج أو ابن بدروج ، والهروي ، وبنو حسون ، وابو الفضل كتيفات ، وابن اثردي ، وعبدون ، وابن مصوصا ، وابن العليق . كما عنه أخذ الرئيس ابن سينا ، وابو سعيد الفضل بن عيسى اليماني ، وعيسى ابن علي بن ابراهيم بن هلال الكاتب (بكس) ، وعلي بن عيسى الكحال وابو الحسين البصري ، ورجاء الطبيب الخراساني ، وزهرون (١٠) .

ويروي ابن ابي اصيبعة حادثة نستدل منها اهتمام ابي الفرج بالدين ،

اذكان يخدم الكنيسة ويشارك في الرتب الطقسية ،يقول: حدثني الشيخ موفق الدين يعقوب بن اسحق بن القف النصراني ، ان رجلين من بلاد العجم كانا قد قصدا بغداد للاجتماع بأبي الفرج بن الطيب والقراءة عليه ، والاشتغال عنده ، ولما وصلا دخلا بغداد وسألا عن منزل ابي الفرج فقيل لهما انه في الكنيسة للصلاة ، فتوجها نحوه ودخلا الكنيسة . فلما قيل لهما إنه ذلك الشيخ وكان ابن الطيب في ذلك الوقت لابساً ثوب صوف ، وهو مكشوف الرأس وبيده مبخرة بسلاسل وفيها نار وبخور ، وهو يدور في نواحي الكنيسة ويبخر ، تأملاه وتحدثا بالفارسية وبقيا يديمان النظر اليه ويتعجبان منه انه على هذه الهيئة ويفعل هذا الفعل ، وهو من أجلّ الحكماء ، وسمعته في أقاصي البلاد بالفلسفة والطب . وفهم عنهما ماهما فيه . ولما فرغ وقت الصلاة وخرج الناس من الكنيسة خرج ابو الفرج بن الطيب ولبس ثيابه المعتاد لبسها ، وقدمت له البغلة فركب والغلمان حوله ، وتبعاهُ أولئك العجم الى داره وعرّفاه انهما قاصدان اليه من بلاد العجم للاشتغال ، وان يكونا من جملة تلامذته .
فاستحضرهما في مجلسه وسمعا كلامه ودروس المشتغلين عليه ثم قال لهما : أكنتما حججتما قط ؟ قالا لا ، فماطلهما بالقراءة الى أوان الحج ، وكان الوقت قريباً منه .فاما نودي للحج قال لهما : ان كنتما تريدان ان تقرآ عليّ وان أكون شيخكما فحجّا ، واذا جئتما مع السلامة ، ان شاء الله ، يكون كل ماتريدان مني في الاشتغال علي . فقبلا أمرهُ ، ولما عاد الحاجان جاءا اليه . . . ثم اشتغلا عليه بعد ذلك الى ان تميزا وكانا من أجل تلاميذه (١١) .

ويستنتج السمعاني انه كان راهباً وقسيساً (١٢) ، مما جاء في مجدل عمرو وصليبا (١٣) . وجليّ من كل القرائن والنصوص انه كان نسطوري المذهب ، أي أحد أفراد كنيسة المشرق الآثورية ــ الكلدانية .

ويورد السمعاني عدة أدلة لاثبات ذلك (١٤) .

توفي ابن الطيب سنة ٤٣٥ هـ ــ ١٠٤٣ م (١٥) ، في شهــر آب(١٦) .

وجاء في المجدل ان وفاته كانت سنة ٤٣٤ هـ (١٧) . والتاريخ الاول أصح .
ودفن في كنيسة درتا ببغداد (١٨) . وكتب على قبره عبارة : « فيلسوف
شهير » ، وقد خرّبه فيضان من الفيضانات قبل سنة ١٣٠٠ (١٨ أ)

ثانياً – نشاطه ومكانته

بوسعنا تقسيم نشاط ابن الطيب الى جملة اشتغالات ، أهمها : التدريس
والتأليف . وقد ورد انه كان يدرّس الطب في البيمارستان العضدي ، بل
يؤكد ابن ابي اصيبعة انه « من الاطباء المشهورين في صناعة الطب » (١٩) .
كما ورد ان الكثير يتلمذون عليه ويشتغلون تحت يده ، كما هي طريقة
التدريس عهد ذاك .

وبشأن صناعة الطب ورصد المشتغلين بها أيام ابن الطيب ، يذكر ابن
ابي اصبيعة من الاطباء المشهورين في زمانه : صاعد بن عبدوس ، وابن تفاح ،
وحسن الطبيب ، وبني سنان ، والنائلي ، والشيخ الرئيس ابن سينا . ويؤكد لنا
مؤرخ الطب العربي ان ابن سينا كان يحمد كلام ابن الطيب في الطب(٢٠) .
وكان ابن الطيب يراسل ابن سينا وابن الهيثم (٢٠ أ) .

اما في التأليف فان ابن الطيب « واسع العلم كثير التصنيف » (٢١) .
أورد له صاحب عيون الانباء زهاء ستين مصنفاً بين تأليف وتفسير وتلخيص،
وذلك في الطب والحكمة ، علاوة على آثاره الاخرى في الفقه والتفاسير الكتابية
وغيرها مما سنأتي على ذكره بعد قليل .

وكان ابو الفرج طبيباً ممارساً ايضاً ، اذ يفيدنا ابن ابي اصيبعة انه كان يعالج
المرضى في البيمارستان العضدي (٢٢) ، بينما يؤكد القفطي انه كان مجدّاً في
« البحث والتفتيش » (٢٣) .

واشتغل ابن الطيّب بالفلسفة ، بل كان خبيراً فيها (٢٤) . كما له اشتغالات

كثيرة في مجال الفقه النصراني اذ وضع عدة مقالات وبحوث تدل على عمق فكر وسعة اطلاع ورجاحة رأي .

ونظن بان ذم ابن سينا لابن الطيب في مجال الفلسفة اساسه اختلاف في الرأي ، ولان ابن الطيب كان يميل الى التطويل ، ويؤكد على منطق ارسطو (٢٥)

قرأ ابن الطيب كتب الاوائل ، وعني بشرح العديد منها ، لاسيما في المنطق والحكمة ، مركزاً على ارسطو من بين الفلاسفة ، واشتغل بالطب وشرح كتبا عديدة لجالينوس (٢٦) ، وفسر اسفار الكتاب المقدس بكاملها ، ووضع مقالات أملتها عليه الظروف ، سيأتي تعدادها فيما يلي .

اما اسلوبه فبسط القول بسطاً شافياً ، والعناية بالشروح ، بحيث يبلغ التعليم والتفهيم . يفيدنا القفطي بشيء مهم في هذا المجال ، لذا ننقل كلامه بنصه : « لقد رأيت من ينتحل هذه الصناعة بذمه بالتطويل ، وكان هذا العائب يهودياً ضيق الفطن قد وقف على عبارة ابن سينا ، فاما انا وكل منصف فلا نقول الا ان ابا الفرج بن الطيب قد احيى من هذه العلوم ما ذكره ، وابان منها ما خفي ، وقد تلمذ له جماعة سادوا وافادوا » (٢٧) .

وينقل القفطي عن ابن بطلان ، تلميذ ابن الطيب ، ان معلمه « بقي عشرين سنة في تفسير ما بعد الطبيعة ، ومرض من الفكر فيه مرضة كاد يلفظ نفسه فيها ، وهذا يدلك على حرصه واجتهاده وطلب العلم لعينه : ولولا ذلك لما تكلف»(٢٨) .

وكان ابن الطيب يملي كتاباته ، لذا فان « أكثر ما يوجد من تصانيفه كانت تنقل عنه املاء من لفظه » (٢٩) .

ومنزلة ابن الفرج كبيرة ، سواء في تاريخ الطب والعلوم كما في تاريخ فقهاء وأدباء كنيسة المشرق ، علاوة على الفلسفة واللاهوت . فقد خصص له كل من ابن اصيبعة والقفطي وابن العبري فذلكة أوردوا فيها شيئاً عن حياته

ونشاطه وآثاره ، كما اعتبره مؤرخو كنيسة المشرق والادب السرياني والعربي النصراني من أكابر العلماء والمؤلفين (٢٩ أ) .

يسميه ابن ابي اصيبعة « الفيلسوف ، الامام ، العالم . . . من الاطباء المشهورين . . . عظيم الشأن ، جليل المقدار ، واسع العالم ، كثير التصنيف ، خبيرا بالفلسفة ، كثير الاشتغال فيها . . . له مقدرة قوية في التصنيف »(٣٠ وجاء في تاريخ الحكماء للقفطي انه « فيلسوف فاضل ، مطلع على كتب الاوائل وأقاويلهم ، مجتهد في البحث والتفتيش » (٣١) . ويعيد القول الاخير ابن العبري في تاريخ مختصر الدول (٣٢) .

وعلاوة على تأثر تلاميذه المباشرين به ، فان مؤلفين وكتبة عديدين يستشهدون بآثاره كأبي نصر يحيى بن جرير تلميذ ابن زرعة . واشتهر أمره وهوعلى قيد الحياة ، ثم بعد مماته ، فوصل بلاد العجم ومصر ، كما لدى أقباط مصر بشكل ملحوظ ، فنرى ابا اسحق المؤتمن ابن العسال وأبا البركات يستشهدان بكتاباته ، بل ينقلان مقاطع كاملة من مقالاته (٣٣)

ثالثا – آثاره

يؤكد ابن ابي اصيبعة ، كما أسلفنا ، ان ابن الطيب كثير التصنيف . ويورد قائمة بحوالي ستين مصنفا في مجالي الفلسفة والطب بشكل خاص . ويذكر له مؤلفون متأخرون مصنفات اخرى ، منها ماضاع وفقدناه ، ومنها مااحتضنته خزانات المخطوطات ، ومنها مانشر هنا وهناك . لذلك سنقسم آثاره الى أربعة مجاميع : الطب ، الفلسفة ، الفقه والتفاسير الكتابية ، ومتفرقات (٣٣ أ) .

١– آثارهُ الفلسفية

١– تفسير كتاب قاطيغورياس (المقولات) لارسطو (٣٤)

٢– تفسير كتاب باريمينياس (العبارة) لارسطو (٣٥)
٣– تفسير كتاب انالوطيقا (القياس أو البرهان) لارسطو (٣٦)
٤– تفسير كتاب سوفسطيقا (الجدل) لارسطو (٣٧)
٥– تفسير كتاب ريطوريقا (الخطابة) لارسطو (٣٨)
٦– تفسير كتاب بويطيقا (الشعر) لارسطو (٣٩)
٧– تفسير كتاب الحيوان (المنسوب) لارسطو (٤٠)

٨– تفسير كتاب ايساغوجي لفرفوريوس (٤١) . وثمة مخطوطة منه في المكتبة البودليانية باكسفورد مارش ٢٨ نسبت الى الفارابي ، وبهذه النسبة نشر البروفسور دنلوب القسم الاول منها ثم نهض الدكتور كوامي جيكي فعقد دراسة حولها أحرز بها شهادة الدكتوراه من جامعة هارفارد عام ١٩٦٩ ، ونشر الكتاب ضمن سلسلة (بحوث ودراسات) بادارة معهد الآداب الشرقية ببيروت بعنوان (ابو الفرج بن الطيب ، تفسير كتاب ايسا غوجي لفرفوريوس) ، طبعته دار المشرق ببيروت.

٩– تفسير كتاب مابعد الطبيعة (الميتافيزيقا) لارسطو ، يقول القفطي انه قضى عشرين سنة معنيا بتفسيره حتى مرض (٤٢) .

(٢) آثارهُ الطبية

١٠– تفسير كتاب ابيديميا لابقراط (٤٣)
١١– تفسير كتاب الفصول لابقراط (٤٤)
١٢– تفسير كتاب طبيعة الانسان لابقراط (٤٥)
١٣– تفسير كتاب الاخلاط لابقراط (٤٦)
١٤– ثمرة كتاب المولودين لثمانية اشهر لابقراط (٤٧)
١٥– تفسير كتاب الفرق لجالينوس ، أو فرق الطب للمتعلمين (٤٨)
١٦– تفسير كتاب الصناعة الصغيرة لجالينوس (٤٩)

١٧- تفسير كتاب اغلوقن لجالينوس : والاصح تفسير كتاب في مداواة الامراض الى اغلوقن (٥٠)

١٨- تفسير كتاب النبض الصغير لجالينوس (٥١)

١٩- تفسير كتاب الاسطقسات لجالينوس ، أو شرح كتاب في الاسطقسات على رأي ابقراط لجالينوس (٥٢) ، ولابن الطيب ثمار هذا الكتاب (٥٣) .

٢٠- تفسير كتاب المزاج لجالينوس (٥٤)

٢١- تفسير كتاب القوى الطبيعية (٥٥)

٢٢- تفسير كتاب التشريح الصغير لجالينوس (٥٦)

٢٣- تفسير كتاب العلل والاعراض لجالينوس (٥٧)

٢٤- تفسير كتاب تعرّف علل الاعضاء الباطنة لجالينوس (٥٨)

٢٥- تفسير كتاب النبض الكبير لجالينوس (٥٩)

٢٦- تفسير كتاب الحميات لجالينوس (٦٠)

٢٧- تفسير كتاب البحران لجالينوس (٦١)

٢٨- تفسير كتاب أيام البحران لجالينوس (٦٢)

٢٩- تفسير كتاب حيلة البرء لجالينوس (٦٣)

٣٠- تفسير كتاب تدبير الاصحاء لجالينوس (٦٤) ، أو شرح كتاب الحيلة لحفظ الصحة (٦٥) .

٣١- شرح كتاب في العظام (للمتعلمين) لجالينوس (٦٦)

٣٢- شرح كتاب منافع الاعضاء لجالينوس (٦٧)

٣٤- شرح كتاب الفروق لجالينوس (٦٩)

٣٥- فوائد كتاب الحقن لجالينوس (٧٠)

٣٦- ثمار جوامع الاسكندرانيين أو الستة عشر كتاباً للمتعلمين تأليف

جالينوس وجمع مدرسة الاسكندرية الطبية ، وقيام ابن الطيب باستخلاص ثمارها ، على حد قول ابن ابي اصيبعة (٧١) ، ولعل ما ورد سابقاً تحت عنوان شرح أو فوائد من الجوامع المذكورة هو منها ، فلا يجوز ان نضيف الى مجموعة آثار ابن الطيب ستة عشر كتاباً آخر .

٣٧- شرح ثمار مسائل حنين بن اسحق (المتوفى سنة ٨٧٣ م) في الطب : أملاه سنة ٤٠٥ هـ (٧٢) .

٣٨- كتاب النكت والثمار الطبية والفلسفية وهو من وضعه (٧٣) .

٣٩- مقالة في القوى الطبيعية ، من وضعه (٧٤) .

٤٠- مقالة في العلة لمَ جُعل لكل خلط دواء يستفرغه ، ولمَ لم يجعل للدم دواء يستفرغه مثل سائر الأخلاط (٧٥) .

٤١- تعاليق في العين (٧٦) .

٣) آثاره في الفقه والتفاسير الكتابية .

٤٢- فقه النصرانية ، الجامع للقوانين البيعية والمجامع المغربية والمشرقية : نشره هونرباخ وشبيس في مجلدين في الجمهرة ، لوفان ١٩٥٦ - ١٩٥٧ ، وأرفقاه بترجمة المانية (٧٧) .

٤٣- مقالة صغيرة في الزواج (٧٨) .

٤٤- في المواريث (٧٩) .

٤٥- تفاسير الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد . وقد جمعت مخطوطاتها عادة في مجلد ضخم بجزئين، يحمل عنوان (فردوس النصرانية) ، على غرار ما فعل ابن الطيب في باب القوانين والمجامع كما رأينا . وثمه عدة مخطوطات من هذه التفاسير (٨٠) ما تزال معظم أقسامها غير منشورة ، وقد نشر جان ساندرس تفسير سفر التكوين (٨١)

٤٦- وعني يوسف منقريوس وحبيب جرجس بنشر تفسير سفر المزامير بعنوان

(الروض النضير في تفسير المزامير) ، القاهرة ١٩٠٢ (٨٢) .

٤٧- جمع نصوص الانجيل الاربعة في انجيل واحد ، بالعربية معتمداً النص السرياني المعروف بالترجمة البسيطة ، حتى لقد نسبت اليه ترجمة دياطسرون ططيانس (٨٣) . ويختلف هذا عن تفسيره للانجيل .

٤٨- شرح الانجيل بنصوصه الاربعة متى ، مرقس ، لوقا ويوحنا ، يستشهد ابن الطيب فيه بيوحنا فم الذهب وتيودورس المصيصي واوسابيوس وغريغوريوس ويعقوب الرهاوي ، مركزا على الابعاد اللاهوتية غير غافل المعاني الرمزية . وقد قام يوسف منقريوس بطبعه في جزئين بعنوان (تفسير المشرقي) ، في القاهرة ١٩٠٨ و ١٩١٠ . وجاء في مخطوطتين (٨٤) ان ابن الطيب وضع هذا التفسير بالسريانية أولا ، ثم نقله الى العربية بنفسه . وقام الاب سمير خليل مؤخرا بمحاولتين جزئيتين للتعريف به ونشر شيء منه (٨٥) . ويعنى الاب خليل قوجحصارلي منذ سنوات بتحقيق تفسير الانجيل حسب يوحنا لغرض نشره .

٤٩- في الصوم (٨٦) .

٥٠- مقالة في الرد على من قال ان مريم والدة الله (٨٧) .

٥١- مقالات في الاصول الدينية ، وضعها قبل سنة ١٠١٨ (٨٨) ، ويقوم الاب سمير خليل اليسوعي بدراسة لها محاولا العثور عليها في العديد من المخطوطات الناقصة (٨٩) . يذكرها ابن الطيب نفسه في (فردوس النصرانية) ، ويسميها (المقالات الشريفة في اصول الدين) ، وذلك في مقدمة موسوعته المذكورة .

٥٢- كتاب في التوحيد ، يذكره الاب سباط (٩٠) ، لكننا لا نعرف شيئاً عنـه (٩١) .

٥٣- مقالة في التثليث ، وصفها بيسترن (٩٢) ونشرها البروفسور تروبو (٩٣) ،

ثم اعاد نشرها بشكل أكمل الاب سمير خليل (٩٤) .

٥٤– مقالة في التثليث والتوحيد ، ذكرها السمعاني (٩٥) ، ووصفها غراف سنة ١٩١٠ (٩٦) ، ونشرها تروبو (٩٧) .

٥٥– مقالة مختصرة في الاقانيم والجوهر ، وان الفعل للجوهر ، وصفها غراف (٩٨)، ونشرها الاب سمير (٩٩) ، وكذلك تروبو (١٠٠)

٥٦– الكلام في الاتحاد ، ذكرهُ غراف بشكل غامض (١٠١) ، لكنه موضوع قائم بذاته ، تراه عينه الوارد تحت رقم ٥١ ؟ نلقاه في مخطوطتين (١٠٢) نشرها تروبو عام (١٩٧٨) في مجلة Parole de L'Oricnt المجلد ٨ (١٩٧٧ – ١٩٧٨) ، ص ١٤١– ١٥٠ مع ترجمة فرنسية

٥٧– تعديد آراء الناس في الاتحاد وحججهم ، يذكره أبو اسحق المؤتمن ابن العسال في مجموع أصول الدين (١٠٣) وأورد نتفا منه ، بحيث نلقاه حالياً في المخطوطة الفاتيكانية العربية ١٠٣ ، الاوراق : ٩٤–٦٦ : والقسم الأخير في الفصل ١٩ من مجموع أصول الدين (١٠٤) . نشره الاب سمير خليل في مجلة بين النهرين ٥ (١٩٧٧) ، ص ٢٤٧ – ٢٦٢ .

٥٨– مقالة في التوبة ، نعرفها من مخطوطة يتيمة هي الباريسية العربية ١٧٣ ، تنقصها الفصول ٣–٧ ، نلقى منها ٣–٦ في كتاب مجموع أصول الدين لابن العسال، فتصبح مقالاتها الاربع عشرة كاملة عدا السابعة (١٠٥) .
وثمة أكثر من مقالة نسبت الى ابن الطيب ، ولا نعرف مدى صحة النسبة أو جاءت ناقصة في جملة مخطوطات ينبغي التحقق منها أولاً (١٠٦).

(٤) آثار متفرقـة

٥٩– مقالة في الاحلام وتفصيل الصحيح منها من السقيم على مذهب الفلسفة(١٠٧).

٦٠– مقالة املاها في جواب ماسئل عنه من إبطال الاعتقاد في الأجزاء التي

لاتنقسم ، وهذا السؤال سأله اياه ظافر بن جابر السكري ، وهي الدستور بعينها (١٠٨) .

٦١- ثمار كتاب النبات ، المنسوب الى ارسطو (١٠٩)

٦٢- دفاع عن العلم ، نشره الاب سمير خليل في مجلة رسالة الكنيسة ٤ (المنيا ١٩٧٢) ، ص ٢٥٥-٢٥٩ ، ٣٠٥-٣٠٩ ، ٣٦٨-٣٧٢ .

٦٣- في العلم والمعجزة ، نشرها الاب بولس سباط في (مباحث فاسفية دينية) ، مكتبة فريدريخ ، مصر ، ص ١٩٧٨-١٧٩ واعاد نشر قسم منها الاب مرمرجي (ص ٤٦-٤٧) .

ولسنا نتردد في القول اننا لم نستوف بهذا كل آثار ابن الطيب ، فهي ثروة طائلة تستحق الاهتمام. ويستدل القارئ بسهولة على المتبقي منها والمندثر ، كما على المنشور والمطمور ، وذلك من الاشارات التي أوردناها .

رابعاً ـ قيمته الادبية والعلمية

ليس هذا القسم تكرارا لما جاء في الثاني ، انما محاولة أولية لتحديد قيمة ابن الطيب الأدبية والعلمية من خلال وضعه في أجواء البيئة الحضارية التي عاشها انسان عصر ذهبي من عصور الحضارة العربية الزاهرة . وبديهي اننا نفترض تعرفاً كافياً على أوجه تلك الحضارة .

تقوم الحضارات على أكتاف عباقرة يبدع كل منهم في مجال من مجالات الفكر والعلم والتجربة والخبرة . ومعلوم بأن الحضارة العربية الاسلامية عرفت أزدهاراً كبيراً في القرن الثالث للهجرة ـ التاسع للميلاد ، وأوجها في القرنين الرابع والخامس ـ العاشر والحادي عشر ، لاسيما في المشرق ، والمركز بغداد عاصمة الخلافة .

وقد نهض عدد غفير من الباحثين في دراسة أصول هذه الحضارة ، ورصد مراحل تكوينها ، ومايزال ثمة غموض بشأن التأثيرات الحقيقية والادوار

الثابتة الاكيدة . ومهما يكن من أمر ، فالجميع متفقون على ان عملية الترجمة من اليونانية الى السريانية فالعربية كانت ذات شأن (١١٠) .

ويحق لنا ، بعد استعراض حياة ابي الفرج عبدالله بن الطيب والتعرف على نشاطه وآثاره الفكرية والعلمية القيمة ، ان نعتبره واحداً من اولئك المساهمين في اثراء الأدب السرياني بشكل قليل ، والتراث العربي بنوع خاص ، بتآليف يوسفنا ان العديد منها مفقود ، ولم تستوف العناية بنشر ماتبقى . فعسى ان يقيض الله من ينهض بهذه المهمة ، أو يكتشف آثاراً مازلنا نظنها مفقودة ، فيتم التعريف بشخصية علمية تستحق التقدير .

ونود في هذه العجالة ان نتطرق الى حقيقة نظنها جديدة لم يركز عليها الباحثون عادة ، ونأمل ان يتاح لنا يوماً فنأتي عليها شرحاً وتفصيلاً ، وتعليلاً وتبريراً ، مفادها : ان الرعيل الاول من علماء الحضارة العربية اضطروا الى الاكثار من الترجمة وتنقيح الترجمات السابقة ، فهو رعيل عصر الترجمة . أما الرعيل الثاني ، وابن الطيب واحد منهم ، فقد انصرفوا بالأكثر الى قراءة للنصوص المترجمة التي باتت متوفرة لديهم ، فأتوا بشروح وتفاسير وثمار وتآليف . هذا لايعني ان الرعيل الاول خلا تماماً من التعمق والاصالة والتصنيف ، كما لايعني بأن الرعيل الثاني لم يعنَ بالترجمة والتدقيق اطلاقاً ، انما يدل على اختلاف في التركيز . فان المرحلة الثانية مرحلة استيعاب وتطوير أكثر من الاولى ، كما انها مرحلة المجاميع الموسوعية في مختلف العلوم والمعارف الشائعة عهد ذاك .

وابن الطيب أحد علماء الرعيل الثاني ، اعتمد ترجمات سابقيه ، الفلسفية والطبية والكتابية ، فقلما نلقى له ترجمة أو تدقيقاً ، انما نجده ، يصب جلّ اهتمامه على فهم تصانيف السابقين وتفسيرها واستخراج ثمار منها مفيدة ، وانشاء مجاميع موسوعية شاملة ، كما نراهُ يدبجّ بحوثاً أصيلة معتمداً ارسطو

فلسفياً ، وابقراط وجالينوس طبياً ، بشكل خاص ، وقد يسلك مواضيع غير مطروقة من قبل سابقيه . ولا عجب ، فهو عصر ابن سينا ، لكي نقدم اسماً واحداً فقط من الاسماء اللامعة في سماء الحضارة العربية الزاهرة . وابن سينا ايضاً ممن اشتهروا بمجاميعه الفلسفية والطبية وغيرها من فروع المعرفة ، واحد تلاميذ ابن الطيب .

وينبغي القول مع ذلك ان ابن الطيب لم يكن مؤلفاً كبيراً ، بل كان شارحاً مقتدراً . وتتّسم مصنفاته بنفس موسوعي شمولي يتّعدى عادة نطاق التخصص الضيّق ، كما يتخطّى أهل ملّته ومذهبه وبلده الى عالم رحب الأفق هو عالم الحضارة العربية والاسلامية ، فلا يبحث اليوم في الفلسفة الاغريقية والعربية الاسلامية الا ويأتي ذكرهُ مراراً ، ولا يكتب عن العلوم ، والطب بخاصة الا ويتلألأ اسمهُ بين الأسماء اللامعة ، ولا يدرس الفقه واللاهوت والكتاب المقدس الا ولابن الطيب حصة كبيرة في ذاك كله .

واسلوب ابن الطيب جميل ، ولغته العربية جيدة ، حتى ليحق لنا اعتباره من الفصحاء ذوي الوضوح الفكري والأدبي . ولتبيان شيء من كل ماقيل نقتطف هنا ثلاثة نماذج من كتاباته، نستقي الاول من كتاب تفسيره لايساغوجي فرفوريوس ، والثاني من موسوعته الكبيرة الموسومة بفقه النصرانية ، والثالث من مقالة لاهوتية فلسفية .

(١) مقدمة تفسير كتاب ايساغوجي لفرفوريوس

« لقد جرت عادة مفسري الصناعة المنطقية ان ينظروا في كتاب فرفوريوس المعروف بالمدخل ان يبحثوا عن الفلسفة نفسها التي الصناعة المنطقية آلة لها . والسبب الذي من أجله اعتمدوا هذا الفعل هو انهم لما رأوا طول الصناعة المنطقية ويخوفوا (كذا) الاستثقال أحبوا ان يقدموا تعريفنا الشيء الذي من أجله نتعلمها وهو الفلسفة ، حتى اذا وقفنا على شرفها لم نستثقل الآلة التي

نتعلمها من أجلها . ولما كان كل مايبحث عنه انما يبحث على أربعة اضرب : الضرب الاول هل له وجود أم لا ؟ والضرب الثاني النظر فيه ماهو ؟ وهذا هو في جنسه أو مادته . والضرب الثالث النظر فيه أي شيء هو ؟ وهذا هو النظر في فصله أو صورته . والضرب الرابع النظر فيه لم هو ؟ وهذا النظر في الغاية التي من اجلها وجد ، وكان بحثنا الآن عن الفلسفة ، فينبغي لنا ان نبحث عنها هذه المباحث الاربعة ، ونقدم أولا النظر في وجودها .

فنقول : ان مفسري كتب ارسطو طاليس جميعاً يخلون عن هذا المطلوب ، ويستلمون وجودها تسلماً . وذلك ان وجودها على غاية الظهور من قبل انه لما كان العقل وهو العالم بالأمور موجوداً والامور المعلومة موجودة فهو يعلمها والعام بالامور وسبب الامور الناظم لها هو الفلسفة ، فالفلسفة إذن موجودة وذلك ان مع حضور الفاعل والمنفعل وقوع الفعل يكون ضرورة ان لم يكن عائق»(١١١)

(٢) في المواريث

« رجل مات وخلف مالاً وله أم وزوجة وبني (كذا) عم ، ان كانت الام والزوجة لايتزوجن هم يرثون (كذا) ، وان تزوجوا أخذوا المهر وما سمح به لهما الميت وإلا فالعشر من ماله الذي كسبه من يوم دخول الزوجة بيته وبني عمه يرثونه .

امرأة ماتت وخلفت زوجاً وأماً واخاً ، ان كان لها وصية يعطى مالها لمن وصت ، وان لم تعمل وصية يقسم مالها اربعة اقسام، جزء للصدقة وجزء للأم وجزء للأخ وجزء للزوج .

رجل مات وخلف أخوات وبني عم اخواته يرثونه .

رجل مات وخلف بنين وبنات مزوجات وارامل وزوجة ، الذكور يرثونه والبنات سهمهم ما أعطاهم ابوهم في حيوته ، فأن افتقروا فأولى من عالهم اخوتهم ، والمرأة ان حفظت العهد على زوجها يكون امرها في البيت بعده امره

ان كانت أم الاولاد أو إمرأة الاب ، وان لم يتزوج ولم يجلس في البيت يعطى سهماً وافراً (كذا) ، وان أحبت التزوج تعطى جهازها ومهرها وما يحلها زوجها والعشر من ماله الذي اقتناه منذ وقت دخولها بيته » (١١٢)

جوامع مواريث المسلمين

« المرأة ترث من زوجها الربع اذا لم يكن اولاد ، ومع الاولاد كم كانوا الثمن فما يزاد على الربع ولا ينقص عن الثمن .

الرجل يرث من زوجته اذا لم يكن أولاد أو أولاد اولاد النصف، ومع هؤلاء الربـع .

والاب يرث من ابنه مع كون الاولاد لابنه السدس ، واذا لم يكن أولاد الكل ، ومع بنات ابنه الثلث ، والباقي للبنات ،وان كانت البنت واحدة فالنصف لها والنصف للاب .

الام ترث من ابنها الثلث ان لم يكن له أولاد وأولاد أولاد ، وان كان له فالسدس .

الام ترث من ابنها اذا كان له اخوة أو أخوات السدس ، وهكذا ان كان له أب . . . » (١١٣) .

٣) من مقالة في التوحيـد

« فأسم الجوهر ، في كل ذات ، يدل على مطاق الطباع في الشيْ ، كطبع الانسان المطلق في أشخاصه ، والنار المطلقة في اشخاصها .

فاذاتخصصت(الذات)بصفة ،سميتها بالتخصص اقنوما ،(قنوما بالسريانية) .

واذا تعينت الصفة ، سميتها شخصاً (فرصوفا ، بالسريانية ، عن اليونانية بروسوبون) .

واذا تحصلت لها الاوصاف ، كانت بوجه واحدا ، وبوجه كثيراً . من جهة الجوهر تكون واحدا ، ومن جهة اوصافها تكون كثيرة . . .

فأما لفظة الاتحاد فأنها تدل على مصير شيئين(أو أكثر من شيئين) يجتمعان ، (فيصيرا) شيئاً واحداً .

وهذان اذا اجتمعا ، اما ان يتفاسدا ، فيحصل منهما طبع ثالث ، كنار وماء ، أو يبقيا على حالهما ، فيحصل نقل صفة كل منهما الى الآخر ، بما هو معلق به .

مثال ذلك . ان وجد لسقراط البياض ، فطبع البياض غير طبع سقراط الا انا نصفه بانه ابيض ، ونصف الابيض بأنه سقراط . فننقل صفة كل منهما الى صاحبه لاجل المشاركة التي بينهما » (١١٤)

* * *

الهوامش

(١) عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة ، ط د . نزار رضا ، بيروت ١٩٦٥ ، ص ٣٢٣ .

(٢) تاريخ الحكماء للقفطي ، ط ليبر ، نشر مكتبة المثنى ببغداد ومؤسسة الخانجي بمصر ، ص ٢٢٣ . تاريخ مختصر الدول لابن العبري، ط الاب انطون صالحاني ، بيروت ١٩٥٨ ، ص ١٩٠. نزهةالارواحوروضةالافراح للشهر زوري،طحيدر آباد١٩٧٦، ج ٢ رقم ١٨.

(٣) Ms. Brit. Mus., Suppl. 15, ar. كما نقل الشهرزوري قول ابن الطيب انه من أولاد فولوس ابن أخت جالينوس ؛ نزهة الارواح ، ج ٢ ، رقم ١٨ .

(٤) عيسى بن اسحق بن زرعة توفي سنة ٣٩٨ هـ ١٠٠٨ م ، وابو الخير الحسن بن الخمار توفي سنة ٤١١ هـ ١٠٢٠ م ، وكلاهما من المشتغلين بالعلم والحكمة .

(٥) السلطان البويهي عضد الدولة (٩٣٦-٩٨٣ م) كان محباً للعلماء ، كما يصفه ابن خلكان في وفيات الاعيان ، وابن كثير في البداية والنهاية . فيقول الاول ان الفراغ من بناء البيمارستان العضدي كان سنة ٣٦٨ هـ / ٩٧٨ م، كما ورد نقلا عن عبيدالله بن جبريل بن بختيشوع ان عضد الدولة جمع في بيمارستانه اربعة وعشرين طبيباً ، كان على رأسهم هارون بن صاعد بن هارون ، أو نصر بن هارون بحسب لكليرك (ج ١ ، ص ٤٤٨ كما في الهامش ٢٠ أ) . من هولاء ؛ ابو الحسن علي بن ابراهيم بن بكس ، وابو الحسن بن كشكرايا (ابن الكشكري) المعروف بتلميذ سنان ، وابو يعقوب الاهوازي، وابو عيسى بقية ، ونظيف النفس الرومي ، وبنو حسون ، وابن مندويه ، وابو الحسن علي بن هبةالله بن الحسن، وابن الدولة بن التلميذ وابو علي بن ابي الخير بن العطار ، وجمال الدين بن اثردي ، وابن المارستانية وغيرهم. انظر : د . احمد عيسى بك ، تاريخ البيمارستانات في الاسلام ، دمشق ١٩٣٩ ، ص ١٨٧ – ١٩٧ .

(٦) جلال الدين البويهي حاكم بغداد والبصرة ، لقب بأمير الامراء ، وكان آلة بيد الاتراك لبسط سيادتهم على العراق . توفي سنة ١٠٤٤ م .

(٧) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٣ .

(٨) كتاب المجدل (اخبار فطاركة المشرق) لعمرو بن متى وصليبا بن يوحنا ، ط جيسموندى بروما ، واعادة طبع مكتبة المثنى ببغداد ،ص ٩٦ ، ثم ص ٩٨ – ٩٩ . ويميل معظم المحدثين الى حصر علاقة ابن الطيب بالبطريرك الثاني وحده ، بينما يؤكد التاريخ علاقته بالاثنين . وجاء في مخطوط قول ابن الطيب في العلم والمعجزة ، الذي نشره الاب بولس سباط في مصر ، انه « كاتب الجاثليق » (ص ١٧٩) . وقد كلفه البطريرك ايليا الطيرهاني بمراجعة احد كتب المطران ايليا السني (برشينايا) لغرض اجازته . انظر :
A. Mai, Scriptorum Veterum Nova Collectio, t. IV, Romae 1831, p. 78.

(٩) تاريخ الحكماء للقفطي ، ص ٢٢٣ . وسيتضح ذلك من خلال عرضنا لآثاره .

ويؤكد الشهرزوري انه كان عالماً باللغة الرومية واليونانية ؛ نزهة الارواح ، ج٢ ، رقم ١٨ .

(١٠) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٤ .

(١١) المصدر السابق

(١٢) J. S. Assemani, Bibliotheca Orientalis, III, 1,p. 544

وورد في جملة مخطوطات انه « شيخ » و « قس » ، كما في (فردوس النصرانية) بحسب المخطوطة الفاتيكانية العربية رقم ٣٧ ، اذ نقرا ؛ « كتاب فردوس النصرانية تصنيف الشيخ الاجل الاوحد القس الطاهر ابي الفرج عبدالله بن الطيب . . . »

(٣) مجدل عمرو وصليبا ، ص ٩٦ . بينما تعتبره شماسا فقط المخطوطة اللندنية العربية رقم ١٥ ملحق .

(١٤) السمعاني ، ج٣ ، ١ ، ص ٥٤٤

(١٥) القفطي ، ص ٣٢٣ . ابن العبري ، ص ١٩٠ .

(١٦) السمعاني ٣ ، ١ ، ص ٥٤٤

(١٧) المجدل ، ص ٩٩

(١٨) المصدر السابق ، ص ٩٨ – والسمعاني كذلك . الاب البير ابونا ، ادب اللغة الارامية بيروت ١٩٧٠ ، ص ٤١٧ .

(١٨ أ) اذ لم يجده احد الرحالة الذين زاروا بغداد عهد ذاك . انظر :

G. Le Strange, Baghdad during the Abbassid Caliphate, Oxford 1900, p. 118.

وبيعة درتا من اقدم كنائس بغداد ، تقع الى الشمال من مقبرة باب التبن ، شمال شرقي المشهد الكاظمي : الاب د . بطرس حداد ، كنائس بغداد عبر التاريخ ، مجلة بين النهرين ٨ (١٩٨٠) ، ص ٣١٢ .

(١٩) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٣

(٢٠) المصدر السابق ، ص ٣٢٣–٣٢٤

(٢٠ أ) Lucien Leclerc, Histoire de la Medecine Arabe, t. I, Paris 1867 ; Rabat 1980; p. 486 — 488.

(٢١) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٣

(٢٢) المصدر عينه

(٢٣) القفطي ، ص ٢٢٣

(٢٤) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٣ . القفطي ، ص ٢٢٣

(٢٥) اذ يقول ابن ابي اصيبعة ؛ « وكان الشيخ الرئيس يحمد كلامه في الطب . واما في الحكمة فكان يذمه » (عيون الانباء ، ص ٣٢٣–٣٢٤) . ويضيف الشهرزوري ان سبب ذلك « تحاسد يكون بين اهل العصر » نزهة الارواح ، ج٢ ، رقم ١٨ .

(٢٦) القفطي ، ص ٢٢٣ . ابن العبري ، ص ١٩٠

(٢٧) القفطي ، ص ٣٢٣

(٢٨) المصدر السابق

(٢٩) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٣

(٢٩ أ) يؤكد ابن الطيب نفسه ان مادفعه الى تصنيف عدة مجلدات اهمال العلم في زمانه من قبل رجال الكنيسة ، اذ يقول في مقدمة موسوعته الكتابية (فردوس النصرانية) مانصه : « لما شاهدت علوم البيعة قد دثرت ، ولم يبق احد من الكهنة الاكابر يفتح كتاباً ، ولا يقرأ تفسيراً ، ولا يشعر بأن عالما صنف (كذا) الا النفر القليل . . . وتصفحت من عاصرت ، وخاصة آخر عمري . . . رأيت . . . (المقدمة ص ١-٢ ، مخطوطة الفاتيكان العربية رقم ٣٧)

(٣٠) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٣

(٣١) القفطي ، ص ٢٢٣

(٣٢) ابن العبري ص ١٩٠ . وجاء في مخطوطة موسوعته القانونية (فقه النصرانية) انه « الشيخ الفاضل والفيلسوف الكامل »

(٣٣) كما بشأن مقالته في تعديد آراء الناس في الاتحاد وحججهم ، وسيأتي ذكر ذلك في باب آثاره .

(٣٣ أ) ان أهم من أحصى كتب ابن الطيب من القدامى : ابن ابي اصيبعة في عيون الانباء والقفطي في تاريخ الحكماء ، وابن العبري في تاريخ مختصر الدول والتاريخ الكنسي ، ومن المتأخرين :

E. Tisserant, Dict. de Theol. Cath., XI (1931), p. 276–278; Carl. Brockelmann, GAL, I, p. 482; J I,2,p.635; Suppl. I,p. 884; W. Riedel, Die Kirchenrechtsquellen des Patriarchats Alexandrien 1900, p. 150–152; George Graf, Geschichte der Christlichen Arabischen Literatur II, Citta del Vaticano 1947, p. 160–176; Fuat Sezgin, Geschichte des Arabischen Schrifttums, III, Leiden (E.J.Brill), 1970, passim; Khalil Samir, Bibliographie du Dialogue Islamo Chretien, Auteurs Arabes Chre – tiens XIe–XIIe siecles), extrait d'Islamochristiana 2 (1976), p. 203–208.

هذا بالاضافة الى ماذكرناهم سابقاً ؛ السمعاني ، ماي ، لكليرك ، ابونا ، اولمان . وراجع ايضاً : المطران يوسف الدبس ، تاريخ سوريا ، بيروت ١٨٩٣ – ١٩٠٣ ، جـ٥ ، ص ٥١٥ – ٥٢١ . وتتناول الموسوعات كذلك ، وفهارس المؤلفين شخصية ابن الطيب وشيئاً من آثاره .

(٣٤) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥ . ويأتي تكرار ذلك لدى العديد من المؤلفين المحدثين .
(٣٥) المصدر السابق ايضاً .
(٣٦) و(٣٧) و(٣٨) و(٣٩) المصدرعينه
(٤٠) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥ . سيزكين ، ٣ ، ص ٣٥١
(٤١) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥
(٤٢) القفطي ، ص ٢٢٣
(٤٣) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥
(٤٤) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥ . فهرس سباط ، ١ ، ص ٢٤ ، رقم ١٥٣
(٤٥) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥ . فهرس سباط ، ١ ، ص ٢٤ ، رقم ١٥٥
(٤٦) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥ . مخطوط مكتبة جامعةالقديس يوسف ببيروت رقم ٢٨١ من القرن الحادي عشر .
(٤٧) مخطوط الاسكوريال رقم ٨٨٨ ، الاوراق ١-١٤ Renaud وانظر :
Manfred Ullmann, Die Medizin im Islam (Hand. d. Orient.) Leiden/Köeln 1970, p. 157.
(٤٨) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥ . مخطوط مغنيسا رقم ١٧٧٢ من القرن السادسللهجرة ، الاوراق ١ – ٣٧ . سيزكين ، ٣ ، ص ٨٠ . وله (ثمار كتاب الفرق)مخطوطة كوبرلو ٩٦١ . سيزكين ٣ ، ص ١٤٦ . اولمان ، ص ١٥٧ . وراجع ايضاً ؛
Albert Dietrich, Medicianalia Arabica. Studien über arabische medizinische Hand schriften in tüerkischen und syrischen Bibliotheken, Göettingen 1966, n. 5 .
(٤٩) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥ . مخطوطة مغنيسا ١٧٧٢ ، الاوراق ٣٧ ب – ١٣٦ ب. المتحف البريطاني ، شرقي ٥٢ من السنة ٤٤٨ هـ . ديتريش ، رقم ٦ . سيزكين ٣، ص ٨١ . اولمان ، ص ١٥٧ .
(٥٠) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥ . مخطوط مغنيسا ١٧٧٢ ، الاوراق ١٩٠–٣٣٢. ديتريش ، رقم ٦ . سيزكين ٣ ، ص ٨٣ . اولمان ، ص ١٥٧.
(٥١) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥ . مخطوط مغنيسا ١٧٧٢ ، الاوراق ١٣٢ –ب – ١٨٩ ب. مخطوط برنستون رقم ١٠٩٥ من سنة ١١٠١ هـ . سيزكين ٣ ، ص ٨٢ . ديتريش، رقم ٧ . اولمان ، ص ١٥٧.
(٥٢) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥ . مخطوطة باريس ٨٤٨٢ هـ ١، الاوراق ١–٣٥ من السنة ٤١٥ هـ . سيزكين ٣ ، ٨٧ . اولمان ، ص ١٥٧.
(٥٣) مخطوط كوبرلو رقم ٩٦١ هـ ٠٢ سيزكن ٣ ، ص١٤٦
(٥٤) مخطوطة باريس ٢٨٤٨ ، الاوراق ٣٥–١٣٩ . فهرس سباط ١ ، ص ٢٤، رقم ١٥٧ . سيزكن ٣ ، ١٨٧ . اولمان ص ١٥٧.

(٥٥) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥ . اولمان ، ص ١٥٧ . ومنه مخطوطة آيا صوفيا ٢٤٥٧ هـ ٠٢ وقد انتقد ابن سينا هذا الكتاب (انظر ابن سينا لقنواتي ؛ اولمان ، ص ١٥٦)

(٥٦) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥ . ومنه مخطوطة بنكيبور ٤ ، ٥٣ . اولمان ، ص ١٥٧ .

(٥٧) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥ . مخطوط مجلس (طهران) رقم ٣٩٧٤ .

(٥٨) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥ . مخطوط مجلس ٣٩٧٤ .

(٥٩) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥ . مخطوط مجلس ٣٩٧٤ .

(٥٩) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥ .

(٦٠) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥ . وورد عنوانه ؛ في أصناف الحميات ، وذلك في مخطوط مجلس رقم ٣٩٧٤ حيث نلقاه محفوظاً .

(٦١) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥ . وكذلك في المخطوط السابق .

(٦٢) المصدران السابقان .

(٦٣) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥ . مخطوط ليدن رقم ١٢٩٨ (شرقي ٢٧٨ / ١) الاوراق ١-١٥٤ . فهرس سباط ١ ، ص ٢٤ ، رقم ١٥٧ . اولمان ، ص ١٥٧ .

(٦٤) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥

(٦٥) مخطوط ليدن ١٢٩٩ (شرقي ٢٧٨ / ٢) الاوراق ١٥٥-٢٠٩ . سيزكين ٣ ، ص ١٢٢ . اولمان ، ص ١٥٧ .

(٦٦) مخطوط يزد في مكتبة علي علمي من القرن السادس هـ السابع للهجرة . مخطوط مجلس ٣٩٤٩ . مخطوط مشهد ٨٠٩]٠٣ سيزكين ٣ ، ص ٨٥

(٦٧) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥ . مخطوط دانشكاه رقم ٥٤٦٨ . مخطوط ملك رقم ٤٥٥٤ . سيزكين ٣ ، ص ١٠٧

(٦٨) مخطوط يزد في مكتبة علي علمي . مخطوط مجلس ٣٩٤٩ هـ٥٠ مخطوط مشهد ٠٣/٨٠٩ سيزكين ٣ ، ص ٨٥ .

(٦٩) مخطوط يزد في مكتبة علي علمي . مخطوط مجلس ٣٩٤٩ / ٠٥ سيزكين ٣ ، ص ٨٦

(٧٠) مخطوط الاسكوريال ٨٨٨ ، الاوراق ٨٨-٩١ . اولمان ، ص ١٥٧

(٧١) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥ . ويذكر سيزكين ٣ ، ص ١٤٦-١٤٨ عدة كتب اخرى تدخل ضمن جوامع الاسكندرانيين هي ؛ ثمار كتاب الفرق (مخطوط كوبرلو ١/٩٦١ من القرن السادس للهجرة) ، وثمار الصناعة الصغيرة (كوبرلو ٩٦١ / ٢) ، وثمار كتاب النبض (كوبرلو ٩٦١ / ٣) ، وثمار كتاب جالينوس الى اغلوقن (كوبرلو ٩٦١ / ٤) ، وثمار كتاب الاسطقسات (كوبرلو ٩٦١) ، وثمار كتاب المزاج (كوبرلو ٩٦١) ، وثمار كتاب القوى الطبيعية (كوبرلو ٩٦١) .

(٧٢) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥ . مخطوط مغنيسا ١٧٨١ ، الاوراق ٥٣-١١٦ من السنة ٦٢٥ هـ . سيزكين ٣ ، ص ٢٥٠ . ديتريش ، رقم ١١٠ . اولمان ، ص ١٥٧ .

(٧٣) و (٧٤) و (٧٥) و (٧٦) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥

(٧٧) غراف ٢، ص ١٧٣-١٧٦، الرقم ١٢ . وقد نشر بعنوان :
Ibn at–Taiyib,Fiqhan–Nasraniya,Das Recht der Christenheit, von : W. Hoenerbach & O. Spies, CSCO, S. Arab., voll. 16 – 18, Louvain 1956 – 1957.

(٧٨) المخطوطة الفاتكيانية العربية رقم ١٥٧ ، الاوراق ٩١-٩٢ ب ، ومخطوط ديار بكر (كرشوني) رقم ٢/١٥٧ . غراف ٢ ، ص ١٧٦ ، الرقم ١٣ .

(٧٩) السمعاني ٣ ، ١ ، ص ٥٤٧ . ومنه مخطوطة فاتيكانية رقم ١٥٠ ، نشر الاب مرمرجي أسطراً منها :
A.–S. Marmardji, Diatessaron de Tatien, Beyrouth 1935, p. 44 – 45.

(٨٠) مخطوطة الفاتيكان العربية ٣٧ من السنة ١٢٩١ م ، ورقم ٣٦ من القرن الثالث عشر ه الرابع عشر ، ومخطوطة ديار بكر ١٢٨ من السنة ١٣٣٢ ، ورقم ٢٩ من القرن الرابع عشر ، ومخطوطة المكتبة الوطنية بنابولي رقم ٦٠

(٨١) J.C.J. Sanders, Ibn at–Taiyib, Commentaire sur la Genese, CSCO, Vol. 275, S. Arab. t. 25, Louvain 1967.

وللاب كوب المخلصي أطروحة باللغة الفلامينية عن سفر التكوين لابن الطيب (لوفان ١٩٧١)

(٨٢) مخطوطة لندنية ، عربية نصرانيةرقم ١٠ من القرن الثالث عشر، واخرى رقم ٧٩٣ من السنة ١١٨٨ م ، ومخطوطة فاتيكانية عربية رقم ٣٥ من القرن الحادي عشر ، واخرى رقم ٣٩٩ ، واخرى رقم ٥٩٤ ، واخرى ضمن مجموعة ليننفراد ، غريغور الرابع رقم ١٢ من القرن السادس عشر، وفهرس سباط ١٤٩ ، ومخطوط سعرد رقم ١٢٩ من القرن الرابع عشر . انظر مجلة المشرق ٢٣ (١٩٢٥) ص ٦٧٧ . ٢ غراف ٢ ، ص ١٦٥-١٦٦ . سمير ، بيبلوغرافيا ، ص ٢٠٤ ، ٣ . وقد نشر الاب مرمرجي اسطراً قليلة ، ص ٤٥-٤٦ .

(٨٣) مرمرجي (الهامش ٧٩) ، المقدمة ، ص ١ ، ثم ص ٨٥-٩٢ . ونشر الاب المذكور آيات من الفصل العاشر من انجيل لوقا ، ص ٤٩-٥٠

(٨٤) المخطوطة الباريسية العربية رقم ٨٥ من القرن الحادي عشر ، والمخطوطة القاهرية رقم ١٢٨ من السنة ١٢٣٢ م وقد ورد ذكر هذا التفسير في مقدمة (فردوس النصرانية) ، كما في التاريخ السرياني لابن العبري ، ولدى السمعاني ٣ ، ١ ، ص ٥٤٦

(٨٥) مجلة رسالة الكنيسة (مصر) ٤ (١٩٧٢) ، ومجلة Parol de l'Orient و ٥ (١٩٧٤) . سمير ، ص ٢٠٤ ، رقم ٤

(٨٦) ورد شيء منه في (فقه النصرانية) . السمعاني ٣ ، ١ ، ص ٥٤٧

(٨٧) السمعاني٣ ، ١ ، ص ٥٤٧ . المخطوطة الفاتيكانية العربية رقم ٢٩ ، الاوراق ١ ب، ٣٧ .

(٨٨) غراف ٢ ، ص ١٧٠ ، الرقم ٥

(٨٩) سمير ، ص ٢٠٤ ، الرقم ٥

(٩٠) فهرس سباط ١ ، ص ٢٤ ، الرقم ١٥٠

(٩١) سمير ، ص ٢٠٤–٢٠٥ ، الرقم ٦

(٩٢) مخطوطة البودليانا باكسفورد رقم ٢٤٠ ، الاوراق ٩٥ ب – ٩٩ . راجع :
A.F.L. Beeston, An important Christian Arabic Manuscript in Oxford, in Orientalia Christiana Periodica 19 ; p. 197 – 205.

(٩٣) Gèrard Troupeau, Le traitè sur l'unitè et la trinitè de 'Abd Allah Ibn al-Tayyib, in Parole de l'Orient 2 ;1971), p. 71 – 89.

(٩٤) مقالة في التثليث لابي الفرج عبدالله بن الطيب المتوفى سنة ١٠٤٣ م ، تقديم وتحقيق الاب سمير خليل اليسوعي ، مجلة بين النهرين ٤ (١٩٧٦) ، ص ٣٨٢ . انظر : سمير ص ٢٠٥–٢٠٦ ، الرقم ٧ .

(٩٥) السمعاني ٣ ، ١ ، ص ٥٤٧ . مخطوطة الفاتيكان ١٤٥ ، الاوراق ٤٨ ب – ٦٩ ب . البودليانا ٣٨ هـ ٥ .

(٩٦) G. Graf, Die Philosophie und Gotteslehre des Jahja ibn 'Ad i und spâeterer Autoren, Muenster i, W. 1910, 48–51.

(٩٧) Gerard Troupeau, Le Traitè sur la Trinitè et l'Unitè de 'Abd Allah Ibn al-Tayyib, in Bullètin d'Etudes Orientales 25 ; 1972 Damas) , p. 105 – 123

وانظر : غراف ٢ ، ص ١٧٠–١٧٢ ، الرقم ٦ . سمير ٢٠٦ ، الرقم ٨ .

(٩٨) المخطوطة الفاتيكانية العربية رقم ١٤٥ ، الاوراق ٧٠ ب – ٧٣ . غراف ٢ ، ص ١٧٢ الرقم ٧ . سمير ، ص ٢٠٦ ، الرقم ٩

(٩٩) في مجلة صديق الكاهن (المعادي) ١٤ ، ٢ ، حزيران ١٩٧٤ ، ص ١٣٣–١٤٣ ، وذلك بعنوان : مقالة في الاقانيم والجوهر لابي الفرج عبدالله بن الطيب .

(١٠٠)
Gèrard Troupeau, Le traitè sur les hypostases et la substance

de 'Abd Allah Ibn al-Tayyib, in Orientalia Hispanica. . . F.M. Pareja . . , curavit J.M. Barral, vol.I, Leyde 1974, p. 640 – 644.

(١٠١) غراف ٢ ، ص ١٧١ ، ١٧٢

(١٠٢) المخطوطة الفاتيكانية العربية ١٤٥ ، الاوراق ٦٧ ب – ٧١ ب . البودليانية (اكسفورد رقم ٢٤٠ ، الورقتان ١٠٤–١٠٥

(١٠٣) الفصول ٨ ، ١١ و ١٩ من مجموع اصول الدين

(١٠٤) غراف ٢ ، ص ١٧٢–١٧٣ ، الرقم ١٠ . سمير ، ص ٢٠٧–٢٠٨ ، الرقم ١١

(١٠٥) السمعاني ٣ ، ١ ص ٥٤٧ . غراف ٢ ، ص ١٧٣ ، الرقم ١١ . سمير ، ص ٢٠٨ ، الرقم ١٢ .

(١٠٦) السمعاني ٣ ، ١ ، ص ٥٤٧. غراف ٢ ، ص ١٧٦ . لكليرك ١ ، ص ٤٨٦–٤٨٧

(١٠٧) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥ . ولعله مايسميه الشهرزوري (في كمية الاعمار) : نزهة الارواح ، ٢ ، رقم ١٨ .

(١٠٨) ويكمل ابن ابي اصيبعة قائلا : « ووجدت بخط ظافر بن جابر السكري على هذه المقالة ما هذا مثاله : قال هذه الكراسة بخط سيدنا الاجل ابي نصر محمد بن علي بن برزج تلميذ الشيخ ابي الفرج املاها الشيخ ابو الفرج ، اطال الله بقاءه ونكب اعداءه ، عليه ببغداد . وكان السبب في ذلك ظافر بن جابر بن منصور السكري الطبيب » (عيون الانباء ، ص ٣٢٥) . ويذكر له الشهرزوري كتاباً في علل الاشياء ، لعله ماورد ذكره ، انظر : نزهة الارواح ، ٢ ، رقم ١٨ .

(١٠٩) من ذلك مخطوطة الاسكوريال ٨٨٨ ، الاوراق ١٤–٧٦ من السنة ٩٨٥ هـ . لكليرك ١ ، ص ٤٨٧ . سيزكن ٤ ، ص ٣١٣ .

(١١٠) نحيل القارىء الكريم الى ثلاثة بحوث فيها من البيبلوغرافيا الشيء الكثير وهي تعالج الموضوع بشكل مباشر وهي : دىلاسي اوليرى ، انتقال علوم الاغريق الى العرب ، ترجمة متى بيثون ويحيى الثعالبي ، بغداد ١٩٥٨ . الشحات السيد زغلول ، السريان والحضارة الاسلامية ، الاسكندرية ١٩٧٥ . رشيد حميد حسن الجميلي ، حركة الترجمة في المشرق الاسلامي في القرنين الثالث والرابع للهجرة ، طرابلس ١٩٨٢ .

(١١١) ابو الفرج بن الطيب ، تفسير كتاب ايسا غوجي لفرفوريوس ، تحقيق الدكتور كوامي جيكي ، دار المشرق ، بيروت ، ص ٩–١٠

(١١٢) فقه النصرانية ، جا ، ص ١٩٠–١٩١

(١١٣) المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٨٩

(١١٤) الاب سمير خليل ، صفحات من مقالة مفقودة لابن الطيب في مجموع أصول الد.. لابن العسال ، مجلة بين النهرين ٥ (١٩٧٧) ، ص ٢٥٠–٢٥١

عقبات مفتعلة في طريق التعريب

الدكتور جميل الملائكة
(عضو المجمع)

استقطب موضوع التعريب في العقود الثلاثة الاخيرة من السنين اهتمام الكثير من المؤتمرات والندوات والحلقات الدراسية والاستطلاعات ، وكتب فيه من البحوث والمقالات ما تناول جميع جوانبه حتى لم يكد يبقى منه زيادة لمستزيد . ومع استمرار ظهور صوت معارض أو مشكك بين الحين والآخر ، تكاد تجمع التوصيات والنتائج التي خرج بها الرصين المستكمل عدته من هذه المؤتمرات والندوات والاستطلاعات على وجوب الشروع والمضي قدما في التعريب ، وان اختلفت التفاصيل في أسلوب التنفيذ .

وتجدر هنا الاشارة الى أن الأعم الأغلب من هؤلاء المعارضين لم يقولوا بعدم جدوى التعريب . غير أنهم كانوا في كل مرة يناقش فيها هذا الموضوع خلال ثلاثين سنة مضت ، وخلال سنين طويلة قبلها ، يحتجون بضرورة التريث بضع سنوات ريثما تتوفر المصطلحات ، أو ريثما تترجم الكتب أو تؤلف . وهكذا مرت السنوات تلو السنوات واتضح بما لا يقبل الشك أن التريث بعد التريث لا يؤدي الى انجاز شيء وانه ليس اكثر من أسلوب في التسويف والتعويق والتواني .

لقد أمر الخليفة المأمون بنقل علوم اليونان والهند الى العربية فلم يقف التراجمة مكتوفي الايدي ريثما تتوفر المصطلحات ، بل عملوا حثيثا في الترجمة ، وكان أن تحققت في زمنه نهضة علمية عظيمة . وقد أرسل محمد علي في القرن الماضي

البعثات الى فرنسا وكلف الخريجين حال عودتهم الى مصر بتأليف الكتب العلمية باللغة العربية فلم يثيروا مشكلة مصطلحات ، ولم يعتذروا بقصور العربية عن التعبير العلمي ، بل بقيت كتبهم الجليلة التي أخرجتها مطبعة بولاق في الطب والصيدلة والهندسة والعلوم شواهد على انجازاتهم الرائعة .

وقامت سورية بحملة في التعريب منذ نهاية الحرب العالمية الاولى فلم يمض عامان حتى تم تعريب التعليم في جميع مراحله بهدوء وبدون ضجة ، عدا بعض الكليات العلمية التي طبق التعريب فيها في أواسط الاربعينيات ، ولم يزل كله كذلك حتى اليوم . وقد الف وترجم خلال تلك الحقبة الطويلة عدد كبير من الكتب النفيسة في مختلف حقول المعرفة . ومثل ذلك يقال في الجامعة الاردنية التي تسير التدريسات فيها باللغة العربية وقد نشطت فيها حركة دائبة في اعداد الكتب العربية تأليفاً وترجمة بالتعاون مع مجمع اللغة العربية الاردني .

وسار التعليم العام في العراق منذ بدء الحكم الوطني باللغة العربية وألّفت له الكتب الكثيرة واستمر وما زال كذلك منذ اكثر من ستين سنة من دون صعوبة تذكر . ومثل ذلك يقال في تدريس العلوم الانسانية في جميع كليات التعليم العالي في العراق منذ انشائها في ثلاثينيات هذا القرن وأربعينياته . وكان القرار الجريء الذي اتخذته حكومة الثورة في العراق بتعريب تدريس العلوم الصرفة والتطبيقية والتقنية في كليات التعليم العالي ومعاهده ابتداء من العام الدراسي ١٩٧٧ — ١٩٧٨ وما حققه من نتائج باهرة ، دليلا ناصعاً على بطلان حجج أصحاب الارجاء والتسويف لقد ألزم القرار البدء بتدريس صفوف السنة الاولى باللغة العربية في العام ٧٧ — ٧٨ ، وأن يشمل التعريب صفوف السنة الثانية في العام الذي يليه ، وهكذا لم ينقض عام ٨٠ — ٨١ الا وقد أنجز تطبيق التعريب في جميع صفوف الدراسة العالية وتخرجت أولى دوراته . وقد فرض في الوقت عينه تنفيذ برنامج صارم محكم في تأليف الكتب العلمية وترجمتها فتوفر حتى الآن مئات من الكتب الدراسية المقررة

والكتب المساعدة وبعض كتب المراجع ، والعملية مستمرة . ولم يفت الجهات التي خططت للعملية الاهتمام للغة الاجنبية الحية لضمان الانفتاح على العلوم والثقافة العالمية . ومن ذلك أنها جعلت اللغة الانكليزية العلمية من ضمن المواد المنهجية التي على الطالب دراستها والنجاح في امتحاناتها في السنة الاولى من الدراسة العالية او السنتين الاوليين في بعض الكليات ، وأنها فرضت على الكليات والمعاهد تدريس مادة علمية واحدة باللغة الانكليزية في كل فصل من فصول الدراسة ، وأنها ألزمت الطالب حفظ المصطلح الانكليزي اضافة الى المصطلح العربي لتمكينه من قراءة كتب المراجع والمتابعة العامية .

لقد أشرفت على التخطيط للتعريب في العراق هيئة عليا حددت القواعد الواجبة الاتباع في التنفيذ ، وأنشيء لذلك مركز للتعريب يتابع العملية مركزياً وينسقها ويضع الدراسات والتقارير ويعد لوائح التشريعات في كل ما يتعلق بالتنفيذ . وألفت لجان علمية في الاختصاصات الرئيسة المختلفة تختار باشراف المركز المؤلفين والمترجمين من بين مرشحي الجامعات وتسمي كتب الترجمة والتأليف على وفق المناهج المقررة . والفت كذلك لجان فرعية في الجامعات والكليات والمعاهد لمتابعة العملية التي جرت بانتظام ، وما زالت سائرة كذلك ، في درب ذي اتجاه واحد لا عودة فيه ، فهو عين الطريق الذي سلكته عملية تعريب التعليم العام في العراق وتعريب العلوم الانسانية سابقاً .

وأود أن أشير باختصار الى مالمسته في تجربتي الشخصية في هذا الموضوع وأنا أمارس التعليم الجامعي منذ أربع وثلاثين سنة أمضيت ثلاثين منها في تدريس عدة موضوعات باللغة الانكليزية ، ومنها مادة اختصاصي في ميكانيك الموائع ، ومارست تدريسها في السنوات الاربع الأخيرة منها باللغة العربية . لقد وجدت بما لا يقبل الشك أن ما يستوعبه الطالب بسهولة ويسر في ضبطه لمادة المحاضرة الملقاة باللغة العربية يزيد ويربي كثيراً على ما كان يتمكن من استيعابه منها وهي تلقى باللغة الانكليزية ، حتى بات في الامكان التوسع في المنهج واغناؤه بالكثير من

المادة المفيدة . ويصح القول نفسه على السهولة التي يجدها الطالب في قراءة المادة في الكتاب العربي اذا قورنت بما يعانيه في مطالعة كتاب انكليزي وكثرة ما يشكل عليه فهمه من تعابيره وتراكيبه الغريبة عليه ، فضلا عن مضاعفة الوقت الذي تتطلبه القراءة والمتابعة بلغة أجنبية .

ولو حاولنا أن نستعرض تاريخ بدء الكلام على تعذر التعريب وصعوباته لوجدنا انه لم يبدأ الا في مطالع هذا القرن ، في عين الوقت الذي لاحظ فيه الاستعمار بوادر نهوض الامة العربية بعد سباتها الطويل وشروعها باصلاح احوالها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية . أفلا يدعو هذا الى الكثير من التأمل والتفكير ؟

لقد قال المشككون بأن المشكلة مشكلة مصطلحات ولا بد من التريث والانتظار الى حين توفر المصطلحات . ومر زمن طويل شغلت فيه المجامع اللغوية والهيئات العلمية نفسها بوضع المصطلحات حتى أعدت منها الشيء الكثير ، ولكن عملية التعريب لم تنفذ ، وبقيت المصطلحات طيّ الكراريس والكتب .

واذ عاد الناس يطالبون بالتعريب احتج المشككون هذه المرة بمشكلة جديدة : قالوا لقد تعددت المصطلحات وكثرت ولا بد من التريث ريثما يتم توحيد المصطلحات . وهكذا شغلت المجامع والهيئات العلمية نفسها ثانية بعملية التوحيد ، وبلغت فيها شأوا بعيدا .

وتعددت الحلقات العلمية والندوات والمؤتمرات تتدارس المصطلحات وتعمل على توحيدها وتصدر مجاميع المصطلحات الموحدة . ولكن الامر المهم الخطير الذي بقي ، هو أن المشككين باقون على الاعتذار بمشكلة المصطلحات وبمشكلة تعدد المصطلحات ومستمرون في الاصرار على التريث في التعريب . انها حقاً لعبة ساذجة ومفضوحة ، ولكن ما الفائدة من وضع المصطلحات اذا لم تستعمل ؟ وكيف توحد المصطلحات وهي لم تستعمل بعد ؟ ومن ذا الذي يضع المصطلح ويوحده غير أهله من العلماء وأهل العلم ؟ وهل سمع أحد بقطر من أقطار العالم أو أمة من الامم شغلت نفسها ثلاثين عاما او خمسين عاما في وضع المصطلحات

وفي الجدل في المصطلحات وتوحيد المصطلحات لانها على نية استعمال لغتها القومية في التعليم ؟ ان أهل العلم في أقطار العالم هم الذين يصطلحون بالمفردة على المدلول العلمي . والاستعمال وحده هو الذي يوحد المصطلحات وهو الذي يبقي الجيد وينبذ الرديء . أما المجامع وأهل اللغة المختصون في بلاد الله فهم يساعدون في المبهم من هذه الاشياء وهم المرجع فيما يشكل منها .

وثمة اقطار كثيرة تستعمل لغاتها القومية في التعليم وهي ليست أعرق ولا أغنى من اللغة العربية . فهل تلكأت جامعات الصين واليابان وروسيا وهنغاريا والبرتغال وعشرات غيرها من الدول في استعمال لغاتها القومية في التعليم وبقيت تنتظر الى حين قيام المجامع والهيئات اللغوية بتسليمها المصطلحات العلمية الموحدة كاملة غير منقوصة ؟

لقد عبر المشتغلون بعلوم المياه عن المساحة التي تسهم في تجهيز المياه الى نهر بأوجه مختلفة في اللغة الانكليزية . فمنهم من دعاها Watershed ومنهم من سماها drainage area وسماها آخرون drainage basin ودعاها غيرهم catchment area واصطلح بعضهم على تسميتها gathering ground (١) وهي خمسة مصطلحات لمداول واحد بعينه . فهل كان ذلك حقاً مما اخر مسيرة العلم عندهم او مدعاة لوصف لغتهم بالضعف والخلل ؟ لا أعرف ان ثمة جهة واحدة لها السلطة المطلقة في توحيد هذه المصطلحات ، وكثير غيرها . فمن المعروف ان عندهم الكثير من الجمعيات والهيئات والمؤسسات والاتحادات العلمية والجامعات والمعاهد ومراكز البحث واجهزته

---

(١) أنظر : هذه المصطلحات في :
"Nomenclature for Hydraulics"
اصدار: American Society of Civil Engineers, New york, 1962
وفي : "A Dictionary of Civil Engineering"
إعداد: John S. Scott, Penguin Reference Books, London, 1967

والدوائر الحكومية والشركات الكبيرة التي تدعم اعمالها بالابحاث والتطوير . ومسيرة العلم لا يمكن ان تتوقف والمصطلح لا يمكن له ان يتوقف او ينتظر . ولكن ثمة سلطة واحدة غير منظورة هي التي توحد المصطلح . تلك هي الاستعمال . فالاستعمال وحده هو الذي يغربل ويختار الافضل في الآخر .

وقد كان مهندسو المياه الانكليز منذ زمن يستعملون مصطلح roughness أو مصطلح rugosity للدلالة على خشونة سطح يتحـرك مائع بازائه . ولكن الاستعمال هو الذي أزال المصطلح الثاني وأبقى الاول .وكانوا يستعملون مصطلح hydraulic mean depth للدلالة على حاصل قسمة مساحة القناة على محيطها المبلول في حين استعمل الامريكيون للمداول عينه مصطلح hydraulic radius وقد بقي كلا المصطلحين قيد الاستعمال ردحا طويلا من الزمن الى أن أزال الاستعمال المصطلح الاول واستبقى المصطلح الثاني .

اننا على أية حال نبالغ في خطورة توحيد المصطلح فنجعل منهامشكلة عويصة على الرغم من أنها ليست كذلك . لقد قال العرب في أول عهدهم بالترجمة (الاسطرونوميا) . وبعد أكثر من قرن من الزمان استعاض بعضهم عن ذلك بمصطلح (الهيئة) في حين استعمل غيرهم مصطلح (الفلك) .وبقي كل ذلك حينا من الزمن قيد الاستعمال حتى طغى مصطلح (الفلك) على المصطلحين الآخرين فأزالهما . فهل أثر كل ذلك في فحوى الموضوع ومادته ومقدار ما أسهم العرب فيه ؟ واستعملوا مصطلحي (الصنعة) و (الكيمياء)لمداول واحد مدة من الزمن ولكن الاستعمال هو الذي أبقى (الكيمياء) وأزال (الصنعة) . ويستعمل في بعض الاقطار العربية اليوم مصطلح (الطبيعة) في حين يستعمل في أقطار أخرى مصطلح (الفيزياء) . ولكن هل من المصلحة حقاً أن نستمر في التعليم بلغة أجنبية كالانكليزية أو الفرنسية وأن نبقى ننتظر الى أن تتمكن سلطة جبارة من ازالة أحد هذين المصطلحين وابقاء الآخر قبل أن نعرب التعليـــم . لابد أن مثل هذا الانتظار سيطول كثيراً ولا يعود بالفائدة .

ويكرر بعض الذين لم يتقنوا العربية ولم يتعرفوا دقائقها اتهامها بالقصور عن التعبير في مجالات العلوم والحضارة. لقد فات هؤلاء أن اللغة العربية أقدر على التعبير العلمي من كثير من اللغات التي آثرها أهلوها في الاستعمال على اللغات الاجنبية ، وأنها أغنى في مجالات الاشتقاق والمجاز والقياس من أكثر اللغات الاجنبية الحية .

وقال بعضهم بأنها لم تتطور بعد لكي تصلح لتدريس العلوم المتخصصة . ولكن أنّي للغة أن تنمو وتتطور لتصبح لغة علمية اذا لم يعمل أهلوها على تطويرها وتطويعها لهذه الاغراض بالاستعمال ؟ فالاستعمال وحده هو الذي يكيف اللغة لمقتضيات العلوم ويستحدث المصطلحات للتعبير العلمي ويوحدها على وفق قانون البقاء للانسب .

لو أردنا حقا تشخيص أهم مشكلات التعريب لوجدناها تكمن في عدم الايمان بأهمية القضية من ناحية ، وفي تخوف بعض مدرسي الاختصاصات العلمية ، وأكثرهم قد درس بلغات أجنبية ، مما قد يسببه لهم التعريب من عناء في مرحلة الانتقال .

ولسنا هنا في صدد اعادة الكلام على أن التعريب ضرورة قومية وحضارية يحتمها كون لغتنا عماد استقلالنا الفكري والحضاري وأهم مقومات وحدتنا القومية. فقد تكرر ذكر هذه الحقائق حتى لم تعد خافية على أحد أو قابلة للمناقشة . ولكن هذه الضرورة القومية تستلزم أن يبذل لها بسخاء ، وتستدعي من المسؤولين في كل قطر عربي اصدار قرارات حاسمة في التعريب تلتزم هيئات التعليم العام والتعليم الجامعي والتقني المضي قدما فيها وبذل كل ما تتطلبه من جهد وطاقات . وحريّ بالاقطار التي لم تبدأ تعريب التعليم حتى الآن أن تفيد من تجربة الاقطار التي سبقتها في ذلك ، سواء أفي اساليب التنفيذ أم في الاستعانة بالكتب العلمية العربية التي اصدرتها تلك الاقطار تأليفاً وترجمة ، أم في تبادل الاساتذة معها واستزارتهم منها للافادة من خبراتهم وتجاربهم .

نَفْسِيٌّ أَمْ نَفْسَانِيٌّ ؟

الدكتور فخري الدباغ

(عضو المجمع)

أستميح أساتذتي اللغويين عذراً إنْ أقحمت نفسي في مغامرة الحديث والنقاش في موضوع يتعلق بالنسب والنسبة ، وفي إصطلاح محدّد بالذات يهمني لانه من متعلقات ولوازم مهنتي كطبيب نفساني . ولا أدعّي أنني من المتمكنين من قواعد اللغة العربية بل من الطموحين الساعين الى الإلمام بطرف منها يُتيح لي الإبحار والتنقل بأمان وسلامة نسبية لا تثير الغضب أو النقد أو الانتقاص من صحة استخدامها .

ولعل ما شجعني على الخوض في هذا النقاش (والتساؤل) هو أن اللغـــة ليست مجرد نحو وصرف وقواعد صمّاء صارمة ، بل إن جماليات اللفظ وجرس الوزن وسلاسة التعبير هي أمور وعوامل إضافية وحيوية في إعطاء اللغة فصاحتها واضفاء فنون البلاغة والبيان والبديع عليها . وفي هذا المجال تنطلق القابليات اللغوية للادباء والشعراء والعلماء ، وتتمازج أو تتنافس اجتهاداتهم دون المساس بالاصول والقواعد الأساسية الحيوية والضرورية .

وقد وجدتني أثناء التخصص في موضوع (الطب النفساني) — أو النفسي — وممارسته ، وخلال قراءاتي العربية وكتاباتي فيه أنني أميل الى استعمال اصطلاح ووزن (نفساني) بدل (نفسي) عند الحديث عما يتعلق بعلم النفس وتطبيقاته

وما يطرأ على النفس من تغيرات واحوال مزاجية وسلوكية . لكنني جُوبهت بمن ينصحني باستخدام اصطلاح (نفسي) لانه أصحّ وأقرب الى قواعد النسبة في العربية وأسلم وأقوم لغوياً . وبما أنني أحذر واتجنب مناقشة المختصين . . ، ولان « فوق كل ذي علم عليم » . . ، فقد طاوعت السادة الزملاء والاصدقاء الافاضل . لكنني ما انقطعت عن الفضول اللغوي ، وانسقت وراء الحس الداخلي بدل القاعدة السارية . . ، وحاولت ايجاد الأدلة على أن إصطلاح نفساني أصلح لفظياً وأدق عامياً ولا يمّس بقواعد النسب . وها انذا أحاول بتواضع — وباذن من الاساتذة اللغويين — أن اناقش الموضوع لما فيه من رياضة فكرية وفائدة علمية — لغوية في اختيار المصطلح العلمي المناسب .

قواعد النسب وأغراضه :

في كتب اللغة الشهيرة والكتب المنهجية إيضاحات عن كيفية صياغة النسبة . والقاعدة البسيطة الأولى هي : إضافة الياء المشدّدة لآخر الكلمة وكسر ما قبلها ، مثلما ورد في بيت الشعر القائل :

ياء كياء الكرسي زادوا للنسب

وكل ما تليه كسره وجب

فالنسبة الى عراق هي (عراقيّ) والى نفس (نفسي) والى حرفة (حرفي) . أما ما خالف ذلك فهو من شواذ النسب يحفظ ولا يقاس عليه ، كما ورد في بيت الشعر (المتمم لقصيدة طوياة) :

وغير ما أسلفته مقرراً   على الذي ينقل منه اقتصرا (١)

وقد اعتبر سيبويه باب النسبة من باب « الإضافة » للمشابهة بينهما ، كقولنا : (عمل الغريزة) أو (عمل غريزي) . ويعترض المرحوم مصطفى جواد على ذلك

---

(١) ابن مالك ، (شرح ابن عقيل) ، ص ٤٩٠ .

استناداً الى ان النسبة لا تطابق الاضافة رغم وجود أوجه شبه بينهما (٢).
وسمّى ابن الحاجب النسبة بمعنى الإضافة المعكوسة (٣) .

ودخول ياء النسبة تستدعي تغييراً في بعض الكلمات يتناول أكثره آخر الكلمة من تاء تأنيث أو همزة ممدودة أو حرف علة مثلاً . ويُحدث النسب ثلاث تغييرات أساسية :

أ ـ لفظية ب ـ معنوية ج ـ حكمية .

فالتغيير اللفظي يكون باضافة ياء مشدّدة في الاسم مكسور ما قبلها لتدل على نسبته الى المجرد منها مثل : مصري وشامي وبصري .

والتغيير المعنوي يصير إسماً للمنسوب . والتغيير الحكمي يجعل من الكلمة صفة مشبهة في رفعها الظاهر والمضمر باطراد ، كقولنا (زيد قرشي أبوه ، وأمه مصرية) . ويحذف لغرض إضافة الياء ستة أشياء في آخر الكلمة هي :

١ـ الياء المشدّدة (مثل شافعيّ = شافعي) .

٢ـ تاء التأنيث (مثل كلمة مكة = مكي) .

٣ـ الألف الخامسة فصاعداً أو الرابعة المتحرك ثاني كلمتها (مثل حباريّ للطائر ، ومصطفى = من أهل الصفوة) .

٤ـ ياء المنقوص الخامسة (مثل المعتدي) ، أو السادسة (مثل المستعلي والقاضي أو القاضوي) .

٥ و ٦ ـ علامتا التثنية وجمع تصحيح المذكر علمين إذا أعربا (مثل زيدي في النسب الى زيدان وزيدون . وهذا هو القياس السائد في حالات النسبة (٤) .

---

(٢) مصطفى جواد ، (النسبة في العربية) ، المعلم الجديد ، ١٩٤٥ ، ص ٦٨ ـ ٧٠ .
(٣) الحملاوي ، (شذا العرف في فن الصرف) ، ص ١٢٧ .
(٤) المصدر السابق .

الاستثناءات في النسبة :

أما الاستثناءات فكثيرة منها :

أ ــ الاستغناء عن ياء النسب غالباً بصوغ (فاعل) عندما يقصد به صاحب كذا (مثل طاعم وكاسٍ) أي (ذو طعام وكُسوة) .

ب ــ أو بصوغ (فعّال) عندما يقصد به الحِرَفْ (مثل نجار ، وعطار ، وبزاز) .

ج ــ أو بصوغ (فَعِلْ) كطَعِمْ ولَبِنْ (أي صاحب طعام . .) .

د ــ وقد تصاغ نادراً على وزن (مِفعال) كمطار (أي ذو عطر) ، و (مِفْعيل) كفرس مِحْضير (أي ذو حُضر) .

هـ ــ وما خرج عما تقدم ذكره فشاذ ، كقولنا : رقباني (من رقبة) ، وشعراني (من شعر) ، وفوقاني (من فوق) ، وتحتاني (من تحت) بزيادة الألف والنون لعظيم الرقبة والفوق وتحت ، ومَرْوزي (في مرو) بزيادة الزاي ، وأمَوي (في أمية) بفتح الهمزة في أمية بضمها (٥) .

وتخدم النسبة عدة أغراض وصل بها مصطفى جواد الى أحد عشر : كنسبة إنسان الى موقع أو الى شيْ أو معنى إلى معنى ، أو شيء الى انسان . . الخ ، لكنه لم يحاول خلاف عادته الشهيرة في (قل ولا تقل) أن يتطرق الى شواذ النسب ويخطيْ بعضها . .

صيغة فعلاني :

إن إضافة الألف والنون (ان) قبل ياء النسبة في نهاية الكلمة لاخراج النسبة مسألة مألوفة وغير نادرة في اللغة العربية . . ، وهي قياسية أحياناً وغير قياسية أحياناً أخرى . فمن البديهي ان تكون النسبة في كلمة جثمان هي (جثماني) ، والجثمان يعني (الجسم والشخص) (٦) .

---

(٥) المصدر السابق .

(٦) القاموس المحيط ، ولسان العرب .

كذلك فان النسبة الى بعض الاماكن الجغرافية تكون بصيغة (فعلاني) كما هي الحال في كلمات : رخمان وثرمان وصوان وردمان التي تصبح رخماني وثرماني وصواني وردماني (٧) . والنسبة الى اسم العلم سلمان هي (سلماني) والى رضوان (رضواني) .

أما النسب غير القياسي وحالات جواز استخدام صيغة (فعلاني) رغم إمكانية استخدام صيغة (فعلي) فهي اكثر من ذلك . ولعل خير ما نستهلّ به من أدلة هو القرآن الكريم حيث وردت كلمة (ربانيّون) ثلاث مرات بينما وردت كلمة (ربيون) مرة واحدة (٨) .قال تعالى : « . . ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلّمون الكتاب وبما كنتم تدرسون » . وعنوان كتاب سيدي عبدالقادر الجيلاني جاء بعنوان (الفتــح الرباني والفيض الرحماني) دار الكاتب العربي ، بيروت .

وقيل عن نسبة بعض الاعلام (السِّماني) و (السِّمناني) و (ابن السِّمناني) و (السهواني) (٩) .

كما وردت كلمات نفسي ونفساني ، وشطّي وشطّاني ، وتحتي وتحتاني ، وبرّي وبرّاني ، وفوقي وفوقاني ، وعقلي وعقلاني ، وجسمي وجسماني ، وروحي وروحاني ، ورقبي ورقباني ، وشعري وشعراني (١٠) . ووردت كلمة نفساني بمعنى نَفُوسْ ، ونافِسْ (أي العاين والحاقد) ، وهي منسوبة الى نفسان (١١) .

---

(٧) الأزدي ، (جمهرة اللغة) ، ج ٣ ، ص ٤١٦ .

(٨) الآيات الكريمة : آل عمران (٧٩) ، والمائدة (٤٧ و ٦٦) .

(٩) خيرالدين الزركلي ، (الاعلام..) ، ج ٣ ، ص ١٣٩ ــ ١٤٢ .

(١٠) لسان العرب .

(١١) Lane, Arabic - English Lexicon.

نفسي أم نفساني ؟

إن جواز استخدام اصطلاح (نفساني) لغوياً واضح مما تقدم ، إلاّ ان ما أرمي إليه هو ليس مجرد جواز إستعمال المصطلحين (نفسي) و (نفساني) حيثما وأينما شاء الكاتب والباحث ، بل انني أود ان ابين أفضلية إصطلاح (نفساني) على (نفسي) علمياً أيضاً ، وللأسباب الآتية :

أولاً — ان كلمة (نَفْس) تعني اشياء كثيرة ولها مدلولات مختلفة مثل : الروح ، والجرعة ، وعين الشيء ، والعظمة ، والعزة ، والهمة ، والأَنَفَة ، والعيب ، والارادة ، والعقوبة ، والدم ، والجسد ، والعند ، والطويل ، والتفريج ، أي خمسة عشر مدلولاً (١٢) .

واذا قيل (أصابته نَفْسٌ) أي أصابته عين . وفلان نَفُوسٌ ونفساني (١٣) ومن خطبة الامام علي (رض) :

« . . قد وَرَيتُم صدري غيظاً ، وجرعتموني الموت أنفاساً . . » ، أي جرعة جرعة (١٤) .

وفي القرآن الكريم استعمالات بليغة ومختلفة لمداول النفس : كالروح ، وذات الشخص ، ومجمل الشيء . وتوجد ثلاث عشرة آية تتضمن كلمة (نفسي) نذكر منها مثلاً :

« . . قال هي راودتني عن نفسي . . » — يوسف : ١٢

و « . . قال ربي إني ظلمت نفسي . . » — النمل : ٢٧

و « . . وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح ممرّد من قوارير . قالت ربي إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين . . »النمل : ٤٤ .

---

(١٢) تاج العروس .

(١٣) الزمخشري ، (اساس البلاغة) ، ج ٢ ، ص ٤٦٤ .

(١٤) الجاحظ ، (البيان والتبيين) ، ج ٢ ، ص ٥٥ .

و « . . قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » — يونس : ٤٩ .

إن الاقتصار على إصطلاح (نفسي) قد يحوّل ذهن القارىء والسامع الى مداولات مختلفة فيها بعض اللبس والغموض لما في كلمة نفس من مدلولات متعددة . لكن أهم وأخطر مدلول هو الاحتمال الشديد بان تعني كلمة نفسي النسبةالىذاتالشخص بينما يكون المقصودمنها ما يتعلق باحوالالنفسوعلمالنفس.

ثانياً — إن بعض العلماء والاطباء العرب القدامى من المشاهير وذوي المرجع والعمدة (إن لم يكن أغلبهم) قد استعملوا اصطلاح (نفساني) بدل (نفسي) للدلالة على احوال النفس وأمراضها وعلومها وصناعة الطب فيها . فقد استعملها الرازي وابن سينا وحنين ابن اسحق وآل بختيشوع (١٥) . وقد ورد في المقالة الرابعة من كتاب (العشر مقالات في العين) لحنين بن اسحق (ص ١٣٣) مثلاً :

« . . وأما العادة فتكون في ستة اشياء : أولها الهواء . . الخ ، والثاني الحركة والسكون . . ، والثالث الغذاء وعدمانه . . . الخ ، والسادس الآلام النفسانية أعني عوارض النفس . وأما النوع فهو القوة . والقوى ثلاثة : النفسانية والحيوانية والطبيعية . فاما القوى النفسانية فقد أخبرنا بانواعها في القول في طبيعة الدماغ » .
كذلك استخدم حنين اصطلاح (الروح النفساني)(١٦). كما ورد اصطلاح (الصيدلية الربانية) و (التدبير النفساني) في كتاب (جهار مقالة) للنظامي العروضي السمرقندي (١٧) . وورد في (القاموس المحيط) وفي (قاموس دوزي) و (لين) اصطلاحات : (روح نفساني) و (كلام نفساني) و (حظ نفساني)

---

(١٥) ابو سعيد بن بختيشوع ، (رسالة في الطب والاحداث النفسانية) .
(١٦) حنين بن اسحق ، (العشر مقالات في العين) ، ص ٧٧ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٤٣ .
(١٧) السمرقندي ، النظامي العروضي (جهار مقالة) ، ص ٧٦ ، ٧٨ .

و (نفساني) (١٨) . فالدفع بكون بعض علماء وفلاسفة العرب لا يجيدون أو يكترثون كثيراً بقواعد اللغة العربية غير مبرر هنا لان الكلمة ليست مترجمة أو أجنبية . ولم تخضع لاجتهادات لغوية ، بل نستدل من كثرة استعمالها بصيغة (فَعْلاني) أنها كانت سائدة ومقبولة مستساغة ومفهومة جيداً في تلك الحقب التاريخية .

ثالثاً : ويميل بعض علماء النفس والتربية العرب المعاصرين استعمال اصطلاح (الطب النفساني) و (العلاج النفساني) و (الطبيب النفساني) بدل النفسي ، مثل الدكتور أحمد فؤاد الأهواني والدكتور تجاني الماحي ، والاستاذ حـــامد عبدالقادر . ومن المفيد ذكر ما تقدم به حامد عبدالقادر الاستاذ بكلية دار العلوم وعضو الجمعية الفاسفية المصرية (سابقاً) في كتابه (العلاج النفساني) حول أفضلية صيغة نفساني على نفسي ، إذ يبدو من تلك المقدمة مبلغ حماسه لاستعمال هذه الصيغة ، ربما لنفس الاسباب التي ذكرتها في أول المقال ، إذ يقول :

« . . . وليس لأحد من علماء العربية أن يستنكر كلمة نفساني بحجة أن النسبة الصحيحة هي نفسي كما يقضي به القياس . ولست أزعم أن هذه النسبة جارية على القياس ، ولكنني أقرر أنها سماعية صحيحة مألوفة لها نظائر كبيرة : ألا ترى أنهم يقولون روحاني وجسماني ورباني وصمداني ونوراني ؟ .

ثم إني أفضل في هذا المقام نفساني على نفسي إذ قد يفهم من العلاج المنصّب على النفس مع أن الغرض هو العلاج بواسطة النفس ، سواء اكان المعالج هو النفس أو الجسم . وقد يفهم من النفسي أيضاً (الذاتي) ، ويكون الغرض الطريقة التي يتبعها طريقة جثمانية (أي مادية) أم كانت نفسانية أو روحانية مع أن الغرض هو العلاج بواسطة النفس بقطع النظر عمن يتولى العلاج . وهذا وهذا الاصطلاح افضل أيضاً من (شفاء النفس) أو (دواء النفس) لأسباب

(١٨) Dozy, Dictionaire Arabes, p. 709.

لا تخفى على الباحث المحقق . فتمشياً مع اسلوب القدماء ودفعاً للبس آثرت هذه التسمية إذ لا يفهم منها إلاّ العلاج بوسائل نفسية بقطع النظر عن المرض ... »(١٩)

فاصطلاح (نفساني) إذن ليس من بدع ومستحدثات العلم المعاصر ، ولا من نتاج الحضارة الحديثة المتهمة باغفال التراث اللغوي .

رابعاً – وختاماً أقول أن إضافة الالف والنون الى بعض الكلمات ذات المدلول العقلي والعلمي يضفي عليها خصيصة تميّزها عن النسبة الاعتيادية . وهكذا أجد في اصطلاحات نفساني وعقلاني وروحاني وجسماني رنيناً وعمقاً تجريدياً يفوق ما توحي به كلمة نفسي وعقلي وروحي وجسمي . ولا أحسب أنني بحاجة الى دفاع اكثر . واستعين بما قاله (أبو عثمان) من أن « ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب . . » لأن هذه الكلمات هي فعلاً من كلام العرب وليست دخيلة عليه ، وهو ليس من عُجالات واجتهادات العصر الحديث .

إن لكل اصطلاح وصيغة موقع وبلاغة وموسيقية . واستلطاف الاذن (وهي أذن العقل) له مع عدم مساسه بالقاعدة والاصول يبرر استعماله دون تردد . فانا لا أماحك أو أغالط ، بل أعترف وأويد بان اصطلاح (نفسي) له مواقعه الضرورية أيضاً ، وان اصطلاح (نفساني) مقبول اكثر في المواضع الدالة على الأحداث والامراض والعلاجات والتغيرات التي تطرأ على النفس وتدور حولها أو بواسطتها . .

وأختتم حجتي بما جاء في كتاب مجالس العلماء لأبي القاسم الزجاجي (ت ٣٧٧هـ) نصاً وذلك فيما نقل عن أبي محمد اليزيدي تلميذ الخليل بن احمد ان الخليفة العباسي المهدي سأله بحضور الكسائي «كيف نسبوا الى البحرين فقالوا : بحراني أو الى الحصنين فقالوا حصنيني فأجاب اليزيدي : لو قالوا بحري لالتبس فلم يُدْرَ النسبة الى البحرين أم الى البحر فزادوا الفاً ونوناً للفرق بينهما كما قالوا في النسب الى الروح روحاني ...»(٢٠)

---

(١٩) حامد عبدالقادر ، (العلاج النفساني) ، ص ٥ .
(٢٠) الزجاجي (مجالس العلماء) ط ١ ، ص ٢٨٨ ، ١٩٦٣ .

قيام الحكم الأيوبي في اليمن

من سنة ٥٦٩ هـ - ٥٧١ - ١١٧٤ - ١١٧٦ م

الدكتور محمود ياسين التكريتي

تمهيد : :

تمكنت الدولة الايوبية من توسيع حكمها في مصر وذلك منذ سنة ٥٦٩ هـ - ١١٧٤ م ومن المعروف انها بدأت منذ وفاة نورالدين آل زنكي ، فهي وريثة حكمه في كل من مصر وبلاد الشام والجزيرة ، ومدينة للموالاة الى الخليفة العباسي في بغداد ، ولم يمض ربع قرن من الزمن تقريباً على قيامها حتى اصبحت مترامية الاطراف من برقة بافريقية غرباً الى الموصل وبلاد الجزيرة شرقاً ومن سواحل الشام ومصر شمالاً حتى مكة واليمن جنوباً وفي الوقت نفسه كان الوطن العربي بأمس الحاجة الى قوة سياسية توحد بين انظمته المتباينة ، والمتعددة ، وبالنظر الى الأخطار الخارجية التي تحيط بالعرب والمسلمين وبخاصة خطر القوى الصليبية لهذا فان قيام هذه الدولة كان تلبية لواقع المرحلة التاريخية التي يمر فيها الوطن العربي خاصة والعالم الإسلامي عامة . وذلك لتمتع اغلب قادتها بالنزعة الوحدوية الى جانب قيادتهم حركة تحرير الارض من المحتلين ومما يعكس هذا تمتع بعضهم بفهم وادراك لروح العصر ومبادئه السائدة وخاصة الملك صلاح الدين يوسف مؤسس دولتهم .

فاذا كان هذا دور بني ايوب على الصعيد السياسي فان دورهم في البناء الحضاري واضح ، لمساهمتهم في التطور الذي حصل في الحضارة العربية اذ اتضح ذلك تاريخياً خلال حكمهم .

لقد اقترن عاما ٥٦٨ هـ – ١١٧٣ م ، ٥٦٩ هـ – ١١٧٤ م من حكم الايوبيين بتوجيه حملتين عسكريتين ، الاولى قصدت المغرب العربي بقيادة قراقوش مملوك تقيّ الدين عمر ابن أخي صلاح الدين [1] تهدف كما ذكر « لتحقيق ما يشاع عن ثروة بلاد المغرب » وكما يقال ان تقي الدين عمر كان يبحث عن جهة يستقر بها ، [2] ومهما تعددت دوافع الحملة فان دافعها الاهم هو تحقيق هدف ستراتيجي واقتصادي معا تمثل في تأمين الحدود الغربية لمصر من غارات القبائل العربية التي تعيش في الصحراء الغربية يبرز دور صلاح الدين وبعد نظره في فن الحرب حين أدرك ان الصحارى هي دروع مصر الطبيعية كما وسعت من قاعدة حكمه في مصر بانضمام الاراضي السابقة واخيراً فانها حققت اسمى هدف هو الوحدة كما وفرت للدولة الجديدة « الايوبية » عمقاً استراتيجياً باتجاه المغرب العربي واستطاع قائد الحملة قراقوش ملك الكثير من البلاد في افريقية ما خلا المهدية [3] وسفاقس [4] وقفصة [5] وتونس وما ولاها من القرى والمواضع [6] وضمن الستراتيجية التي خطط لها صلاح الدين في توفير حماية كبرى لحدود دولته في مصر فقد توجهت الحملة العسكرية الثانية في شهر رجب من سنة ٥٦٩ هـ – ١١٧٤ م الى اليمن بعد ان وقع اختيار صلاح الدين عليها [7] .

---

(١) عزالدين ابوالحسن علي بن ابي الكرم بن الأثير : الكامل في التاريخ : ١١ : ٣٨٩ شهاب الدين عبدالرحمن بن اسماعيل القدسي المعروف بابي شامة : : الرَوضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية : الجزء الاول ، القسم الثاني ٥٤٧ ، ٥٤٨ .

(٢) نظير حسن سعداوي : التاريخ الحربي في عهد صلاح الدين الايوبي ٤١ .

(٣) المهدية : موضعان احدهما بافريقية والاخر اختطه عبدالمؤمن بن علي قرب سهلا ويراد بها هنا (مهدية تونس التي اختطها المهدي سنة ٣٠٠ هـ) راجع ياقوت: معجم البلدان ٢٩٩/٤ .

(٤) سفاقس : مدينة من نواحي افريقية جل غلاتها الزيتون وهي على الساحل : ياقوت : معجم البلدان ٢٢٢/٣ (ط دار صادر) .

(٥) قفصة : بلد صغيرة في اطراف افريقية من ناحية المغرب من عمل الزاب الكبير بينهما وبين القيروان ثلاثة ايام : ياقوت معجم البلدان ٣٨٢/٤ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ١١ ، ٣٨٩ ، ابو شامة : الروضتين جـ ١ ق ٢ ٥٤٨ .

(٧) علي بيومي : قيام الدولة الايوبية في مصر ١٨٧ .

أ - دوافع الحملة :

الدوافع السياسية والاقتصادية :

اختلفت آراء المؤرخين في تحديد الاسباب التي دفعت صلاح الدين الى فتح اليمن فقد ذكر ابن ابي طيء ان السبب في خروج شمس الدولة الى اليمن يعود الى « انه كان كريما جواداً وكان اقطاعه لا يقوم ولا ينهض بمروءته » [٨] واتفق ان انتظم في ملكه وخدمته وهو بمصر الشاعر نجم الدين أبو محمد عمارة بن الحسن اليمني [٩] واختص بمدحه فاذا ماخلا به كان يصف له بلاد اليمن وكثرة اموالها وخيرها وضعف حكامها فمدحه مرة بقصيدة يحرضه فيها على ملك اليمن ومما جاء فيها :

العام مذ كان محتاج الى العلم   فشفرة السيف تستغني عن القلم [١٠]

كما نراه في الوقت نفسه يقدم لنا سبباً آخر فيقول « كاتبه رجل من أهل اليمن شريف يقال له هاشم بن غانم اطمعه في المعاونة لأن صاحب اليمن عبدالنبي كان قد اعتدى على هذا الشريف هاشم فأعلم شمس الدولة اصحابه بعزمه على اليمن فأجابوه فتجهز [١١]».

ان ماقدمه بن ابي طيء لايكفي ان يكون سبباً أساسياً لتوجيه الحملة الى اليمن فحاجة شمس الدولة ابن ايوب الى الاموال وذلك بحجة ان اقطاعه في مصر لايكفي لسد حاجته تلك هي التي دفعته بأن يقود عسكره ويتوجه الى اليمن ، وكل مايمكن ان نسأله بهذا الصدد اليس من السهل عليه ان يطلب

---

(٨) ابو شامة : الروضتين جـ ١ ق٢ ٥٥٢ (نقلا عن ابي طيء).

(٩) انظر عماد الدين ، الاصفهاني : خريدة القصر وجريدة العصر : قسم شعراء الشام ٣ : ١٠١ ابن الأثير : الكامل جـ ١١ ٤٠٠ - ٤٠١ ، سبط ابن الجوزي مرآة الزمان ق٢ جـ ٨ ٣٠٢ .

(١٠) انظر عمارة اليمني : النكت العصرية في اخبار الوزارة المصرية : ٣٥٢- ٣٥٣ ، ابو شامة : الروضتين : ق٢ جـ ١ ٣٥٢ - ٣٥٣ ، ابن واصل : مفرج الكروب ١ : ٢٣٨ ، الحنبلي : شفاء القلوب ٥٠ - ٥١ .

(١١) ابو شامة : الروضتين ق ٢ جـ ١ : ٥٥٤ (نقلا عن ابن ابي طيء) (ان حاجة شمس الدين للاموال قد تكون احدى العوامل التي دفعته الى حكم اليمن ولكن لا تكون هي العامل المهم .)

من أخيه زيادة اقطاعه ؟ ويطلب منه الاموال ليستعين بها على وجوه صرفه وخاصته اذا علمنا ان صلاح الدين كان لايضيق على اسرته في أمور كهذه(١٢) فضلا عن أن الحملة لم تكن من فكرة تورانشاه بن ايوب وحده بل هي جزء من الاستراتيجية للدولة الايوبية بدليل ان صلاح الدين تعود ان يدعو رجال اسرته وكبار امرائها الى مناقشة مثل هذه الامور قبل البدء في تنفيذها(١٣)

فليس من السهولة ايضاً ان يستسلم الى رأى بمجرد ان عرضه عليه شاعره عمارة اليمني يقضي بفتح اليمن وربما كان على علم مسبق بما كان عمارة يفكر به وكما هو معروف ان عمارة كان من انصار الفاطميين ودولتهم وكما قيل « انه كان تواقاً الى ابعاد شمس الدولة عن مصر لكي تضعف قوة الايوبيين فيها وعندها تتاح الفرصة امام بقايا الفاطميين بمصر في التحرك للتعبير عن رغباتهم باعادة دولتهم وبعثها من جديد (١٤) بما فيه أحياء الخلافة الفاطمية ويكشف عن مثل هذا الامر ماأقدم عليه جماعة من الفاطميين للتآمر على صلاح الدين في القاهرة سنة ٥٦٩ هـ آذار — نيسان ١١٧٤م ومن بينهم عمارة ابن أبي الحسن اليمني الشاعر بعد اتفاقهم مع اموری ملك بيت المقدس وسنان رئيس الحشيشية ووليم الثاني ملك صقلية على غزو مصر من ناحيتهم في حين يكون دورهم القيام بثورة داخلية في القاهرة حين غياب صلاح الدين

(١٢) انظر علي بيومي : قيام الدولة الايوبية ١٨٨ .

(١٣) للتعرف على مثل الاجتماعات التي كان يعقدها صلاح الدين مع اهله وامرائه واستشارتهم وأخذ رأيهم في الأحداث السياسية فمثلا نراه يجتمع بهم ويستشيرهم حول ما عزم عليه نورالدين محمود على قصده واخذ مصر منه سنة ٥٦٧ هـ من اجل الاستزادة ، راجع ابن الأثير : الكامل ٣٧٢/١١ — ٣٧٣ ، ابو شامة : الروضتين ق٣ جـ١/٥١٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب ٢٢١/١ — ٢٢٣ .

(١٤) راجع الدور التآمري لعمارة اليمني والفواطم، من المصريين ضد صلاح الدين بالتفصيل ابن الأثير الكامل ٤٩٨/١١ — ٤٠١ ، ابوشامة: الروضتين ٢ جـ ١ ٥٦٤ — ٥٦٧ سبط ابن الجوزي مرآة الزمان ق ١ جـ ٣٠٤/٨ و : Lane pool saladin, P. 124 - 126

عنها [١٥] إلا ان المؤامرة كشفت بعد ان عرف صلاح الدين اقطابها وتحقق منهم فاعترفوا له فأمر بصلبهم مما سهل له أمر مواجهة المتآمرين الآخرين .

تتفق بعض المصادر على سبب آخر لفتح اليمن فتذكر انها كانت باشارة من الخليفة العباسي وعلى اثر استغاثة امراء اليمن به من اعتداءات عبدالنبي بن مهدي لسوء سياسته وتصرفه فكتبوا رسالة الى الخليفة ببغداد شكوا فيها اليه امره فلما وصلته طاب بدوره الى السلطان نور الدين محمود [١٦] ان يرسل احدا من قبله للتحقيق في الشكوى التي رفعها اهل اليمن مما دفع نور الدين الى الكتابة الى صلاح الدين ليجرد عسكرا الى قتال عبدالنبي بن مهدى [١٧] وتلبية لهذا الامر وجه صلاح الدين حملته العسكرية الى اليمن ليمٰكها ويقطع دابر الفتن فيها [١٨] وهنا لا بد من الاشارة الى سبب آخر لسير الحملة الى اليمن هو خوف صلاح الدين من اخيه تورانشاه لكونه

---

(١٥) سعداوي : التاريخ الحربي : ٤٢ .

(١٦) ذكر ابن الأثير ان صلاح الدين هو الذي استأذن نورالدين في ان يسير بعسكره الى اليمن ليفتحها فأذن له بذلك ، ويكشف لنا هذا ان اهل اليمن راسلوا صلاح الدين وليس الخليفة العباسي ببغداد ، ومع هذا فاننا لا نعثر على نصوص تاريخية اخرى تشير الى ما كان يستهدفه الخليفة العباسي من وراء طلبه بتجهيز الحملة ولكن يمكن القول انه اراد تعزيز نفوذ الدولة العباسية في اليمن لانها كانت في خلاف سياسي وفكري مع نفوذ الدولة الفاطمية — يراجع ابن الأثير : الكامل ٣٩٦/١١ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ٢٣٨/١ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى : ٣٨٦/٤ ، الغساني : العسجد المسبوك ١٨١/١ .

(١٧) انظر بهذا الصدد ، أبو محمد عبدالله الطيب بن عبدالله بن أحمد ابي مخرمة تاريخ ثغر عدن ١٢٧/١ — ١٢٨ ط ليدن / ذكر هذا التعليل ابو مخرمة نقله عنه المؤرخون الاخرون راجع : ابن خلكان : وفيات الاعيان : ١ : ٧٧٣ ، ابو الضياء عبدالرحمن بن علي الديبع الشيباني الزبيدي : قرة العيون : ٣٧٤/١ ، بغية المستفيد في اخبار مدينة زبيد : ورقة / ٢٩ (مخطوطة) ، يحيى بن الحسين بن القاسم : غاية الاماني في اخبار القطر اليماني ق٣٢٢/١ .

(١٨) ابو الفداء : المختصر : ٦٤/٣ .

اكبر منه واحق بالملك منه ولهذا اقـدم على ابعاده الى اليمن تخلصا منه [١٩] .

واخيرا يبقى سبب سياسي آخر ربما يكون هو الذي دفع صلاح الدين الى القيام بالحملة وهو خوف صلاح الدين وأهله من نور الدين محمود حينما عزم السير الى مصر واخذها منهم فاستقر الرأي ان يملكوا بلاد النوبة او اليمن فاذا ما وصل اليهم لقوه وصدوه [٢٠] .

ان ما سبق قد يكون سببا مقبولا الى حد ما ولكن بعد صلاح الدين الجغرافي من نور الدين لا يمنع انتقام الأخير منه فيما اذا اراد ذلك لان نور الدين يملك من القوة السياسية والعسكرية ما يكفي لردعه الا انه اكتفى بما قدمه صلاح الدين من عذر منطقي تبدد على اثره خوفه وخوف اسرته من نور الدين بعد وقوع الجفوة بين الاثنين [٢١] . ولدينا سؤال هنا يجب طرحه لماذا جدد صلاح الدين حملته الى اليمن سنة ٥٧٧ هـ ـ ١١٨١ م بقيادة اخيه سيف الاسلام ظهير الدين طغتكين [٢٢] بعد زوال خوفه من نور الدين : وان كل ما ذكر بانها جهزت بسبب الخلاف الذي وقع بين نوابه في اليمن ومع ذلك قد لا يكون هذا وحده المبرر المقبول كما لا يصح ان ترتبط هذه الحملة بالسبب نفسه لحملته عام ٥٦٩ هـ ـ ١١٧٤ م ومع هذا فان المعروف عن نور الدين انه توفي سنة ٥٦٩ هـ ، أي

---

(١٩) ذكر ابن تغري بردى لنا هذا التعليل استنادا على ما ذكره مؤرخون آخرون كسبط ابن الجوزي ولهذا فان هذا التعليل لا يمثل كل الحقيقة للدافع الرئيسي للحملة ، انطلاقاً من كون أن الدولة الايوبية لم يستقر نظامها السياسي وادارتها بعد وكما لا يزال هناك نور الدين محمود سلطان مصر والشام ولم يكن لصلاح الدين اليد المطلقة للتصرف بملك مصر او غيرها بالاضافة إلى ان صلاح الدين كان يحترم اخاه فيقدمه على نفسه وان حكم تورانشاه في بلاد اخيه صلاح الدين وامواله نافذ ، وعلى الرغم مما اشيع عنه انه (تورانشاه) كان احق منه بالملك : انظر ذلك في ابن الأثير الكامل : ١١ : ٤٦ ابن خلكان : وفيات ١ : ٢٧٣ ؛ سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان : ق ١ جـ ٨ /٣٦٢ ابن تغري بردى : النجوم الزاهرة : ٦ : ٨٧ الحنبلي شفاء القلوب : ٥٠ .

(٢٠) ابن الأثير : الكامل : ٣٨٦/١١ ـ ٣٨٧ ، ابو شامة : الروضتين : ق٢جـ١/٢١٦ـ٢١٧. ابن شداد : سيرة صلاح الدين /٢٢ ، المقريزي : السلوك : ق١ جـ١/٥٢ .

(٢١) وقعت تلك الوحشة بين الطرفين سنة ٥٦٧ هـ .

(٢٢) سنتعرف على سير تلك الحملة وهدفها .

قبل الحملة الثانية بسنوات ولم يكن لدى صلاح الدين ما يخفيه حتى يعسكر في اليمن لتكون موطناً له ولاهله في المستقبل فضلا عن حاجته الى كل جندي لمنازلة الصليبيين في هذه الفترة (٢٣) . . . وهكذا فان معرفة الاسباب لحملة صلاح الدين الى اليمن بقيت غامضة عند المؤرخين ، المعاصرين من المسلمين.

يتضح لنا مما سبق ان صلاح الدين اراد تحقيق غرض استراتيجي وهو تأمين حدود مصر الجنوبية حيث تعد اليمن مكملة جغرافيا لمصر في ذلك الوقت وخاصة ارتباطها مع اليمن من جهة البحر الاحمر ومن « الواضح ان صلاح الدين حاول بعد ان استقر في مصر ان يفتح ملحقاتها ويؤمن حدودها ويؤيد ذلك حملاته الحربية على الشوبك والكرك واياة وبرقة والنوبة » (٢٤) وعليه فان هدف الحملة كان لتأمين حدود مصر الجنوبية من الناحيتين الحربية والتجارية مفتاح البحر الاحمر الذي تطل عليه الحبشة المسيحية ويحتمل ان صلاح الدين توجس خيفة من تسرب الفكرة الصليبية في هذا البحر جنوباً الى الاحباش فيصير محاطاً بنارين احداهما على سواحل البحر المتوسط والاخرى على سواحل البحر الاحمر (٢٥) وحدث ما توقعه صلاح الدين فعلا عندما قام الامير ارناط صاحب الكرك سنة ٥٧٧ هـ — ١١٨١ م بحملته المشهورة قاصدا تيماءومنهاالى مدينة النبي (ص) (٢٦) وذلك للاستيلاء على تلك النواحي وعلى الرغم من عدم ثبوت مثل ذلك الاتصال او التحالف بين الصليبيين والاحباش (٢٧) ولكن لو تم انتصار ارناط على العرب

---

(٢٣) سعداوي : التاريخ الحربي /٤٢ — ٤٣ .

(٢٤) علي بيومي : قيام الدولة الايوبية : ١٨٩

(٢٥) سعداوي : التاريخ الحربي ٤٣ .

(٢٦) ابن الأثير : — الكامل : ٤٧٠/١١ ، ابو شامة : الروضتين ق٢ ج١/٢٣٦ وابن واصل : مفرج : الكروب ١٠٢/٢ .

(٢٧) انما يؤيد وجود اتصال سابق بين الحبشة والصليبيين وعلاقةذلك بحملات صلاح الدين الى بلاد النوبة واليمن من جهة وخوف صلاح الدين من الحبشة من جهة اخرى ما يكشف لنا سعداوي بقوله « منها طلب الملك الصالح طلائع بن رزيق من اسامة بن منقذ قيادة حملة عسكرية ضد الحبشة لانه سبق وان زار مصر اواخر الدولةالفاطمية فعاد الى بلدتهشيزربالشامفراسله ابن =

لحدث مثل هذا ولكانت النتائج على مصر والوطن العربي وخيمة ، الا ان انتصار صلاح الدين انهى كل احتمال وتوقع . . وعليه فإن حماية اراضي مصر هي التي شغلت فكر صلاح الدين ودفعته لانشاء دولة ايوبية مستقبلا تتطلب منه توسيع وزيادة الرقعة الجغرافية التي تشغلها دولته لتكون في مأمن وحماية كاملة من الأعداء وبخاصة من الشمال حيث غارات الفرنجة والصليبيين ومن الجنوب حيث سيطرة الاحباش وبقايا الدولة الفاطمية والخوارج .

الدوافع الاقتصادية : —

لا يمكن اغفال اهمية اليمن الاقتصادية سواء بما يتعلق بأموالها وكثرة خيراتها او أهميتها التجارية وقد لفت ذلك نظر الايوبين فكان لاشارة عمارة اليمنى الوضوح في اهمية اموالها حينما وصف اليمن للملك تورانشاه بن ايوب عندما اشار عليه بفتح اليمن [٢٨] .

ومما يؤكد تلك الاهمية قول تورانشاه الى افراد عسكره عندما ملك مدينة عدن وارادوا نهب البلد « ما جئنا لنخرب البلاد وانما جئنا لنملكها ونعمرها وننتفع من داخلها » [٢٩] وهذا يكشف لنا حاجتهم الى الاموال ومدى امكانية الاستفادة منها في حروبهم وتمشية امور دولتهم الجديدة .

أما من الناحية التجارية فيمكن ان نشير الى مدينة عدن حيث اشتهرت في كونها مرفأ على البحر ولها مرسى عظيم وهي فرضة للهند والزنج والحبشة وعمان وكرمان وكيش وفارس [٣٠] وفي ضوء ما احتلته اليمن من اهمية بحرية وتجارية

= رزيق يعرض عليه الاقطاع بمصر ويخاطبه بقيادة الحملة فمنعه نور الدين محمود سلطان الشام ومما يشير الىاستمرار الخوف من الحبشة في ذهن صلاح الدين » راجع سعداوي : التاريخ الحربي : ٤٣ — ٤٤ بالاعتماد على اسامة بن منقذ : الاعتبار : ٢٥ : المقريزي : السلوك ج ١ ق١/ص ٤٨ .

(٢٨) راجع ابو شامة : الروضتين / ق٢ ج١/٥٥٢ إبن واصل : مفرج الكروب : ١/٢٣٨-٤٠

(٢٩) ابن الأثير : الكامل ٣٩٧/١١

(٣٠) نفس المصدر السابق

اهتم الايوبيون في تنظيم تجارتها ومنذ ان فرضوا سيطرتهم على البحر الاحمر وقد دفعهم الى ذلك التنظيم رغبتهم في استقرار التجار الكارمية [٣١] ونموهم في تلك المناطق الاسلامية [٣٢]، كما استهدفوا من وراء ذلك تحقيق هدف سياسي هو ابعاد سيطرة الافرنج على النشاط التجاري والبحري في البحر الاحمر اذا اعتبروا طريق البحر الاحمر ومصر ايسر الطرق وارخصها لجلب التوابل وسلع الشرق النافعة في الاسواق الاوربية [٣٣] .

لقد وقع مثل ذلك الصراع بين العرب والافرنج من اجل السيطرة على البحر الاحمر وتجارة اليمن وتكشفها لنا مكاتبة صلاح الدين الى اخيه العادل سنة ٥٨٧ هـ اذ يخبره فيها انتصار عساكره ضد الطامعين من الافرنج [٣٤] كما بعث رسالة اخرى الى الخليفة العباسي الناصر لدين الله المستضيء ابو العباس بن احمد في بغداد يخبره فيها عن الاغراض التي استهدفها الافرنج وهي الاستيلاء على قلعة ايلة الواقعة على البحر الاحمر والوصول الى سواحله والسيطرة عليه لان بلادهم مجاورة له فضلا عن رغبتهم في قطع الطريق امام الحجاج المسلمين ومنعهم للوصول الى مكة المكرمة [٣٥] واخيرا استهدفوا (تجارة اليمن) . واكارم عدن ويلم بسواحل الحجاز [٣٦] ويمضي حتى يخبره بانتصار البحرية العربية عليهم بحرا وخيول

---

(٣١) الكارمية (Kuararima) وهي لفظة امهرية تفيد معنى الحبهان وتعرف بالعراق اليوم بالهيل وهو تابل من التوابل التي اشتغلوا بالاتجار فيها ثم صحفت هذه الكلمة واصبحت كارم واطلقت على التجار ومن اجل الاطلاع راجع: صبحي لبيب : التجارة الكارمية وتجارة مصر في العصور الوسطى (مقالة منشورة في المجلة التاريخية المصرية) : ص ٦ مجلد ٤ عدد ٢ لسنة ١٩٥٢ م القاهرة .

(٣٢) راجع المرجع السابق ص ٧

(٣٣) راجع عن محاولة الافرنج في السيطرة على البحر الأحمر ، ابو شامة ، الروضتين ج ٢ ص ٥٣ — ٣٧ .

(٣٤) انظر الرسالة في : ابي شامة : الروضتين ج٢/٣٦ طبعة دار الجيل بيروت

(٣٥) راجع المصدر السابق : ج٢/٣٧ وكذلك راجع عن هذه الاحداث المقريزي الساوك ق١ ج١/٧٨/٩

(٣٦) ابو شامة : الروضتين ، ج ٢/٢٧ .

العرب برا ويعـــدد للخليفة الغنائم التي حصـــل عليهاالعرب في حروبهم عـــلى الافرنج .

ان ما سبق يكمل الصورة ويوضح الحقيقة لدوافع الحملة الايوبية الى اليمن وعليه تكون الدوافع الاقتصادية لفتح اليمن لا تقل اهمية عن الدوافع السياسية بل نستطيع القول انها تداخلت مع تلك العوامل لترسم معا صورة الواقع الحقيقي للحملة في بعض جوانبها وهيأت الفرصة لقيام الحكم الايوبي في اليمن واستمراره ونستطيع ان نتلمس ذلك من خلال استقرائنا للنصوص التاريخية السابقة .

ب- سير الحملة :

ومهما كانت الاسباب التي دفعت صلاح الدين الى فتح اليمن فالمهم انه اخضعها الى حكمه ووقع اختياره لقيادة الحملة على اخيه الاكبر تورانشاه بن ايوب ، وكانت الخطوة التالية لانجاح الحملة ان اطلق غلة قوص لمدة سنة وكانت اقطاعه وقدر ارتفاعها مئةالف دينار لسنة ٥٦٩ هـ -- ١١٧٤ م وزوده فوق ما كان في نفسه[٣٧] وذلك من أجل توفير الأموال اللازمة للحملة ومن اجل انجاح مهمتها . وخرج بصحبته جماعة من الامراء [٣٨] يقدرون بألف فارس [٣٩] فضـــلا عمن سيره من فرسانه وسلكت عساكره البر والبحر في مستهل رجب من سنة ٥٦٩ هـ فوصل هو وقواته الى مكة المكرمة فزار الكعبة بصحبة اميرها بعد ان خلع عليه وعلى اصحابه وطيب قلوبهم ،أقر اميرها في منصبه [٤٠] ثم اتجه الى اليمن برا فوصلها حتى دخل اراضيها بدون مقاومة تذكر [٤١] وقد استقبله الشريف هاشم بن غانم السلماني

---

(٣٧) ابو شامة : الروضتين : ق٢ جـ١/٥٥٤ ، الحنبلي : شفاء القلوب : ٥٠ — ٥١ .

(٣٨) كان من بين الأمراء الذين رافقوا الحملة امراء بني رسول وهم خمسة رجال كان لهم الجلالة والوجاهة في الديار المصرية واليهم تنسب الدولة الرسولية ؛ راجع علي بن الحسن الخزرجي : العقود اللؤلؤية : ١/٢٨ — ٢٩ .

(٣٩) قدر عدد الفرسان يحيى بن الحسين ، بثلاثة الاف فارس . انظر يحيى ابن الحسين غاية ١/٢٢١

(٤٠) ابن الأثير : الكامل : ١١/٣٩٦ — ٣٩٧ ، ابو شامة : الروضتين ٢ جـ ١/٥٥٤ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان / ١ /٢٧٣ .

(٤١) سعداوي : التاريخ الحربي المصري : ٤٤ ، بيومي قيام الدولة الايوبية : ١٨٩ .

وجميع الأشراف من بني سليمان ، وجموع كثيرة من أهل اليمن [٤٢] وبعد الاستقبال بدأت عملية تصفية الحساب مع امراء اليمن ممن أبدوا مقاومة لجيش الأيوبيين ومعارضة لحكمهم الجديد .

اتبع تورانشاه في حرب اليمن خطة عسكرية عرفت بمواجهة اعدائه متفرقين الى جانب استعماله المباغتة العسكرية ، وكان اول همه توجيه الضربة الى زبيد حيث يتحصن في داخلها اميرها عبدالنبي بن مهدي متولياً قيادة سكانها للحرب مما اضطر معه شمس الدولة الى فرض الحصار حول سورها [٤٣] فاذا ما قاتلهم لم يثبت امامه وفتح البلد عنوة فملكه والقى القبض على عبدالنبي بن مهدي وزوجته المدعوة بالحرة فأخذه اسيرا وسلمه الى احد امرائه المسمى سيف الدولة مبارك بن كامل بن منقذ من امراء شيزر في الشام [٤٤] كما تم الاستيلاء على امواله [٤٥] .

ان سقوط زبيد يمثل الخطوة الاولى للحكم الايوبي في اليمن كما عبر عنه سقوط مملكةابن‌مهدي[٤٦] وزوال نفوذ المهديين (الاسرة المهدية) [٤٧] اذ من

---

(٤٢) ابو شامة : الروضتين : ق٢ ج١/٥٥٤ .

(٤٣) ابن الأثير : الكامل . ١١/٣٩٦ ، ابو شامة : الروضتين ق٢ج١/٥٥٤ .

(٤٤) ابن الاثير . الكامل : ١١/٣٩٧ ، ابو شامة : الروضتين : ج١ ق٢/٥٥٤ الذهبي / تاريخ الاسلام : / م٤ ورقة (٤٥٤) نسخة دار الكتب المصرية رقم (٣٩٦) .

(٤٥) راجع سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان / ج٨ ق١/٣٠ ، ابن خلدون : التاريخ ٣٠/٣٨٧ ، القلقشندي : مآثر الانافة : ٢/٥٤ .

(٤٦) انظر ابن الدبيع الشيباني : الزبيدي : قرة العيون : ق١/٣٧٣ ، بغية المستفيد/ ورقة ٢٩ (مخطوط) حسين بن احمد العرشي : بلوغ المرام في شرح مسك الختام ٤١(نشره الاب انستاس الكرملي) - القاهرة ١٩٣٦ م - حسن سليمان : تاريخ اليمن السياسي : ٢٥٢ .

(٤٧) المهديون (الاسرة المهدية) حكمت الاسرة المهدية من سنة ٥٥٤ هـ-٥٦٩ هـ/١١٥٩ م-١١٧٣ في زبيد ، وحكم من هذه الاسرة ثلاثة امراء فقط وهم علي بن مهدي ، ومهدي بن علي ، وعبدالنبي بن مهدي الذي كان ثالث حكام الاسرة بل الأخير . انظر : Lane Poole. Mohammadun danasties : P, 95 وقد نقلها منه جمال الدين الشيال محقق الروضتين ، راجع ابو شامة الروضتين /ج١ ق٢/٥٥١ (هامش ٦) ، ابن واصل مفرج الكروب ١/٣٨ (هامش ١) .

المعلوم ان عبدالنبي ملكهم مات في الاسر وما ان استقرت الأحوال السياسية في مدينة زبيد وتأكد شمس الدولة من اذعان اهلها للحكم الجديد حتى باشر في اقامة الخطبة العباسية وتنظيم الادارة فيها (٤٨) ، ومما لاشك فيه ان الحملة حققت هدفاً مباشراً للعباسيين اذا اعادت اليمن الى تبعيتها السياسية .

كانت الخطوة الثانية من حكم تورانشاه في اليمن هي توجيه الحملة العسكرية الى عدن حيث تولى الحكم فيها بقية لملك آل زريع وكان حاكمها ياسر بن بلال بن جرير المحمدى ، ورث ملكها من ابيه بلال بن جرير ، وهو نائب آل زريع . بعدن(٤٩) ولما وصل عسكر الايوبيين الى عدن (٥٠) لم يستطع دخولها في بادئ الأمر ، وذلك لما تمتاز به من موقع حصين فهي من جهة البر من امنع البلاد واحصنها(٥١) في حين يحيط بهذا البحر من الجهات الثلاث الاخرى . وما ان سمع صاحبها بقدوم شمس الدولة حتى اسرع هو الآخر الى لقائه فاذا دارت المعركة بينهما هزم عسكر عدن ففسح المجال امام الجيش الايوبي بالانسياح الى داخل المدينة والاستيلاء عليها وبهذا سقطت ثاني مدن اليمن بل ثاني امارة فيها هي امارة عدن وانهار معها حكم آل زريع (٥٢) .

لقد اخطأ حاكمها ياسر بن بلال بن جرير في تقدير الموقف العسكري مع جيش بني ايوب ، فهو لم يحسن التصرف عن طريق الاستفادة من حصانة

---

(٤٨) ابن الأثير ٣٩٧/١١ ، ابو شامة ، الروضتين : جـ ١ ق٥٥٤/٢ ، الزبيدي ، بغية المستفيد : ورقة ٢٤ .

(٤٩) ابن خلدون . التاريخ . ٢٨٧/٣ ، ابن الديبع ، بغية المستفيد: ورقة ٢٩ ، وكل ما ذكر عن ياسر بانه كان مولى الداعي محمد ابن ابي السعود بن زريع وهو آخر من تولى من الدعاة أبو مخرمة جـ ١ : ٤٦ ، جمال الدين ابي الفتح يوسف بن يعقوب ابن المجاور ، صفة بلاد اليمن ، والمعروف بتاريخ المستبصر : ١٢٧ .

(٥٠) ابو شامة : الروضتين / جـ١ ق٥٥٤/٢ .

(٥١) ابن الاثير : الكامل /٣٩٧/١١ .

(٥٢) ابن الأثير : الكامل /٣٩٧/١١ ، ابن خلدون : التاريخ /٣٨٧/٣ .

ومنعة المدينة (فلو تحصن في داخلها واقام بها ولم يخرج عنها) [٥٣] لتغير الموقف العسكري ، وانقلب النصر الى هزيمة ، وتقهقر العسكر الايوبي خائبا ، فكانت نتيجة اللقاء ان ملك بنو ايوب عدنا ووقع ملكها ياسر بن بلال اسيرا بايديهم ، ومعه انتهى حكم آل زريع [٥٤] وسقوط امارتهم .

وسلك تورانشاه سياسة طيبة مع سكان عدن فعندما اراد الجند نهب المدينة منعهم وقال «ما جئنا لنخرب البلاد وانما جئنا لنماكها ونعمرها وننتفع من دخلها» [٥٥] وعندما دخلت عدن تحت السيطرة الايوبية رحل شمس الدولة عنها باتجاه زبيد اذ اتخذ قرارا يتضمن اخضاع ما بقي فيها من القلاع والحصون التي لا تزال تعود ملكيتها الى عبدالنبي بن مهدي كقلعة تعز [٥٦] وقلعة التعكر [٥٧] والجند [٥٨] وغيرها [٥٩] وقيل انه فتح ثمانين حصنا ومدينة وقيل انه لما قتله سير نواب القلاع مفاتيحها اليه وهي احدى واربعون حصنا [٦٠] .

لم يغب عن ذهن شمس الدولة تورانشاه بن ايوب الاستيلاء على صنعاء فتوجه اليها بعد ان فرغ من قلاع وحصون زبيد فوصلها في المحرم من سنة ٥٧٠ هـ–١١٧٤م

(٥٣) ابن الأثير : الكامل /٣٩٧/١١ ، ابن واصل : مفرج الكروب /٢٤٢/١ .
(٥٤) آل زريع : وهم آل زريع بن العباس بن المكرم ولاة عدن نسبتهم من همدان ثم من جشم بن اصبها ، راجع ، ابو مخرمة /٤٠/١ .
(٥٥) راجع – ابن الأثير : الكامل/٣٩٧/١١ – ٣٩٨ ، ابن واصل . مفرج الكروب ٢٤٣/١ اما الدافع في منع تورانشاه بن ايوب الجند من نهب عدن فانه اراد ان يحقق هدفين هما كسب ود الرعية وتأييدهم لحكمه الجديد ، الى جانب الاستفادة من دخلها واموالها ليعزز موقف ذلك الحكم .
(٥٦) تعز : قلعة عظيمة من قلاع اليمن المشهورات : ياقوت : معجم البلدان : ٣٤/٣ .
(٥٧) التعكر : قلعة حصينة باليمن من مخلاف جعفر مطلة على ذى جيلة : ياقوت : معجم البلدان ٣٤/٢ .
(٥٨) الجند : جبل باليمن هكذا ذكره ياقوت : معجم البلدان ١٧٠/٢ .
(٥٩) ابن الأثير : الكامل /٣٩٨/١١ ، ابن واصل : مفرج الكروب /٢٤٣/١ : (مر بنا ذلك سابقاً) .
(٦٠) الزبيدي : بغية المستفيد ، ورقة / ٢٢٩ الحنبلي : شفاء القلوب / ٥٢ .

وضمنها الى ملكه وبهذا استطاع ان يصفي الحساب مع المعارضة .

ان اشهر ما عرف به حكمه بانه ملك اكثر بلاد [٦١] فاحسن السياسة مع اهل البلاد وكسب ودهم ونال طاعتهم بالعدل والاحسان ومما يؤكد هذا هو عودة زبيد الى احسن احوالها من العمارة والامن والاستقرار ، كما نتج عنه ثراء الكثير من سكانها [٦٢] . ثم اتخذ منها مركزا لحكمه الا انه استوخم هواءها فسار في الجبال ومعه الاطباء يتخير مكانا صحيح الهواء للسكنى فوقع اختيارهم على تعز فاختط هنالك مدينة واتخذها مركزا لملكه ولملوك بني ايوب من بعده [٦٣] .

استمر اتصال الملك تورانشاه باخيه الملك صلاح الدين وما ان اتم سيطرته على اليمن نراه يكتب الى اخيه من اليمن يخبره بانتصاراته ، فكتب الملك الناصر صلاح الدين الى نور الدين محمود يخبره بما افاض الله عليه من الاحسان بملك البلاد فأرسل نور الدين من عنده مهذب الدين ابا الحسن علي بن عيسى النقاش الى الخليفة العباسي في بغداد يخبره بفتح اليمن [٦٤] .

وعلى مدى سنتين من حكم الملك شمس الدولة تورانشاه بن ايوب استقرت الحالة السياسية باليمن ولم يظهر ما يشير الى ضعف حكمه الا تحرك صاحب حضرموت [٦٥] . ضده ولكنه استطاع التصدى له وقتله وعاث شخص آخر يسمى هارون في تلك البلاد ، مما دفعه ان يجري بعض التعديلات في ادارته ، فولى مملوكه ياقوتاً ثغر تعز [٦٦] وجعل اليه امر الجند كما ولى قلعة تعكر الى مملوكه قايماز ، وعندها قرر العودة الى مصر وترك حكم اليمن .

---

(٦١) ابن شداد : سيرة صلاح الدين : ٤٦ ، ابن الأثير ، الكامل : ٤٦٨/١١ ، الخزرجي العقود اللؤلؤية : ٢٩/١ ، يحيى بن الحسين : غاية الاماني /ق٣٢٧/١ .

(٦٢) ابن الأثير : الكامل/٣٩٨/١١ ، ابن واصل : مفرج الكروب /٢٤٣/١ .

(٦٣) ابن خلدون : التاريخ : ٣٨٧ ، الزبيدي / بغية المستفيد ورقة ٢٩ .

(٦٤) ابو شامة : الروضتين / جـ١ ق٥٥٥/٢ – ٥٥٦ .

(٦٥) حضرموت : ناحية واسعة شرقي عدن بقرب البحر : ياقوت ٢٧٠/٢ .

(٦٦) ابو شامة : جـ١ ق٦٦٥/٢ سبط ابن الجوزي / مرآة الزمان /جـ ٨ ق٢٣٥/١ .

اجتمعت عدة اسباب دفعت بالملك تورانشاه الى ان يترك اليمن منها انها لم تطب له حيث سئم الاقامة [٦٧] فيها كما حمله الشوق الى رؤية اخيه الملك الناصر صلاح الدين وهو في الشام فضلا عن رغبته في ان يلتقي مع ملوك الشام ويجتمع بهم [٦٨] في وقت كان القاضي الفاضل يكتب اليه الرسائل الفائقة ويودعها شرح الاشواق مما اثار به الشوق والحنين الى الشام [٦٩] فغادر اليمن حتى وصل دمشق في شهر ذي الحجة من سنة ٥٧١ هـ [٧٠] ثم غادرها الى لقاء صلاح الدين فأدركه بمدينة حماه فتعانقا في المخيم بالميدان وسر السلطان بلقائه [٧١] وذكر انه كتب الى اخيه السلطان صلاح الدين من الطريق حينما خرج من اليمن يخبره بوصوله [٧٢] وكان يستأذنه وضمنه شعرا من قول الشاعر بن المنجم المصري مطلعها [٧٣]

الشوق اولع بالقلوب وأوجع فعلام أدفعُ مِنه مالا يُدفَعُ

ويمضي حتى يقول : —

وإلى صلاح الدين اشكو انني من بَعْدِهِ مضنًى الجوانحُ موجع [٧٤]

وبقي مقيما عنده حتى ولاه دمشق واعمالها والشام وامره بان يكون في وجه الافرنج لانه خاف مكاتبة اهل حلب لهم وكما هو معروف عنهم [٧٥] الا انه

(٦٧) الحنبلي : شفاء القلوب /٥٣ .
(٦٨) ابو شامة : الروضتين / جـ ١ ق٢/٦٦٣ .
(٦٩) راجع اليافعي . مرآة الجنان /٣/٤٠٤ .
(٧٠) ابن شداد : سيرة صلاح الدين /٥٢ ، ابو شامة . الروضتين / جـ ١/ق٢/٦٦٥، في حين ذكر ابن الأثير انه قدم الى دمشق في شهر رمضان من سنة ٥٧١ هـ / والصحيح انه وصلها في بقية شهر ذي الحجة من نفس العام (ابن الأثير حوادث سنة ٥٧١ هـ) .
(٧١) ابن واصل : مفرج الكروب /٢/٤٨ .
(٧٢) الحنبلي : شفاء القلوب / ٥٣ ، يحيي بن الحسين : اخبار القطر اليماني /ق١/٢٥ .
(٧٣) الشاعر ابن المنجم المصري . هو الشاعر نشيء الدولة علي بن المفرج المنجم، ت ٦٣٠ هـ . الاصبهاني ، الخريدة ، قسم شعراء مصر /١/١٦٨ .
(٧٤) ابن الأثير الكامل /١١/٤٣٤ ، ابن واصل . مفرج الكروب /٢/٤٨ — ٤٩ .
(٧٥) ابو شامة : الروضتين / جـ١ق٢/٦٦٥ ، كان مثل ذلك التحالف قائماً بين الأتابكة والافرنج منذ سنة ٥٧١هـ / مفرج الكروب /٢/٣٨ ، عبدالفتاح عاشور / الحروب /٢/٧٤٧ .

رحل عن الشام قاصداً مصر سنة ٥٧٤ هـ — ١١٧٨ م [٧٦] فطلب من اخيه الاسكندرية على ان تكون اقطاعا له ، فاجابه الى ذلك فاقام فيها الى حين وفاته في شهر محرم سنة ٥٧٦ هـ — ١١٨٠ م ويبدو انه استمر في الاحتفاظ بسلطته على اليمن حتى وفاته حيث ذكر انها كانت له اكثر اليمن ونوابه تحمل اليه الاموال من زبيد وعدن وما بينهما من البلاد والمعاقل [٧٧] وبقيت بيده الى ما بعد خلافة المستضيء [٧٨] ومع ذلك كله فلو استمر شمس الدولة مقيماً باليمن يتولى شؤونها السياسية بنفسه لامكن للحكم الايوبي ان تثبت اركانه ولم يتمكن الحكام والنواب الخروج من تبعيته السياسية والادارية ، ولدينا نص تاريخي يكشف لنا كيف هابه ملوك اليمن وسكانها فيذكر انه حين هم شمس الدولة بمغادرة اليمن الى مصر تناقل الناس حديثه فاستغل الامر رجل يقال له عباس وهو صهر ياسر بن بلال بن جرير المحمدي صاحب عدن الذي كان بينه وبين ياسر عداوة فاراد عباس ان يرقع بخصمه فافتعل كتابا على لسان ياسر وزور عليه علامته وعنونه الى زيد بن عمرو بن حاتم صاحب صنعاء يذكر فيه ان شمس الدولة سائر الى اخيه صلاح الدين وذلك لضعف حكمه في اليمن ويحرضه فيه على الامتناع من تسليم الاموال اليه ، فوقع الكتاب بيد شمس الدولة فلما وقف عليه استدعى ياسراً واستجوبه عما فيه فانكر كتابته وتوقيعه ودافع عن نفسه فلم يصدقه شمس الدولة فأمر بقتله فقتل بين يديه صبرا وعلى اثرها هابه ملوك اليمن وحملوا اليه الاموال وحلفوا له على الطاعة [٧٩].

بقي الملك تورانشاه طيلة الفترة التي مكث فيها باليمن تابعاً الى اخيه صلاح الدين

---

(٧٦) ابن عبدالحي الحنبلي . شذرات الذهب /٣/٢٥٥ — ٢٥٦ .

(٧٧) ابن الأثير . الكامل /١١/٤٦٨ — ٤٦٩ ، الخزرجي : العقود اللؤلؤية /١/٢٩ الغساني : العسجد المسبوك /١/١٨١ الحنبلي : شفاء القلوب : ٥٣ ، يحيى بن الحسين : اخبار القطر اليماني / ق١/٣٢٧ ، ابن العبري / تاريخ مختصر الدول / ٢١٨ .

(٧٨) انظر القلقشندى : مآثر الا نافة : ٢/٥٤ — ٥٥ .

(٧٩) ابو شامة : الروضتين /جـ ١ ق٢/٤٦٣ — ٤٦٤ .

يوسف بن ايوب ، ولم يبد منه اي تصرف سياسي او اداري يعكس لنا بانه حاول الاستقلال عن مصر والشام بل على العكس من ذلك اذ حمله الشوق والحنين ورؤية اخيه صلاح الدين الى ترك اليمن ومغادرتها والاجتماع بأخيه في الشام .

السياسة الايوبية في اليمن بعد وفاة الملك تورانشاه بن ايوب :

غادر الملك شمس الدولة تورانشاه اليمن الى الشام سنة ٥٧١ هـ - ١١٧٦ م، تاركاً فيها نوابه وهم الامير سيف الدولة ابو الميمون مبارك بن كامل بن منقذ على زبيد والتهائم ، وعثمان بن علي الزنجيلي على عدن وتوابعها ومملوكه ياقوت التعزى على تعز واعمالها (٨٠) ومظفر الدين قايماز على جبلة ونواحيها (٨١) اما الامير سيف الدولة ابن منقذ (٧٢) فقد استأذن الملك شمس الدولة تورانشاه بالعودة الى الشام على ان يعفيه من منصبه واذن له فاستناب اخاه خطاب بن منقذ في زبيد (٨٣) .

ولما توفي الملك شمس الدولة وقع الخلاف بين نوابه كما اعلنوا شق عصا الطاعة للحكم الايوبي وامتنعوا عن دفع الخراج ، وضرب كل منهم سكة باسمه ومنع اهل بلده ان يتعاملوا بغيرها الا مظفر الدين قايماز فانه عجز عن ضبط مخلاف ذي جبلة . فنهض اليه عثمان الزنجيلي من عدن طامعاً في بلاده فتسلمها وتوجه

---

(٨٠) ابو شامة : الروضتين /جا ق٢/٦٦٤ - ٦٦٥ ابن واصل : مفرج الكروب /٢/١٠٢-١٠٣

(٨١) ابو مخرمة : تاريخ ثغر عدن /٢/٢٣٨ ، الزبيدي . قرة العيون /ق١/٣٨٣ يحيى بن الحسين : غاية الاماني : ١/٣٢٦ .

(٨٢) الامير سيف الدولة ابن منقذ من امراء شيزر ولد بالشام سنة ٥٢٦ هـ وتوفي سنة ٥٨٩ هـ . خرج بصحبة الملك شمس الدولة الى مصر وظل يقيم فيها الى حين وفاة شمس الدولة سنة ٥٧٦ وفي ٥٧٧ هـ - قبض عليه صلاح الدين واودعه السجن على اثر وشاية ثم اطلق حتى توفي بمصر سنة ٥٨٩ هـ راجع : العماد الاصبهاني : الخريدة : قسم الشام : ١/٢٢٣ ابن واصل : مفرج الكروب ٢/١٠٣ - ١٠٤ ابو مخرمة تاريخ ثغر عدن ٢/٦٩. (ويضيف الزبيدي انه من امراء الدولة الصلاحية بمصر شاعراً) قرة العيون : ق١/٣٨٣ .

(٨٣) ابن واصل : مفرج الكروب /٢/١٠٣ .

الى حضرموت فنهبها ثم رجع الى عدن [٨٤] كما استفلحت الفتنة بين خطاب ابن منقذ – والي زبيد – وعزالدين عثمان ابن الزنجيلي ، والي عدن – عندما سمعا بوفاة الملك المعظم واخذ كل واحد منهما يسعى في فرض سيطرته على بلد الآخر [٨٥] واستمرت بينهما الفتن فلما علم السلطان صلاح الدين بذلك خاف ان يخرج اليمن من حكم بني ايوب ، فارسل عسكراً بقيادة الامير صارم الدين خطاب وحمله كتاباً الى الامراء يأمرهم به ان يسيروا معه الى قتال خطاب بن منقذ واخراجه من زبيد ، وما ان وصل حتى بدأ الامراء يفدون اليه ، فسار بهم الى زبيد في وقت كان خطاب قد هرب منها فدخلها واعادها الى السيطرة الايوبية الا ان الامير صارم الدين خطابا مات [٨٦] مما سهل على خطاب بن منقذ ان يعود الى امارته بزبيد واقطاعه ، فاطاعه الناس [٨٧] وهكذا عادت زبيد واعمالها الى خطاب في حين بقي عثمان الزنجيلي يخطط للايقاع به فلم يستطع [٨٨] وما ان تسربت اخباره الى صلاح الدين وما حل باليمن من فتنة بسببه ، قرر ان ينتدب اخاه الملك سيف الاسلام ظهرالدين طغتكين للقائه والقضاء على دابر الفتنة في اليمن [٨٩] ولتعود اليمن من جديد تحت الحكم الايوبي .

وعليه فان قيام الدولة الايوبية في اليمن كان يمثل ضرورة من ضرورات الحكم الايوبي وان امتداد سيطرتهم الى الاراضي الواقعة جنوب مصر باتجاه البحر الاحمر الى اليمن والحجاز كانت تفرضه حاجة دولتهم العسكرية الى توفير مزيد من الاراضي ترابط عليها عساكرها وتملك من فوقها حرية التحرك العسكري لقتال

---

(٨٤) الزبيدي : قرة العيون /٣٨٤/١ الخزرجي : العقود اللؤلؤية/٢٩/١ ، غاية الاماني في اخبار القطر اليماني : ٣٢٦/١ .

(٨٥) ابن الأثير : الكامل : ٤٧٢/١١ ، ابو شامة : الروضتين ٢٦/٢ طبعة دار الجيل ط٢/ ١٩٧٤ ، ابن واصل : مفرج الكروب ١٠٤/٢ .

(٨٦) راجع الزبيدي : بغية المستفيد : ورقة /٣١ (مخطوط)

(٨٧) ابن الأثير : الكامل ٤٧٢/١١ ابن واصل مفرج الكروب ١٠٤/٢ .

(٨٨) الزبيدي . قرة العيون : ٣٨٦/١ .

(٨٩) ابن الأثير الكامل : ج٤٨٠/١ مفرج الكروب ١٠٥/٢ .

الخارجين والمتآمرين على قيم ومبادئ الامة . خاصة وان حكم هذه الدولة في مصر قد نشأ وسط انظمة سياسية متباينة بعضها أزيل في حكم قوتهم العسكرية وجهود زعامتهم كالدولة الفاطمية في حين بقيت القوى السياسية الاخرى في الشام والجزيرة تهدد كيان الدولة الجديدة في مصر وتتآمر عليها كقوة الفرنج في ساحل الشام ومصر وبالتعاون مع الصليبيين الى جانب القوى المحاية من الدول والامارات الاسلامية في بلاد الشام والجزيرة حيث يتمتع غالبية زعماء تلك الدول بالنزعة الشخصية ولذا اصبح لوجود انظمتهم وسط دولة بني ايوب او على حدودها الاقليمية الوهمية خطرا يهدد وجود الامة ومبادءها في الوحدة والتحرير .

ان خلق نوع من التجانس الفكري اصبح الاساس والمنطق لدولة صلاح الدين الى الوحدة بعد وفاة نور الدين محمود سنة ٥٦٩ هـ — ١١٧٤ م والتي ينتظرها بنو ايوب والمسلمون وقد وجدها فعلا في سياسة صلاح الدين ومن خلال قيادته للجماهير . وعلى مدى ما حققه من انتصارات في مصر والشام والجزيرة خلال حكمه الذي امتد من سنة ٥٦٩ هـ — ٥٨٩ هـ .

لقد ارتبطت اليمن العربية في تلك السياسة منذ ان حكمها بنو ايوب سنة ٥٦٩ هـ — ١١٧٤ م ان طبيعة الاوضاع السياسية فيها يختلف نسبياً عن بلاد الشام والجزيرة ففي البلاد الاخيرة وقفت الجماهير الى جانب صلاح الدين فقاتلت تحت قيادته الافرنج الصليبيين في حين سيرت الاطماع الشخصية والنزعة القبلية التي اتسم بها حكم نوابه عساكر اليمن وجماهيرها باتجاه رفع شعار المعاداة لحكمه بل كان له دور في تحديد هوية الحكم وقد اتضح ذلك جليا من الصورة التي عكسها حكم تورانشاه بن ايوب في اليمن وبمجرد عودته من اليمن الى مصر عادت الفوضى السياسية والعسكرية وانتقض نوابه ضد حكمه وقد تجاوز بعضهم ذلك الى التلويح بشعار الاستقلال .

ان رد الفعل هذا لدى بعض نواب بني ايوب في اليمن وضع السلطان صلاح الدين امام الحقيقة السياسية الثابتة وهي ان ليس بالامكان ادارة شؤون اليمن

السياسية والادارية من مصر او الشام عن طريق نوابه بل لا بد من استخدام القوة العسكرية فهي الكفياة بازالة كل مظاهر التردد والانقسام ولهذا قرر ارسال اخيه الملك سيف الاسلام ظهير الدين طغتكين على رأس حملة عسكرية لحسم الموقف وانتزاع زمام المبادرة من العناصر المنشقة ذات النزعة القبلية والاطماع الشخصية وقد نجح في ذلك اذ استطاع الاخير ان ينقذ الحكم الايو بي في اليمن من الضياع فجاء ذلك سنة ٥٧٧ هـ – ١١٨١ م حينما اعلن ذلك بنفسه لتعود اليمن الى حكمه وبعمله هذا وفر لدولاته عمقاً استراتيجيا من الجنوب وباتجاه البحر الأحمر والحجاز .

* * *

الدكتور عبدالرزاق محيي الدين في ذمة الخلود

ينعي رئيس وأعضاء المجمع العلمي العراقي الدكتور عبدالرزاق محيي الدين، وقد وافاه الأجل المحتوم بعد مرض مفاجيء لم يمهله طويلاً. فكانت وفاته خسارة كبرى للفكر والأدب، لما عرف عنه من خلق رضي، وعقل راجح وبصيرة نفاذة، وتقدير للأدب الرفيع، وايمان صادق بالعروبة والاسلام.

كان لوفاته وقع أليم في نفوس العدد الكبير من أصدقائه ومعارفه وطلابه. وقد اجمع كل من درس على يده، أو عمل معه على تقدير اطلاعه الواسع، وعلمه الغزير، وتذوقه للادب والشعر، فكانت كتاباته نماذج أدبية رائعة في دقة مفرداتها، وبلاغة تعبيرها، وسلامة اسلوبها، ووضوح فكرتها. وسيبقى ما نشره من مقالات معيناً ثراً لمن ينشد التعبير البليغ عن الفكرة السليمة.

وتميّز شعره بجزالة تتحاشى الاغراب وتترفع عن الاسفاف وتُعبّر عن مشاعر رقيقة واحساسات صادقة يسجل فيها عواطفه ومشاعره وافكاره، او ينظمها في تكريم او رثاء ذوي المكانة في الفكر والادب؛ فشعره سجل يدون فيه مزايا كرماء الامة ويخلد ذكراهم.

ولد الفقيد الكريم سنة ١٩١٠ في النجف الاشرف، من اسرة عربية عرفت بالاستقامة والفضل، وانجبت عدداً ممن برز في العلم والادب. وغذته اسرته بالخلق الفاضل والصلاح وحب الخير، فلما شب واستقر ادراكه انصرف الى الدراسة والعلم ينهل ممن في بلده من علماء في اللغة والادب وعلوم الدين، فكوّنوا له اساساً صلداً في هذه الميادين. ثم رحل الى القاهرة، فتابع دراسته في دار العلوم متتلمذاً على الأفذاذ من أساتذتها ونال شهادتها بعد اربع سنوات من الدراسة.

ولم تقنع نفسه الطُلعة بالاكتفاء بما حصل، فعاد الى القاهرة يتابع دراسته العليا في جامعتها، فنال شهادة الماجستير في رسالة عن أبي حيان التوحيدي ثم شهادة الدكتوراه في رسالة عن أدب الشريف الرضي. وثبّتا بان اقامته في القاهرة صلات واسعة بمراكز العلم والبارزين من رجالها، وتعمقت مكانته لدى العدد الكبير من العراقيين الذين كانوا يقيمون في القاهرة او يدرسون فيها.

ثم عاد الى العراق فدرّس في دار المعلمين العالية اللغة والأدب والبلاغة ، واستفاد من علمه وأدبه العدد الكبير من طلابه الذين يحفظون له في قلوبهم مكانة خاصة كونّها علمه الغزير ، وأدبه الجم ، وحبه الصادق للخير . ونشر كتاب البصائر والذخائر ، وكتاب الوجيز في القرآن العزيز ، وشارك في تأليف جملة كتب مدرسية ، كما نشر عدداً كبيراً من المقالات في ميادين الأدب والحياة العامة .

لم ترض له نفسه الكبيرة ان يستكن معتزلاً بالبرج العاجي ، وانما شارك في التفكير في امور البلد ، وكان يبدي آراءه صريحة في بعض ما يشغل الناس ، وناله من صدق عقيدته العربية الاسلامية كثيراً من الأذى في السجن والنفي ، فتحمل ذلك بجلد وصبر ، ولم يتزعزع ايمانه ، ولم تضعف نفسه ، وانما ازداد انغماراً في التفكير في الامور العامة والعمل على توجيهها بما يؤمن الحفاظ على عروبتها واسلامها . وجره ذلك الى العمل السياسي ، فاشغل منصب الوزارة عدة سنوات ، وشارك في عدد من المؤتمرات ، وكان له دور في تنظيم ما كان يتخذ في سبيل تحقيق الوحدة العربية .

غير ان كل ذلك لم يشغله عن العلم والادب ، فظل يتابعه في التدريس والاشراف على إعداد الرسائل ومناقشتها ؛ واختير عضواً في المجمع العلمي العراقي في سنة ١٩٦٣ ، ثم انتخب رئيساً له في سنة ١٩٦٦ ، وظل في رئاسته الى سنة ١٩٧٨ حين أُعيد تشكيل المجمع العلمي العراقي ، وقد تم اختياره خلال ذلك عضواً في مجامع القاهرة ودمشق والاردن ، كما اختير عضواً في عدد من الجمعيات الأدبية في داخل القطر العراقي وخارجه .

وقد أظهر حرصاً بالغاً على العمل المجمعي ، وكان يقدّمه على كافة الأعمال الاخرى ، وكرّس له كثيراً من وقته في أعمال لجانه ، وتوجيه دراساته ، وتعزيز مكانته . وكانت السمة البارزة لعمله في المجمع العناية بالعربية وتعزيز مكانتها وتيسير مواكبتها للتطور الفكري ، والتعاون الصادق مع كافة المؤسسات التي تعمل على تحقيق هذا الغرض .

رحم الله ابا زهير ، لقد أدى رسالته ، ووفّى امانته وخلد ذكره ، وانتقل من الدار الفانية الى الدار الاخرة بعد ان خلّف ما يذكره قومه والاجيال خير ذكر وانا لله وانا اليه راجعون .

آراءٌ وأنباءُ

من ألفــاظ الحضارة

هذه طائفة من الألفاظ الحضارية الدخيلة ، التي تجري بها الألسنة أو تدور في بعض الكتابات اليوم ، منسوقة على الحروف . وهي ممّا رصدته لجنة اللغــة العربية ، أو ممّا ورد على المجمع من دواوين الدولة ، فتوفرت على درسها ، ووضعت ما يقابلها من فُصُح العربية ، لتحل محلها ، وتدرأ بما وضعت عوادي الاستعجام الذي عب عبابه وطغى .

وسنوالي نشر أمثال هذه الألفاظ الدخيلة ، وغيرها من أوضاع جديدة ، تباعاً في الأجزاء الآتية . .

واللجنة اذ تضع هذه الأوضاع الجديدة أمام أنظار المعنيين باللغة العربيــة الحراص على سلامتها ، ونفي الزيغ والفساد عنها ، ترحب بما يلاحظونه عليها ، أو يرونه خيراً ممّا ارتأته أو قررته ؛ التماساً للأفضل ، وتفضيلا للأصح على الصحيح ، وللصحيح على غيره .

محمد بهجة الأثري

(مقرر اللجنة)

المصطلح المتداول	اوضاع اللجنـة
(أ)	
أتوماتيكي	ذاتيّ الحركة
أتوماتيكية	ذاتية الحركة
أتيلية [1]	(١) شُغل (٢) مَفَنّ
أُرْدُفْر [2] « غذائية »	لهنة (بضم فسكون ففتح)
أرشيف	مَضْبَرَة (بفتح الميم). «ج: مضابر»
أرضي شوكي (أرتشوك كاتالانا) « غذائية »	خرشوف قطالونية
أزبرى متنوعة « غذائية »	توت أرضي منوّع
أسباراكوس بارد « غذائية »	هليون بارد
أسباراكوس مع صلصة هولندية «غذائية»	هليون بمرق هولندي
استراتيجية	سَوْق ـ سَوْقِيّات
إستندرد	قياسي
استنسل	ورق مشمع
أكسيدْ يَلَوْ (oxide yellow)	أصفر الأكسيد
أكاديميك (academic)	(١) جامعي (٢) مجمعي (٣) علمي
أكاديمية (academy)	مَجْمَع
أكريلك مسر الأداء بالماء (لا عربية)	أكريل
ألسنة اسكارلاتا « غذائية »	اسان « اسكارلاتا »
إمبريال	تسلُّطي

(١) فرنسية « atelier » لها عند الفرنسيين مدلولان : الشغل ، وموضع الشغل ، ويقابل ثانيهما بالعربية (المفن) بفتح الميم والفاء وتشديد النون.

(٢) ما يتعلل به قبل الغذاء .

المصطلح المتداول	اوضاع اللجنة
إمبريالية (imperialism) [1]	تسلطيّة
أمولشِن فاتح (emalsion) «صناعية»	مُستَحلَب [2] ناصع
إمولشن غامق « صناعية »	مُستَحلَب أدكَن
أنتراكون (براد وفيرد) « غذائية »	خاصرةُ عِجل (براد وفيرد)
إنتليجنسيا (intelligentsia)	مفكرون
أوكسيد « كيميائية »	أكسيد
أوكسيد الزنك « كيميائية »	أكسيد الزّنك
أيديولوجية (ideology)	(١) مَذهب (٢) مذهبية
آيس كريم « غذائية »	مُثلّج
إيشارب (echarpe)	شَرْب (ج : شُرُوب)

(ب)

المصطلح المتداول	اوضاع اللجنة
برينة	بريمة (مِثقب لولبيّ)
پستِن (piston) .	مِكبَس
بسكويت (لاتيني) (biscuitus)	بِسكِت
بصمة الأصابع	طبع الأصابع
بف	نقش
بكرة	بَكْرة
پلاستيك	لَدِينَة (ج : لدائن)
بلوز	دِثار
بلوك	(١) كُتلة (٢) تربيعة

(١) مصدر من امبريال (imperial) : أصله لاتيني بالصيغة نفسها ، ومعناه المنسوب الى الإنبراطورية ، أو الإنبراطور . ويراد بالامبريالية في استعمال اليوم : سياسة التوسع والتسلط غير المباشر من دولة قوية على دولة ضعيفة لاستغلال مواردها .

(٢) بفتح اللام .

المصطلح المتداول	اوضاع اللجنة
پليت حديد	لوح حديد
پنتلايت	صِباغ
بنطلون	سِروال
پودرة سائلة (ميلك اب سائل)	ذَرُور[1] سائل
پودرة مضغوطة	ذَرُور مضغوط
بورصة	مَصْفِق[2] (بفتح فسكون فكسر) .
بورگ	بُورَق (بضم الباء وفتح الراء)
بُوري	أُنبوب (ج : أنابيب)
بونيت	غِماء (بكسر أوله وتخفيف ثانيه)
بوية	دِهان
بوية دهنية غامقة	دِهان أدْكَن
بوية دهنية فاتحة	دِهان ناصع
بيروقراطية (bureaucracy)[3]	(١) الدَّواوينية (٢) الشكلية[4]
بيض بالبندكتين « غذائية »	بيض البنادقة
بيكاربونات الأمونيوم	ثنائي كربونات الأمونيوم
بيكاربونات الصوديوم	صودا الخبز
پيكب (pickup)	ناقلة

---

(١) بفتح الذال .

(٢) ضبط في «المعجم الوسيط» بفتح الفاء، والصحيح كسرها، لأن فعله المضارع المشتق منه مكسور العين.

(٣) عرفت في اصطلاح الفرنجة بما يأتي : (أ) حكومة تتركز السلطة فيها في أيدي جماعة من الموظفين الإداريين . (ب) أصحاب الساطة من موظفي هذه الحكومة . (ج) تركز السلطة في أيدي جماعة من الموظفين الإداريين . (د) نظام حكومي مغالىً في التزام شكليته .

(٤) اختيار لفظة (الدواوينية) للدلالة على تركز السلطة في أيدي جماعة من الموظفين الإداريين ، واختيار (الشكلية) للدلا لة على المغالاة في التمسك بالجانب الشكلي الجامد في أعمال الدواوين .

المصطلح المتداول	اوضاع اللجنة
پيكن باودر	ذَرُور الخَبْز
بيكيني (bikini)	بيكيني [1]

(ت)

تافكه [2]	شَلاّل
تالة	لِينة
تالك [3]	طَلْق
تب – توب	الأعالي
تركتر tractor	ساحبة
تِرمُس	كظيمة
تِر يكو	شَبائك
تصنيع بروشات الكاربون	تصنيع الفَحْمات
تكتيك tactics	تدبير
tactique	تعبئة (في العسكرية)
تكنولوجيا [4] technology	تِقنيّة
تلفزيون television	تلفاز
تلكس	واحية (أو : واحٍ) .
تَنِس tennis	كرة المِضْرَب

(١) هو ثوب سباحة من قطعتين ترتديه النساء ويظهر أكثر الجسد معه عارياً ، واللفظ في الأصل علم لجزيرة من جزر مارشال في غربي المحيط الهادي ، وقد أقرته اللجنة معرباً لهذا السبب .

(٢) لفظة كردية .

(٣) حجر .

(٤) وضعت اللجنة مقابلها بالعربية (التقنية) بوزن (العلمية) . وهي مصدر صناعي من (التقن) بوزن العلم ، والتقن : الرجل الذي يتقن عمله . وما شاع من نطقها بوزن كلمة (الأدبية) أو بوزن كلمة (التربية) ، فهو خطأ .

المصطلح المتداول	اوضاع اللجنة
تنّورة shirt	تَنُّورة
تورمز (سيميّة) turims	قُصاصات
توفي toffee	تُرْفَة
تيست برنت test print	نسخة الاختبار

(ث)

ثِنَرْ thinner	مُخَفِّف

(ج)

جاكيت jacket	سُتْرة
چبس chips	رقائق البطاطس
جرافيت [1]	فَحام (بوزن كتاب)
چُكليت	شُكُلة
جنبد	جُنْبُذ (بالذال المعجمة)
جوارب	جوارب
جلي jelly	هُلام
جيوپولتيك [2] geopolitics	سياسة جغرافية
جلاتين gelatin	هُلاميّة (حلوى)
چيف كامرا من chief camera man	مدير التصوير

(ح)

حامُض حلُو	حامِضٌ حُلْوٌ
حامض الخلّيك	الحامض الخَلّي

(١) يوناني graphit بمعنى يكتب .

(٢) عرفت بما يأتي :

(أ) دراسة تأثير العوامل الجغرافية والاقتصادية والبشرية في سياسة الدولة الخارجية خاصة . .

(ب) سياسة حكومية مبنية على أساس هذا العلم .

المصطلح المتداول	اوضاع اللجنة
حامض الستريك	حامِض اللّيمون
حامض الليمون	حامض اللَّيمون
حديد الراسطة	حديدٌ شريطيّ

(خ)

خردل	خَرْدَل
خُضْرَوات متنوعة	خَضْراوات مُنَوَّعة

(د)

دارسين	دارَصيني
دانتيـــل	مُخَرَّم
دايوكسيكارب	سُمٌّ مُبيد
دپليكيتر duplicater	مُسْتَنْسِخَة
درنفيس أبو الديشلي	مِفَلّ ذاتيُّ الدوران
دستمبر	طِلاء مائي
دكتاتورية [1] dictatorship	(١) استبداد (٢) مستبد
دكستروز	سُكَّر العنب
دَمَلوك	دُمْلُوك
دوبل كونسومية « غذائية »	ماء لحم مُغَلَّظ

(١) عرفت في كتب الفرنجة بما يأتي :
(أ) منصب الدكتاتور (الحاكم المطلق) .
(ب) الحكم المطلق .
(ج) حكومة أو دولة يحكمها حاكم مطلق .
وقد ارتأت اللجنة أن تطلق على هذا النوع من الحكم : (الاستبداد) ، وعلى الحاكم لفظ : (المستبد) .

المصطلح المتداول	اوضاع اللجنـة
دوبلاج [1] doublage	إحلال
دوندرمة ice cream	مُجَمَّدَة (مُثَلَّجة)
ديالكتيك ، ديالكتيكية dialectic	جَدَل : (للمصدر)
	جَدَلِيّ : (للوصف)
	جَدَلِية : (للمذهب)
ديكور decor	زينة
ديكوريشن decoration	تزيين
ديلكو ، أو : distributor	مُوَزِّعة (في السيارات)

(ر)

المصطلح المتداول	اوضاع اللجنـة
راديتر	مُشِعّة
راديو	مِذياع
راديو ترانزستر transresitor	مِذياع نَضيدي
رازبري raspberry	توت الأرض
ربطة عنق	رباط
روب [2] robe	بُردة ، أو : بُرْد
روست بيف « غذائية »	شَريحة بقَر مُحَمَّصة
روم سرفيس room service	خِدْمات الغرف
رولـة	مِدْحاة

(١) لفظة فرنسية في لغة (السيما) بمعنى : احلال لغـة محل لغة أخرى ، في العرض السيمي ، فوضعت اللجنة (الإحلال) لهـذا اللفظ الأجنبي ، والمحل ، (للمدبلج) اسم فاعل ، والمحل (للمدبلج) اسم مفعول .

(٢) لفظ فرنسي و انكليزي (robe) يراد به نوع من الثياب يشبه الجبة ، يرتدى فوق الملابس ، وضعت اللجنة له (البردة) و (البرد) .

المصطلح المتداول	اوضاع اللجنة
رونيو roneo	مُستنسِخَة
ريبورتاج reportage	استطلاع
ريتارد ر retarder	مُعَوِّق او مؤَخِّر
ريد أوكسايد « صناعية »	أكسيد أحمر
ريدر reader	مِقْرَأة
ريدكشن پرينت reduction print	طَبْعَة مصغَّرة
ريد ليد « صناعية »	رَصاص أحمر

(س)

المصطلح المتداول	اوضاع اللجنة
سايلنت فلم silent film	رَقٌّ صامتٌ
سباكيتي بالصوص « غذائية »	إطْرِيَة مَرَقيَّة
سپرستات superstat	مِرسام
ستاتيكيّة staticism	رُكوديّة
سترك أسيلم citric acid	حامض الليمون
ستيك	شَريحة بَقَريّة
ستيك تندر لوين بالفلفل	شريحة خاصرة طرية مفلفَلة
سكروز sucrose	سُكَّر العنب
سلامي « غذائية »	خنزيرية (بقرية)
سلايد [1] slide	شريحة
سلة فواكه طازجة	سلّة فواكه غَضّة (طَريّة)
سَلَطة	خُضَريّة
سَلَطة قلب الخس « غذائية »	خُضَريّة لبّ الخس

(١) رقيقة سيمية توضع في اطار وتزلق في الفانوس السحري .

المصطلح المتداول	اوضاع اللجنة
سلَطة الموسم « غذائية »	خُضَريّة الموسم
سليندر cylinder	أسطوانة (في السيارة)
سوپر « صناعية »	أجْوَد
سوتيان [1]	مِنْهَدَة
سوسيولوجي sociology	علم الاجتماع
سولفيكس « صناعية »	مُذيبة
سيت دريسر set dresser	منفِّذ الزينة
سيت ديكوريتر set decorator	مُنَسِّق الزينة
سيراميك [2] ceramic	خزف ، أو : صناعة الخزف
سيفون [3] siphon	زَفُون
سيكوتين	لَصوق
سيلر (بكسر السين)	مانع التسرب
سين scene	مَنْظَر
سيناريو [4] scenario	نصّ سيميّ

(١) لفظ فرنسي soutien ، يراد به ما يحمل النهدين ، وهو في الأصل لفظ مركب من كلمتين souiten garge .

(٢) ceramic (بالانكليزية) ceramique (بالفرنسية) أصلها باليوناني keramos معناها الخزف. وهو لفظ مركب من جذرين kwer بمعنى يحرق وmos بمعنى يمزج . واستعمل في الانكليزية والفرنسية بمعنى الخزف .

(٣) يطلق على الخزان الذي يستعمل ماؤه لدفع الاقذار في المراحيض . وضعت اللجنة له لفظ (الزفون) وهو في العربية قريب بمدلوله ولفظه من هذا اللفظ .

(٤) ايطالي scenario ، يقابله بالانكليزية scenary ، ومعناه الخطوط الواضحة لمسرحية ونحوها ، تحدد فيها أسماء الأشخاص ، والأدوار ، والمناظر ، والأحوال ، والتوجيهات المسرحية .

المصطلح المتداول	اوضاع اللجنة
سينثتك إنامل Synthetic enamel	دِهان لمَتاع مُصَنَّع
سينما cinema	سِيما (بحذف النون)
سينما سكوب [1] cinemascope	سيما عريضة

(ش)

المصطلح المتداول	اوضاع اللجنة
شاتو بريان مع صلصة بيرنيز «غذائية»	شَريحة بَقَر بمرق (بيرنيز)
شاصي chassis	هيكل
شامپو	غَسُول
شامپو ياسمين للشعر الاعتيادي	غَسول ياسمين للشعر الطبيعي
شامپو ياسمين ضد القشرة	غَسول ياسمين للقشرة
شتايكر	تربيعة
شرائح بط مشويّ « غذائية »	شرائح بطّ مشويّة
شرائح تندرلوين « غذائية »	شريحة خاصرة طَريّة
شرائح تندرلوين رقيقة بالجلاتين	شرائح خاصرة طريّة بالهُلام
شرائح غنم مشوي مع صلصة النعناع	شرائح غنم مشوية منعنعة
شعرية ومعكروني « غذائية »	شعرية ومعكرونة
شوربة « غذائيّة »	حَساء (بفتح الحاء)
شورت short	سروال قصير
شورت بريك داون short break down	توزيع اللقطات
شورت فلم short film	رَقّ قصير

(١) أصل معنى (سكوب) بالانكليزية (المجال)، أو المراد بالسينما سكوب: السيما الواسعة (المعرض) وضعت اللجنة لها : (السيما العريضة) .

المصطلح المتداول	اوضاع اللجنــة
شورت فيچر short feature	رَق ّ وسيط
(ص)	
صدريّة	صِدار (بكسر أوّله)
صوص « غذائية »	صَلْصَة
صوصج « غذائية »	نَقانِق
(ط)	
طبق الشيف « غذائية »	أكْلَة اليوم
طرشي « غذائية »	مُخَلّل
(ع)	
عسل التمر « غذائية »	دِبْس
عِلِچ chewing gun	عِلْك
عَنْبَة « غذائية »	أنْبَج
عنجاص	إجّاص وإنجاص
(ف)	
فاشية « فاشستية »[1]	فاشيّة
فامـــد	مُبِيد
فستان	مُطْرَف
فلاش flash – light « سيميّة »	وامضة
فلاش باك flash back « سيميّة »	عَوْدَة
فِلتَر	حَشْوَة
فلبس flips	تقليب

(١) (ايطالي) fascis ، fascis (لاتيني) .

المصطلح المتداول	اوضاع اللجنة
فِلْم	(١) رَقّ (٢) شريط
فلم أديتر film editor	مُحرِّر الرقوق
فلم سپليسر film splicer	مِلْصَقة
فلم سمنت film cement	لَصُوق
فلم ويست film waste	لَقَطات مستبعَدة
فلور سكريتري floor secretary	مراقِب التنسيق
فوتستات	مُصَوِّرة
فورميكا formica	مَلِيسَة
فولكلور	مأثورات شعبية
فيتامين vitamin	فيتامين (تعريبا)
فيديوتيب video tape	سيما المنزل
فيـــر faire	مجفِّفة
فيشة (فيش)	جُذاذة

(ق)

المصطلح المتداول	اوضاع اللجنة
قايش	سَيْر (ج : سيور)
قميص النوم	مِبْذَل ، أو : فِضْلَة

(ك)

المصطلح المتداول	اوضاع اللجنة
كادر cadre	مِلاك (بكسر الميم)
كاربوريتر carburettor	مُفَحِّمة
كارتو بلاستك carto plastic	مُقَوّى اللدائن
كارتَوْن	مُقَوّى
كارتُون [1] cartoon	تجسيد

(١) بضم التاء في لغة (السيما)، وهو غير (الكارتون) المائلة تاؤه corton المقابل للورق المقوى – وضعت اللجنة للمصطلح للسيمي (التجسيد) ، وللفظ الأول : المقوى .

المصطلح المتداول	اوضاع اللجنة
كاري « غذائية » curry	كاري (تعريباً)
كاستر custard	قُشادة
كاسيت cassette	مِحْفَظَة
كاكاو cocoa	كاكاو (تعريباً)
كافيتريا cafeteria	مَنْأَف[1]
كاونتر حديد	نَضَد حديد
كباريه cabaret	مَلْهَى
كت أوف آريا cut - off area	مِساحة منقوصة
كتنگ cutting « سيمية »	تقطيع
كتنگ روم cutting room	غرفة التقطيع
كجب kechup أو catsup « غذائية »	طَماطيّة
كراج	مَرْأب
كرافيك آرتس graphic arts	فنون تخطيطية
كركم « غذائية »	كُرْكُم (تعريباً)
كريستال crystal	بِلَّوْر
كريم cream « غذائية »	قِشْدَة
كريم چاب cream chops « غذائية »	هِبْرِيّة
كريم الوجه	دِهان الوجه
كَعَك	كَعْك (بتسكين ثانية تعريباً)
كفوف gloves	قَفّازات

(١) من قول العرب : نئف ينأف ، إذا أكل ويصلح في الشرب؛ ونئف في الشرب : ارتوى ، ونئف من الطعام إذا أكل منه .

المصطلح المتداول	اوضاع اللجنة
كلاب بورد clap board « سيمية »	صافقة
كلاوي « غذائية »	كُلى
كلوكوز glucose	سُكّر العنب
كلير إنامل clear enamel	دهان شفاف
كليرفلات لاكر clear flat laquer	دهان شفاف غير لماع
كمپرس comparse	بِطانة
كواليس coulisse [1]	(١) حواجز (٢) خفايا
كورس chorus	جَوْقَة
كورسيه corset	مِشَدّ
كورن أپ corn – up	ذُرَة شاميّة
كوستم ديزاينر costume designer	مُفَصِّل الملابس
كوفيز couveuse [2]	مُرْخِم
كوكتيل الفواكه « غذائية »	مُنوَّعَة الفواكه
كوكلة	لَفيفة
كولون collaun « فرنسي »	مُسَرْوَل

(١) لفظ فرنسي أطلق مفرده وهو (الكوليس) (coulisse) في الأصل على مـؤخر المسرح .
ويقال في الاستعمال الشائع اليوم (ما وراء الكواليس) ، ويعنون بواطن الأمور وخفاياها ،
ورأت اللجنة وضع كلمة (الحواجز) في مقابل (الكواليس) في لغة المسرح ، و (الخفايا)
للاستعمال المجازي في مقابل (ما وراء الكواليس) .

(٢) وضعت اللجنة مقابلها للآلة (المرخمة) بضم الميم وسكون الراء وكسر الخاء المعجمة ، وللموضع
(المرخم) بضم الميم وسكون الراء وفتح الخاء المعجمة .

المصطلح المتداول	اوضاع اللجنة
كومپرادور comparador [1]	وكلاء مستغِلّون
كومپلكيشن فلم complication film	رَقٌ مُجَمَّع
كومپوت compote كومبوست	مُرَبّب
composte [2]	
كومون commune [3]	لجنة باريس الثورية
كوميدي [4]	صِوان (بكسر الصاد)
كومينتانغ (كومينتانك) [5] kuomintang (kuo-min-tang)	حزب الشعب الوطني
كونسوميه consomme « غذائية »	مَرَق اللحم
كونفرنس conference	مؤتَمَر
كوي ironing	كيّ

(١) جاء تعريفها في دائرة المعارف البريطانية ٣/٥٥ :

« مصطلح انكليزي من (البرتغالية) أطلق اول الأمر على أعضاء طبقة التجار الصينيين الذين ساعدوا التجار الغربيين في الصين في القرنين (١٨ و ١٩ وأوائل العشرين) . وقد كان هؤلاء الكومبرادور المرتبطون بعقود مسؤولين عن توفير الصرافين الصينيين المختصين والمترجمين والحمالين والحراس ، وعدد من هؤلاء صاروا أثرياء بالغي الثروة ، وأسسوا مصالح خاصة ، وفي الآونة الأخيرة أصبح المصطلح يشير الى الناس الذين ساعدوا وأسسوا مصالح خاصة ، ثم أصبح المصطلح يشير الى الناس الذين ساعدوا الاستغلا ل الاستعماري الغربي في الصين » . وبعد مراجعة كتب أجنبية أخرى ، قررت اللجنة اختيار المصطلح (الوكلاء المستغلون) للكومبرادو ، واختيار المصطلح (الوكالة الاستغلا لية) للكومبرادورية .

(٢) يراد بهما الفواكه المطبوخة المحلاة — وضعت اللجنة لهما (المربب) .

(٣) لفظ فرنسي خاص ، وضعت له اللجنة عبارة (لجنة باريس الثورية) .

(٤) لفظ فرنسي وضعت اللجنة له (الصوان) .

(٥) اسم الحزب الوطني الصيني . أصلــه صيني مؤلف من kuo ومعناه وطني و min ، ومعنــاه الشعب و tang ومعناها الحزب ، أســـه سن — يات — سن ، (سنة ١٩١٢) — إرتأت اللجنـــة ترجمته بـ (حزب الشعب الوطني) .

المصطلح المتداول	اوضاع اللجنة
كَيج gauge	قياس
(ل)	
لا ينوتايب[1] linotype	سطريّة
لِباس	لبيسة (ج لبائس)
لباس ليلي night dress	لباس الليل
لبسان بلاستيكية	لبائس لدائنية
لتر litre	لَتْر (تعريباً)
لوپ فيلم loop film	رَقّ دوّار
لوبريكنت lubricant	مُزَلِّق
لَوبي lobby	إستمالة
لوتس lotus	زَنْبَق
لوري lorry	شاحنة
لونا بارك luna park	ملاعِب
ليبرالية liberialism	المَذْهب الحُرّ
(م)	
مايستر	مُوَجِّه
مايكرو بايولوجي microbiology	أحياء مِجْهَرِيّة
مايكرفون microphone	مذياع
مايكروويف micro - wave	مَوْجَة دقيقة

(١) لفظة انكليزية تطلق على آلة سبك الحروف المطبعية ونضدها سطرياً ، بحيث يسبك السطر كله عند ترتيبه، ويسبك ثانية عند إصلاح اي حرف كان فيه ، وكذلك تطلق على الحروف المنضودة بطريقة سبكها سطرياً، أو على الطباعة بهذه الطريقة ، فرأت اللجنة تسميتها (السطرية) .

اوضاع اللجنة	المصطلح المتداول
شَمْلَة	مايو maillot « فرنسية »
مناديل	محارم
مَرَق قشتالة	مرق كاستيليلن « غذائية »
مَرَق لحوم قطلُونية	مرقة لحوم « كاتا لانا »
مسحوق الهُلام	مسحوق الجَلِي jelly powder
مسحوق خميرة الكيك	مسحوق خميرة الكيك
مُسَجِّلَة	مسجِّلة الصوت
مُجَسِّد	مِشَدّ
مكرومتر (تعريباً)	مكروميتر micrometer [١]
مطيِّبات	منكِّهات
أثاث	موبيليات « صناعية »
طِراز	موديل model « للسيارات »
كاشي مُزَوَّق	موزائيك
نَوْفَة	موطا « غذائية »
نفيشة	موفيليه « غذائية »
حَرْفيّة	مونوتايب monotype [٢]
وِسام	ميدالية medal
تجميل	ميك أپ make up « ماكياج »

---

(١) أداة لقياس الأشياء الدقيقة .

(٢) لفظة انكليزية تطلق على آلة سبك الحروف المطبعية ، ونضدها أحادياً ، بحيث يكون كل حرف منفصلا عن الآخر ، وكذلك يطلق على الحروف المنضودة بطريقة أحادية ، أو على الطباعة بهذه الطريقة ، — رأت اللجنة تسميتها (الحرفية) .

المصطلح المتداول	اوضاع اللجنة
مَيْن فلم main film	الرَّقّ الأصل
(ن)	
نادي الديسكو	نادي الاهتزازية
النازية nazism	النازيّة
نبّوبة « صناعية »	أنبوبة
نرمادة	مَفْصِل الباب
نوكة « فرنسي » nougat	جَوْزية
نيوز ريل news reel	جريدة سيميّة
(و)	
وارنيش [1] « صناعية »	بِرْنيق
وارنيش رائق « صناعية »	بِرنيق رائق
واير نيكل wire nickoel	سلك نيكلي
ورشة [2]	مَعْمَل
وَن ريل فلم one – reel film	شريط الفصل الواحد
وورد روب كوستومز wardrobe costumes	مخزن الملابس
ووركنگ كوپي برنت working copy print	نسخة العمل

(١) اسبانية ، منسوبة الى (برنيقة) مدينة في اسبانية .

(٢) الكلمة من اللفظة الأجنبية (workshop) ، لها عدة استعمالات في الأقطار العربية، منها :

١– في المؤسسات التعليمية ، تطلق على مواضع التدريب على الحدادة والنجارة والخراطة ونحوها ، فيقابلها (المشاغل) ومفردها (المشغل) .

٢– في المصانع ، تطلق على مواضع اصلاح الأدوات والآلات ، ويقابلها (المعامل) ، ومفردها (المعمل) .

المصطلح المتداول	اوضاع اللجنة
(هـ)	
هامبركر « غذائية »	هَمْبُرْكيّة [1]
hamer finish هامر فينيش	دهان صَدَفي برّاق
angle iron هنگلاين	حديد الزاوية
hair dresser هيردرسر	مزيّن الشعر
(ي)	
yacht يخت	زَلاّل

★ ★ ★

(١) نسبة الى مدينة هامبرك في المانيـــة .

مجموع الكتابات المحررة في أبنية مدينة الموصل

تأليف : نقولا سيوفي . وتحقيق : سعيد الديوه‌جي

الخطاط وليد الأعظمي

مؤلف الكتاب نقولا سيوفي ، ولد في دمشق سنة ١٨٢٩ م ، وقيل إن أصله من حلب . واتصل بالأمير عبدالقادر الجزائري . وحصل على الجنسية الفرنسية سنة ١٨٦٦ م بصورة فوق العادة .

وفي سنة ١٨٧٣ م عين بوظيفة مترجم اول في القنصلية الفرنسية ببغداد . وفي سنة ١٨٧٥ م نقل الى مثل وظيفته في الموصل ، ثم نقل الى حلب فدمشق ، ثم عاد الى الموصل . وفي آخر عمره أقام في لبنان وتوفي فيها سنة ١٩٠١ م .

وفي أثناء اقامته في الموصل ، اقتنى كثيراً من المخطوطات والقطع الآثارية ، وباعها لمكتبات ومتاحف فرنسة وألمانية وانجلترة ، وألّف كتابه هذا — ولا نستبعد أن يكون — بتكليف من الحكومة الفرنسية ، للحصول على ما تحتاج اليه من معلومات ، يلوح لنا هذا مما تبين بعد ذلك من معاهدة سايكس بيكو التي تكون بها الموصل تابعة لفرنسة . وفي الكتاب أغلاط وأوهام كثيرة ، وقد يكون للمؤلف بعض العذر في ذلك ، لأن أغلب الكتابات المحررة في المساجد ، والتكايا والمدارس ، وبعض الدوائر ، والقصور ، كانت بخطوط مركبة ومتداخلة ، قد تصعب قراءتها إلاّ بعد التأني والمراجعة .

وقد تصدى الأستاذ سعيد الديوه‌جي مدير متحف الموصل، لتحقيق الكتاب، والتعليق عليه، فزار اماكن الكتابات التي ذكرها سيوفي، وقارنها بما ورد في الكتاب، وأشار الى الكتابات التي أزيلت، أو نقلت الى أماكن أخرى. وصحّح الاخطاء التي وقع فيها سيوفي عند النقل، ووضع الكلمة المصحّحة بين قوسين، أما الكلمات المطموسة او المثلمة، فزاد عليها المحقق ما يوضحها، وجعلها بين حاصرتين وخرّج الآيات القرآنية الكريمة الواردة في الكتابات، ونسب الابيات الشعرية الى قائليها جهد الامكان وترجم لهم في الهامش. وأضاف الى الكتاب ملحقاً بالكتابات التي لم يعلم بها المؤلف، أو لم يوفق لجمعها، والكتابات التي استجدت على الأبنية بعد كتاب سيوفي. وجعل فهارس للأعلام والامكنة وجدولا للخطأ والصواب. وطبع الكتاب بمساعدة وزارة المعارف العراقية سنة ١٩٥٦ م بمطبعة شفيق في بغداد ويقع في ٢٦٢ صفحة.

وقد وجدت في الكتاب أوهاماً كثيرة، واذا كنا قد التمسنا بعض العذر للمؤلف، في وقوعه فيها، فان ذلك ينتفي بالنسبة الى المحقق، وهو مدير متحف الموصل، وقد توافرت لديه أسباب المراجعة؛ وتيسرت له سبل التحقيق والضبط من ناحية الوظيفة والعمر والوقت.

وها أنا ذا أدوّن ما لاحظته على الكتاب، بحسب تسلسل الصفحات. ص ١٣ س ٧ : أبيات من نظم السيد احمد بن السيد حامد الفخري :

لله جامع نور للأنام به	مر الدهور تعبُّدٌ وتهجُّدُ
إنشاء أم المكرمات حليمة	وحمراء كهف الخير للبر تقصدُ
وعاضدها صنو المكارم شبلها	سليل امين في المكارم أوحد
فجزى (الاله) جميعهم (من فضله)	خيراً الى يوم القيامة يؤبدُ
من شرط واقفه الكريم مؤرخاً	(أوصى) الصلاة على النبي محمد

إن هذه الأبيات تجمع بين بحري (الطويل) و (الكامل) ، فالبيت الأول صدره من الطويل وعجزه من الكامل ، والبيت الثاني عكس ذلك . والبيت الثالث من الطويل ، والبيتان الرابع والخامس من الكامل ، كما ان في البيت الخامس إقواءً لأن قافيته مكسورة ، والأبيات الأربعة مضمومة القافية ، الا اذا كانت القافية ساكنة ، ولا أراها تصلح هنا . وكان ينبغي للمحقق ان يشير الى ذلك .

ص ١٤ س ١ :

عباد الله صوموا وصلوا بجدٍ وكونوا لله متقين .

البيت مختل الوزن . واذا كانت العبارة نثراً فلماذا قطعت كشطري البيت ؟

ص ١٩ س ٢٠ :

لقد قارب اتماماً فان (رمتم أؤرخه)

(ألا) يا من (بناه) قاصداً الله بشراكا

سنة ١٠٨٤ هـ

أقول : إن البيت يتكون من بيتين ، وهو من الهزج ، كل شطر يعدّ بيتاً . ولفظ الجلالة في البيت وهم ، وصوابه (لله) بغير ألف .

كما أن مجموع التاريخ يساوي سنة ٩٧٥ هـ وليس سنة ١٠٨٤ هـ .

ولما كانت الكلمتان المحصورتان بين قوسين في البيت (الا) و (بناه) هما من تصحيح المحقق كما اشار في اول الكتاب ، فانه لم يكن موفقاً في اختيار الكلمتين ، وإنه إن كان قد أصاب في المعنى ، فانه لم يصب في التاريخ .

ص ٢٢ الحاشية ١ :

ورد تخريج الآية (البقرة : ١٨) ، والصواب (النساء : ١٠٣) .

ص ٢٣ س ١١ :

فأجراه في ذا السلسبيل مؤرخاً : [سبيل روى جودٌ حديث شفائه]

سنة ١٢٤١هـ .

إن مجموع شطر التاريخ الذي وضعه المحقق لا يتفق مع التاريخ .

ص ٢٩ س ٣ : بيتان من الشعر هكذا :

قـديم خيـر سالِفِ   في بيت شعر قد صفا
تاريخـه (للغارف)   ماء بـه اجرى الهنا

سنة ١٢٨٣ هـ

يبدو أن المؤلف وهم عند نقل البيتين ، أو تكون قطع الرخام وضعت مقلوبة في البناء . وارى ان صواب البيتين هو :

في بيت شعر قد صفا   قديم خـير سالفِ
ماء به اجرى الهنـا   تاريخه (للغارف)

مع العلم أن كلمة (للغارف) تساوي ١٣٤١ ، ولايتفق الرقم مع تاريـخ البناء : وقد اخفق المحقق في اختيارها ، والصواب : (بغارف) وهي تستقيم مع الوزن ، وتتفق مع التاريخ ١٢٨٣ هـ .

ص ٣٩ س ٧ :

وقع التحرير في تاريخه   مسجداً جدّد بالخيرحسين

سنة ١٠٩٠ هـ

إن مجموع التاريخ يساوي سنة ١٠٧٠ هـ .

ص ٤٢ س ٥

وقالوا بشّرها وأرّخ (لها)   بمسجد نالت جزيل الثواب

سنة ١١٩٣ هـ

إن مجموع التاريخ يساوي سنة ١٢١٦ ، ولما كانت كلمة (لها) من تصحيح المحقق . وهي تساوي ٣٦ فانها قد زادت في التاريـخ ، وكان عليه أن يضع كلمـة تؤدي المعنى ويساوي مجموعها ١٣ ، لان مجمـوع الشطر يساوي ١١٨٠ هـ .

ص ٤٣ س ٥ :

ابو بكر [عمر] عثمان حيدر   چراغ مسجد محـراب منير

البيت مكرر مرتين بهذه الصورة ، والصواب (منبر) بدل كلمة (منير)

ص ٤٧ س ٥ :

فوفّقه البأري لتعمير بيته (ليحضى) بنيل العفو عن كل ماجنى

والصواب (ليحظى) بالظاء ،وهي من تصحيح المحقق ، لانه وضعهابين قوسين .

ص ٥١ س ٣ : تسعة أبيات للشيخ عبدالله باش عالم العمري ، مطلعها :

رياض العلم تزهو [في] معانيها

بمدرسة فاقت بحسن مبانيها

الأبيات التسعة من الطويل ، وكلمة [في] التي وضعها المحقق في صدر البيت الأول ، قد أخلّت بوزنه ، وأحالته الى الهزج ، ولم أجد الأبيات في ديوان باش عالم المخطوط ، وليت المحقق أشار الى ذلك ، واستدركها على جامع الديوان .

ص ٥٥ س ٥ :

أكرم ببيت الله ما اشرفه جامعاً من جامع الخير

يقول للداخل في تاريخه ادخل فحصل لك جميع الاجر

سنة ١٢٤١ هـ

ان مجموع التاريخ يساوي سنة ١٢٥٥ هـ ، ويبدو أن نقولا سيوفي لم يحسن قراءة البيتين ، لأن عجزيهما مختلا الوزن ، اضافة الى اختلاف التاريخ ، والمحقق لم ينتبه الى ذلك ، ولم يعلق عليهما .

ص ٥٨ س ٣ :

أنشأ الوزير المرتجى أحمدُ لله بيتاً فيه يسعدُ

ان عجز البيت مختل الوزن .

ص ٦٠ س ٣ .

ألا يا من بنى في [عمره] مسجدا

له في جنان الخلد قصراً مشيدا

وهي ثلاثة أبيات من الطويل ، ولكن صدر البيت الأول مختل الوزن، ولاشك

في أن كلمة [عمره] التي وضعها المحقق هي التي أخلت بالوزن ، فلم يوفق المحقق لاختيار كلمة [عمره] من ناحيتين ، الأولى إخلالها بالوزن ، والثانية تأثيرها في القافية . والقافية مفتوحة أصلاً بتأثير الكلمة المطموسة ، التي تجعل القافية مفتوحة ، وإلا وجب أن يكون الشطر (. . . قصرٌ مشيدُ)

ص ٧٤ س ٨ : مراد العلماء كلام الشهداء .

يبدو أن المؤلف نقولا سيوفي لم يحسن قراءة العبارة ، وصوابها (مداد العلماء كدم الشهداء) وهي من كلام النبوة ، ولم ينبه المحقق عليها .

ص ٧٤ س ١٧ : من علم بما علم أورثه الله عام ما لا يعلم .

والصواب : من عمل بما علم .

ص ٧٥ س ٤ :

دار علوم بابها معلمه — طلابها حجتهم مفحمه

وكل من حلّ بها لم يجد — في فكره من خطّة او غمه

يبدو ان المؤلف لم يحسن قراءة العبارة ، لأنها سقيمة المعنى . ولعل الصواب :

وكل من حلّ بها لم يجد — في فكره من خطأٍ او عمه

والعمه في البصيرة كالعمى في البصر .

ص ٧٨ س ٧ :

(اميرنا فاشهد) أنه خير من أتى

الينا بمعروف فان شئتم قيسوا

وصدر البيت مختل الوزن ، ولا شك في أن تصحيح المحقق للكلمتين بين القوسين هو الذي أخل بالوزن .

ص ٨٦ س ٥ :

ألفاظه محكمات ما بها عوج — كلا ولا الظل يوماً له اقترحا

بذلت نفسك في نصح العباد على — وقف المراد فبشّر من انتصحا

أقول : إن العجزين في البيتين مختلا الوزن ، وفي البيت الثاني (وقف المراد ...) صوابها (وفق المراد . . .) ولعل صواب العجز الثاني (وفق المراد فبشر من قد انتصحا) .

ص ٨٧ حاشية ١ : تخريج الآية (العنكبوت : ٤٥) ، والصواب : (النساء : ١٠٣)
ص ٨٩ س ٨ :

(لذا سبلت ماءً) وشادت بناءه   لتحضى به يوم القيامة ناجيا

الصواب : لتحظى بالظاء ، وقد مرّ مثلها .
ص ١٠٦ س ١٦ : . . . سنة (واحد وثلثين) وسبعمائة هلالية .
والصواب (إحدى وثلثين) ، والكلمة من تصحيح المحقق .
ص ١٢١ س ٩ :

ومن فضل فخري تجرع مؤرخاً

(حلا ماء خير) [إنه من سليمانا]

سنة ١٢٢٧ هـ

أقول : إن صدر البيت غير واضح المعنى . وأما عجزه فهو من مقطعين ، الأول من تصحيح المحقق لانه بين قوسين ، والثاني من وضعه ، لانه بين حاصرتين ، ومجموع التاريخ يساوي سنة ١٢٢٩ هـ وليس سنة ١٢٢٧ هـ .
ص ١٢٢ س ١١ : ثمانية أبيات نسبها المحقق الى الشيخ عبدالله باش عالم العمري ، وبيت التاريخ فيها :

أنشأته فأتيت فيه مؤرخاً   بعمارة الملك (الأقر) محمد

سنة ١٢٥٨ هـ

أقول : ان كلمة (الأقر) هي من تصحيح المحقق ، لأنها بين قوسين ، ولو أن المحقق صحّح الكلمة بعبارة (الأرقّ) لكانت أفضل وأكثر مناسبة من كلمة (الأقرّ) وهي مثلها في الحساب . والأبيات لم أجدها في ديوان باش عالم المخطوط ، وكان الاولى بالمحقق أن يشير الى ذلك ويستدركها على جامع الديوان .
ص ١٣٤ س ١٣ :

[تبارك] رب العرش (وفّق) عبده   سليمان كثر الجود قام مجددا

الصواب : كنز الجود . . .
ص ١٣٤ س ١٦ :

يا من أعطاه فضلاً مؤرخاً سليمان بيت (العلم) ينشيه بالهدى

سنة ١١٩٢ هـ

أقول : إن صدر البيت مختل الوزن ، ومجموع التاريخ يساوي سنة ١١٩٠هـ. ولعل كلمة (العلم) التي هي من تصحيح المحقق قد أخلت بحساب التاريخ . أو يكون التاريخ ١١٩٠ هـ صحيحاً ، وحصل الوهم عند النقل .

ص ١٦٠ س ٥:

اذا ما جزتـــه أرّخ وأنشد (وقل للناس) حي على الصلاة

سنة ١٢٣١ هـ

ان مجموع التاريـــخ يساوي سنة ١٣٣٩ هـ ،ولا شك في ان عبارة (وقـــل للناس) وهي من تصحيـح المحقق . قد أخلت بالحساب .

ص ١٦٢ س ١٦ : اربعة ابيـــات نسبها المحقق الى الحاج عثمان بك الحيائي الجليلي ، وهي من الكامل و البيت الثالث فيها :

(يمم) حمى ذاك الضريح فان في
زيـــارته تاقى جميـــع المحـــاسن

والبيت مختل الوزن ، صدره من الكامل ، وعجزه من الطويل . ولعل الصواب (فيمم) .

ص ١٦٤ س ٢ :

قد شادها العمري عبدالله كي يحضى بأخراه بأجر مؤنس

والصواب : يحظى بالظاء ، وقد مرت مثيلا تها ، وكان على المحقق ان يصحّحها أو يشير اليها .

ص ١٧١ س ٣ (الملحق)

جددت أوقاقنـــا مديرية للعلوم تعالى شانهـــا

والصواب . . . مدرسة ، وهي في تاريـخ مدرسة للعـــلوم .

ص ١٨٠ س ٣ :

واجعله واسطة اذا خطب دهى تنجو بذا من كربك الجسيم

أقول : ان صدر البيت من الكامل ، وعجزه من السريع ، وهو ضمن خمسة أبيات كلها من الرجز . ولم ينبه عليها صاحب الملحق .

ص ١٨٩ س ٥ :

وان ترم فيض أنوار تؤرخه زر مرقداً فيه أنوار السيد النوري

سنة ١٣٠٥ هـ

قلت ان عجز البيت مختل الوزن ، ومجمـوع التاريـخ يساوي سنة ١٣٠٧ هـ . وصواب الشطر (زر مرقداً فيه نور السيد النوري) وبه يستقيم الوزن ويتفق مع التاريخ .

ص ١٩٦ س ٢٣ :

فمذ فاز في انشائها قلت أرخوا لا نشا محل الكتب فاز سليمان

سنة ١١٩٢ هـ

ان مجموع التاريخ يساوي سنة ١٢٠٢ هـ . وليس سنة ١١٩٢ هـ .

ص ١٩٧ س ٨ :

على بابه التوفيق نادى مؤرخاً سليمان بيت العلم ينشيه بالنـدا

سنة ١١٩٢ هـ

إن مجموع التاريخ يساوي سنة ١٢٩٥ هـ وليس سنة ١١٩٢ هـ . والفرق بعيد .

ص ٢١٢ س ١ :

. . . كنا نسمع هذا ونقوله بتحفض . . .

والصواب : بتحفظ ، بالظاء .

ص ٢١٤ س ١٢ :

دار نعيم بالهنا قد عمرت وانثنت فيها على رغم الحسود

أقول : إن صدر البيت من الرجز ، وعجزه من الرمـل ، ويبـدو أن

صواب صدر البيت الأول : (نعم دار بالهنا قد عمرت) ، لا كما نقلها المؤلف ، وأخل بوزنها .

ص ٢١٦ س ١٧ :

لو تعلم الدار فيمن زارها فرحت
واستبشرت بمزيد وباست موضع القدم

اقول : إن عجز البيت مختل الوزن ، ولعل الصواب :

(واستبشرت ثم باست موضع القدم) .

وبعد : فان هذه الملاحظات لا تقلل من شأن الكتاب وأهميته ، وكبير فائدته ، وانما تزيد في حسنة وتقربه الى الصواب في طريق الكمال ، وحبذا لو يلتفت اليها محقق الكتاب ويفيد منها أو يناقشها ويعلق عليها عند طبع الكتاب ثانية .



الفهرس

البحوث

مجلــة
المجمع العلمي العراقي

انشئت سنة ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م

تصدر اربعة اجزاء في السنة

(العنوان : بغداد / الوزيرية / ص.ب. ٤٠٢٣)

سعر النسخة دينار ونصف
وتضاف اليها اجرة البريــد

(تدفع قيمــة الاشتراك سلفاً)

تطلب المجلــة من المجمع ومن الدار الوطنية للتوزيع — بغداد

* * *

توجه الرسائل والبحوث الى الامين العام للمجمع

- البحوث والمصطلحات التي ينشرها الكتاب في هذه المجلة تعبر عن آرائهم الشخصية .
- البحوث والمقالات التي لا تنشر ، لا ترد الى اصحابها .

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٦٧٦ لسنة ١٩٨٢

مطبعة المجمع العلمي العراقي ٤٠٠٠ / ١٩٨٢